

ذِيوَانُ الْمُعَسَّكَيْنِ

لِلْإِمَامِ اللُّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الأول

عن نسختي الإمامين العظميين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزى
الشنقيطى رحمهما الله ، الأولى فى خزانة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة ،
وهى مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ،
والثانية فى دار الكتب المصرية العامة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة
المنحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو
المتفضل بالنظر فى تصحيحه

عنيت بنشره

مَكْتَبَةُ الْقُدْسِ

لِصَلْبَتِهَا حَسَامُ الدِّينِ الْقُدْسِيِّ

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ و حقوق الطبع محفوظة

ذِيوَانُ الْمُعَسَّائِي

لِلْإِمَامِ اللُّغَوِيِّ الْأَدِيبِ أَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ

الجزء الأول

عن نسختي الإمامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزى
الشنقيطي رحمهما الله ، الأولى في خزانة الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة
وهي مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ،
والثانية في دار الكتب المصرية العامة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة
المنحقة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو
المتفضل بالنظر في تصحيحه

عنيت بنشره

مكتبة دار الكتب

لصاحبها الأستاذ الدكتور كرنكو

القاهرة - باب الخلق - حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ و حقوق الطبع محفوظة

(كلمة عن حياة المؤلف)

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد ، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبى العباس الأبيوردي
رحمه الله بهمدان عنه فأنبنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) معاً ، وقال كان يتبرز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤال الآتى عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر ، وله فى اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد ، وكتاب الصناعتين
صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد
المقرئ إملاء . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شباب وتغشاك مشيبٌ
فأتى مالىس يعضى ومضى مالا يؤوبُ
فتأهبُ استقام ليس يشفيه طيبُ
لاتوهمهُ بميداً إنما الآتى قريبُ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) فى نسخة « العفة » مكان « الفقہ » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجمُ وحالى فيكم حالٌ من حاكٍ أو حجمٌ
فأين انتفاعى بالأصالة والحجا وما ربحت كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) يصيرُ حالى فلا يلعنُ القرطاسَ والخبرَ والقلمَ
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتسنى قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأثامَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويمظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهمجوهمُ غنى رثائهُ كسوتى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الأستراباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى العسكري لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لمقلتيهِ وصَلَّى
لستُ أدري أطلَّ ليلَى أم لا كيفَ يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلَى ولرعى النجومُ كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدري أطلَّ ليلَى أم لا *
والبيت الذى بعده أتيه فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أبا هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكري .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائهُ ملبسى)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أبا هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فعلمه اطلع عليه .

وكتاب جهررة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب الخاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نواذر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملأ هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ول بعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخطَّ العسكريَّ أبي هلالٍ
فلو أني جُعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمونَ منه وقد ثبتوا لأطرافِ الموالي
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوي وأنا في السرورُ من كلِّ نحرٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحِي من حرورٍ تشوي الوجوه وتكوي
بردَ الماءِ والهواءِ كأنَّ قد سرقَ البردُ من جوانحِ خلو
ريحه تلمسُ الصدورَ فتشفي وغماماته تصوبُ فتروى
لستُ أنسى منه دَمائَةَ دجنٍ ثمَّ من بعده نَضارةَ صحوٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقَطْرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببروٍ
وغيوماً مطرَ زاتِ الخواشي بوميضٍ من البروقِ وخفوي
كلما أرختِ السماءُ عُراها جمعَ القطرِ بينَ سُفلٍ وعلوٍ
وهي تعطيك حينَ هبتِ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَوٍّ
وترى الأرضَ في ملاءةٍ ثلجٍ مثلَ ريطٍ لبسته فوقَ فروٍ

فاستعارَ العراءُ^(١) منها لباساً
 فكانَ الكافورَ موضعَ ترب
 وليالٍ أطلتْ مُدَّةَ درسي
 مرَّ لي بمضاهي بفقهِ وبعض
 وحديثٍ كأنه عقدُ رِيَّا
 في حديثِ الرِّجالِ رَوْضَةُ أنسٍ
 ومن شعره في ارتفاعِ السفلى :

لا يغرنكمُ علوُّ لئيمٍ
 فارتفاعُ الفريقِ فيه فضوحٌ
 فملوُّ لا يُستحقُّ سَفالٌ
 وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكالٌ

(١) في الأصل « العراء » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسمة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طورك عدي فبحر من به ليس طير
 وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو داود عامه الشاعر
 قال كتبت العناجب الى مالك بن حوف يستزيده ويستبد به ويدعوه
 الى صلح العم والقراية بينه وبينه وكان لما كتبت ان فراثك من
 قُرب منك خيره وان ابن عمك من عم تتعد وان عسر زلت
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك امدام بالمنفع
 عليك وان اهدام الى مودتك من اهداي اليك ولا لا قول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القراية لا تقرب قاطعا واذا المودة افوت الانساب
قال ابو هلال رحمه الله

هذا الخبر ما رايت نصيبه هذا الكتاب وبانه التوفيق
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزيّف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته .
قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبدع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم بحكم الرصف غير مهمل رخو ولا متجمد فيج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من يتحمل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمأدته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وصميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسماً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطانته فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطرك حُداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أبقيتُ بعدى قوافي نُعجبُ المتمثلينا
 لذيدات المقاطع محكمات لو أن الشعر يُلبسُ لارتدينا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
 مُنخالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 الذُّ من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفُ على رُوحٍ وأنقلَ قيمةً وأقصرَ في سَمعِ المجلس وأطولاً
 ويُزهى به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الراوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدتُها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٢٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل
هي جوهرٌ ثرٌّ فان ألفته
في كل معترك وكل مقامة
فاذا القصائد لم تكن خفراءها
من أجل ذلك كانت العرب الألى
وتند عندهم العلا الأعلى التي
جعلت لها مُرَرُ القريض^(٢) قيودا
قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ،
وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص^(٤) ، وكانت بعثته
ليقتبس نارا فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجرف قال
تعست العجالة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبثت حولا متى يأتي غياثك من تغيث
وقال الشاعر : مارأينا لغراب^(٥) ممثلا إذ بعثناه لحمل المشملة^(٦)
غير فند أرسلوه قابساً فتوى حولا وسب العجالة
فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . ومُحْدَاجَة رجل يضرب به المثل في
السرعة فقليل أمرع من حُدَاجَة^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شمبل^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجتمع فيه
المقحة بالآلتها ، وقليل ثوب يشتمل به وقليل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
(٨) وهو النضر بن شمبل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعة من
البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان ، قال لا ولكنك قشف فأجربنا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتلتحمني قلت إنما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسدت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كريمة وسداد تغر

قال قبيح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب قلت حمزة بن ببيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثاء الهیئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

(٣) شاعر مجيد من أهل السكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم إلى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « ببيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيون هازغة أقم علينا يوماً فلم أقم
أى الوجوه انتجعت قلت لها وأى وجه إلا الى الحكم
متى يقل صاحباً سرادقه هذا ابن ييض بالباب يتسيم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فهات اذحل أو قى سلمى
فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدنى

حيث بقول :

إنى وإن كان ابن عمى واغراً لمزاحم من خلفه وورائه
وميمده بصرى وإن كان امراً متزحزحاً فى أرضه وسماؤه
وأكون والى سره فأصونه حتى يحين على وقت أدائه
واذا الحوادث أجحفت بسوامه^(١) قرنت صحبحتنا الى جربائه
واذا دعا باسمى لتركب مركبا صعباً قعدت له على سبائه^(٢)
واذا رأيت له رداءً ناضراً لم يلفنى متمنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أقنع بيت للعرب قلت الراعى^(٣) حيث يقول :

أطلب ما يطلب الكريم من الرزق لنفسى فأجمل الطلبا
وأحلب الذرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا
إنى رأيت الفتى الكريم إذا رغبته فى صنعة رغبنا
والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضررنا
ولم أجد غرة الخلائق الا الدين لما اعتبرت والحسبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه فى الوافى بالوفيات
والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السبائه
بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
(٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعى النميرى ، من معاصرى جرير والفرزدق .

قد يُرْزَقُ الخَافِقُ المَقِيمُ وما شَدَّ بَعْدِي شِ رَحْلاً ولا قَبْلاً
 وَيُحَرِّمُ الرِّزْقَ ذو المِطْبَةِ والرحل وَمَنْ لا يَزَالُ مُغْتَرِباً
 فقال أحسن ما شاء ، مامالك يا نضر ؟ فقلت أريض لى بمرؤ أنصابها وآتمدها قال
 ألا ^(١) نفيدك مع ذلك مالا ؟ قلت إني الى ذلك محتاج قال فأخذ القرطاس وكتب
 ولا أدري ما كتب ، قال كيف تقول من التراب اذا أمرت أن تقرب ؟ قلت أتربه ،
 قال فهو ماذا ؟ قلت مترب ، قال فمن الطين ؟ قلت طنه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مطين ،
 قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ، ثم صلى بنا العشاء ثم قال
 لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل . فأتيته فلما قرأ الكتاب قال يانضر إن أمير
 المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أ كذبه فقال
 لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما الحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه
 وقد تتبع الفقهاء ، فأمر لي الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفاً بحرف استفاده مني .
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أحمد بن يحيى المهلب قال
 حدثني أبي قال جرى في مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل في أصحاب النبذ
 فأمرت أن يسأل أبو محم عن أحسن ما قيل في ذلك فسئل بعد أن أحضر فقال أحسنه
 قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تواب العكلي ^(٢) :

وَفِتْيةٌ كالسِّيفِ أَحْصَرَهُمْ لا أَحْصَرَهُمْ فِيهِمْ ولا بَخْلٌ
 بَيْضٌ مَسامِيحٌ في الشتاء وإن أَخْلَفَ نَجْمٌ عن وَبْلِهِ وِبلوا ^(٣)
 لا يَتَأَرَّوْنَ ^(٤) في المضيق وإن نَادَى مُنَادٍ أنِ انْزِلُوا نَزَلُوا
 لا يَعْترى شَرِبْنَا اللِّجاءَ وقد تُوهبُ فِينا القِيانُ والحلل

فاستحسن الواثق الأبيات ووهب ^(٥) أبا محم .

(١) في نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الاسلام كبيراً ،
 وكان وجيهاً جواداً . (٣) الوبل : المطر الشديد . (٤) تآرى بالمكان : احتبس .
 (٥) في نسخة « ووصل » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقه اليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذة ويسهل ما كانت الحاجة اليه هذه الحاجة فوقعت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام اليه حتى تهذب وتنقف وتشذب وتذانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذي
ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواني المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الذِّي قَاسُوهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطدعها طويل
وقيل : ان السيادة والرياسة والعلى أعبأهن كما علمت ثقال
وقيل : وإن جسيات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الأساود
وقلت : * إن الأمور مريحها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْعُلَا إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَبِّ

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بعيدٌ علي من ليس يطلب حاجة وأما علي ذي حاجة فقريبٌ
والذي حداني علي جمع هذا النوع أيضا اني لم أجده فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير مقنع بشفي الراغب ويكفي الطالب فجمعت ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لا يبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنفى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يتعداه والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهاني والمدائح والافتخار .

الباب الثاني : في الخصال .

الباب الثالث : في المعائب والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجري مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجري مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجري مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجري مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادي عشر : في ذكر الشباب والمشيبي والعلل والموت والمرأى
والتعازي والزهد .

الباب الثاني عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خلقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفعة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تخبر أمره معائب حتى البدر أكلف أسفم
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قاله العرب قول النابغة الذبياني ^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شرب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملك^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأنهار لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأً لى جانب من الأرض فيه مُستَرادٌ ومَذْهَبٌ
مُلُوك^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحْكَمُ في أموالهم وأقرب
حكمتك في قوم أراك اصطفتهم^(٣) فلم ترهم في شُكر ذلك أذنبوا
يقول لا تلني على شكري وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أني
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستَبقٍ أخاً لا تلُّهُ على شعث أي الرجال المهذب
فإن أكُ مظلوماً فعبد ظلمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يعتب
يقول مثلك بعفو ويحسن وإن كان طائباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك
العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكب
يقول ما صلحت لي أنت فاني لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة

المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذي في

ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطفتهم » .

الشمس لم يحتاج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بمض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصْبَةً وَهُوَ عَاتِبُ
هُوَ الشَّمْسُ وَاقْتِ يَوْمَ سَعْدٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكِ كَوَاكِبُ
وَقَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةِ :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكٍ رَبِّ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كُنَّا كَأَنْجُسٍ لَيْلَ يَمْنُنَا قَمَرُهُ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ يَمْنُنَا الْقَمَرُ
وَمِنْ هَهْنَا أَخَذَ أَبُو تَمَامٍ :

كَانَ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ يَمْنُنِهَا الْبَدْرُ
وَقَالَ نَصِيبٌ فِي مَعْنَى النَّابِغَةِ :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضَى الْكَوَاكِبُ
وَمِثْلُ قَوْلِ النَّابِغَةِ * أَحْكَمْ فِي أُمُورِهِمْ وَأَقْرَبُ * قَوْلِ الْأَشْجَعِ (١) :
لَا تَعْتَدِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى بِالْأُمُورِ
يَتَزَحَّحُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَسَكِّمٍ مِنَ الْأَجَلَالِ
وَسَمِعْتُ أَبَا أَحْمَدَ يَقُولُ : أَبْرَعَ بَيْتٌ قِيلَ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَّتْ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرّب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نبطويه يذكر عن الفراء قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مفاتحة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوالزوائد الحطيم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده فهو يجتنيهن اختياراً، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطابقه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عذرك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدرك في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرابه قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفتدة عند السكر فإن يبلغ لي فلق المجد عن غررموا به فانت قسم ماأفدت . فقال الحاجب والله ما تنفي عنايتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكره فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر السكلابي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رفد المستعين وناحيته من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطمة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد ههناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتعويض وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فماذا لك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأني الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال واللات والعزى لساكني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى فايش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الأحساب ومناكب الأنساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمهلاً وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لا أنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فانتصب بين يدي النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أيها خرك - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أبهى من يومه ولقدالك

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن

كما في المصع لابن الأثير . (٣) ذو فائش : أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشى ، على مافي المصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أسمع من يمينه واعبدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفده ولهزلك أصوب من جده ولتترك أبسط من شبره ولائك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أَخْلَاقُ مُحَمَّدٍ جَلَّتْ مَا لَهَا حَصْرٌ فِي الْبَأْسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
مُتَوَجِّعٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَقَرِّهِ وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
قَالَ فَتَهْلَلُ وَجْهَ النِّعَمَانِ بِالسَّرُورِ وَأَمْرٌ لِحُشْيِ فَمِهِ دَرًّا ، وَقَالَ لِمِثْلِ هَذَا تَرَاهِ الْقُلُوبِ
وَبِمِثْلِهِ تَمْدَحُ الْمُلُوكَ ، ثُمَّ قَالَ الْخَلِيلُ أَفِيحَسَنَ زَهِيرٍ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ يُونُسُ
لِلْعَبَّاسِ إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِمَّا حَدَّثَ عَنْ قِصَّةِ النَّابِغَةِ وَشَعْرِهِ قَوْلُهُ :

* وَفِي الْوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ بَيْنَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعُودِ
يُقَلِّبُ الْحَاضِرَ الْمَهَابَةَ يَدْنَهُمْ عُيُونُ ظُبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسُودِ
وَأَخَذَهُ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ * كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا *
وَقُلْتُ : فَتَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ رَصْدٌ يَصْدَهُ أَنْ نَطَقَ الشَّيْنُ وَالذَّامَا ^(٢)
مَازَالَ يَفْسَمُ مَا لَا ثُمَّ يَغْرُمُهُ مَازَالَ لِلْعَسَالِ غَنَمًا وَغَرَامَا
أَغْرَ أَرْبَعٍ يَحْكِي الْغَيْثَ مَكْرُمَةً وَالنَّجْمَ مَنْزِلَةً وَالطُّودَ أَحْلَامَا
تَجَلَّه ^(٣) حِينَ يَبْدُو أَنْ تَقُولَ لَهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامَا
وَقَدْ تَدَاوَلَ النَّاسُ مَعْنَى قَوْلِهِ * كَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرُكِي *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) في الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيء أدركته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مبتوتا حباؤه والدهر لاملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح أضرفه في كل ناحية مافاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإن أمير المؤمنين وفعله كالدهر لاغاد بما فعل الدهر
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذه أبو تمام فقال :
خشعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عاد
فالقول همس والنداء إشارة وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
ومالامرى حاولته منك مهرب ولو رفعت في السماء المطالع
يلي هارب لا يهتدى لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح لا مع
وقال البحتري ^(٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الامويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .

(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجرة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة الى جد اسمه بحتري - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكبروا : لمجدهم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قائلة العرب قول أبي الطمجان (١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومثله قول الخطيئة (٢) :

نمشى على قول أحساب أضاءت لنا كما أضاءت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدجلين اعتشوا (٣) بها صدعن الدجى حتى يرى الليل بنجلى
وقال بعض الأعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا محاه ولا قابلت به مدأ

إلا كفاه . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدنى وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المحضرمين ، اشتهر بالهجو
حتى هجا والده ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً ففي رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوات ليلة القمر للشارى
(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاءوا .

كأنما النجم حين قابله
وقلت: بليل كما ترُفُو الغزالةُ أسود
كوا كبه زهر وُصفر كأنها
وقلت: وذى غنَجٍ يأوى إلى فرعه الدُّجى
فيه ظلامٌ بالصباح مُقنَعٌ
وفيهِ ظلامٌ بالصباح مُتَوَجُّجٌ
ولكنها عن وجهه تتفرجُ

وقول أبي الطمحان مولى ابن أبي السمت :

فتى لا يُبالي المدلجُون بنوره
له حاجبٌ عن كل أمر يَشِينُهُ
وقول الآخر :

من البيض الوجوه بنى سنانٍ
وقول الآخر :

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعا
كان الثريا مُعلقت في جبينه
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه
إذا قيلت العوراءُ غض كأنه
وقول الآخر (٢) :

إخترَ فناءَ بني عمرو فانهمُ
إن يسألوا الخير يُعطوه وإن جهدوا
وإن توددتهم لانوا وإن شتموا
هينون لينون أيسارٌ ذوو يسرٍ
من تلق منهم ثقلٌ لا قيتُ سيدهم
أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
فالجد يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
كشفت أذمار سر غير أسرارٍ
أربابُ مكرمةٍ أبناءُ إيسارٍ
مثل النجوم التي يُهدى بها السارى

(١) قبعة السيف كسيفينة : ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتي .

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشدنا أبو أحمد لعيسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن ^(١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مدَحَتكَ بالحق الذي أنتَ أهله ومن مدَحِ الأقوامِ حقَّ وباطل
يعيشُ النَّدى مادمتَ حيًّا فإن تَمَّت فليس لحيٍّ بعد موتك طائل
وما لامرئٍ عندي مُخيِّلةٌ نعمة سواكَ وقد جادت على مخايل
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فَتَى لَوْ يَنادِي الشَّمْسُ أَلْقَتْ قَناعَها أو القَمَرُ السَّارَى لَأُتِيَ المَقالِدا

وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ماها عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل ^(٢) :

أنتَ ابنُ مُسلَّطِ البَطاحِ ولم يضرب عليك الحنَى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يعتلج
لارتدَّ أوساخٌ أو لكانَ له في جانبِ الأرضِ عنك مُنعرَج
وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هيبة ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراءة وترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُمنِ أبى اسحقَ طالَتْ يَدُ العَلاءِ وقامت قناةُ الدِّينِ واشتدَّ كاهُله

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقي الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالع في مدحه .

هو البحر من أي النواحي أتيتَه فلبجته المعروف والجود ساحله
 تعودَ بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطمه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف بيت الجار منك على صدى وكفك بحر لجة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطئون المعنى ان
 أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا تجملون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الورى عن كل مكرمة لم تلف نسبته إلا الى الهول
 فتى جواداً أعاد النبل نائله فالنيل يشكر منه كثرة النبل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :
 والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عند لف الخيل بالخيل
 لو عارض الشمس ألقى الشمس ظلمة أو زاحم الغيم ألجاها الى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم ان نابتة نائبة وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عالم الغيث الندى حتى إذا ما حكاها عام البأس الأسد
 فله الغيث مقر بالندى وله الليث مقر بالجلد

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن طائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أنجر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبيل والجبيل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :
 نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليلكم صلاةٌ واقتراءُ
 أنجعلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء
 وهم أرض لا أرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماء
 وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
 ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أمٌ قد كفاي حياؤك أن شيمتك الحياءُ
 كريمٌ لا يُغـيره صباحٌ عن انطلق الكريم ولا المساءُ
 وأرضك أرضٌ مكرمةٌ بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء
 ونحوه قوله :

لكل قبيلةٍ شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأسُ يقدم كل هادي
 وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :
 قومٌ يحلون من مجد ومن شرفٍ ومن غناء محلّ البيض واليلب ^(٤)
 حلوا محامهما من كل ججمةٍ نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

-
- (١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يسلم في شعره » عاش الى أن أدرك وقعة بدر ورثي من مات بها من الكفار .
 (٢) هو النبي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ، يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .
 (٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فدس عليه ما كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يمثل بين الرأس والذنب
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء
وقلت : أبشر فأنك رأس والعلاجسد والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم يك للأيام منقبة تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يأمر المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت يأمر
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كف امرئ متناول بها المجد إلا حيث ما نلت أطول
ولا تبلغ المهدون في القول مدحة ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضل
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا ممت مات العرف وانقطع الندى من الناس إلا في قليل مصرّد^(١)
وردت أكف السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلاف مجدد
وليس بحسن عندي أن يقال للمسدوح إذا مات فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا ممت لم توصل بعرف قرابة ولم يبق في الدنيا رجاء لنا نل
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به الممدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة ^(١) :

لولا أبو دلف لم تحي عارفةً ولم ينؤنؤ مأمول بآمال
يا ابن الأكارم من عدنان قد علموا وتالدُ المجد بين العم والخال
وناقِلُ الناس من عُدْمٍ إلى جِدَّةٍ وصارفُ الدهر من حالٍ إلى حال
أنت الذي تُنزلُ الأيامَ منزِلَهَا وتُمْسِكُ الأرضَ عن خَسْفٍ وزَلْزال
وما مَدَدْتَ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بآجالٍ وآمالٍ ^(٢)
تزور سَخَطاً فتمسى البيضُ راضيةً وتَسَهَّلُ فتبكي أوجهُ المال

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أَحَلَّكَ الله منها حيثُ تجتمعُ ^(٣)
إن أخلفَ القَطْرُ لم يُخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فَيَتَّسِعْ
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَقَاعِيْلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّامِصَامَةُ الذِّكْرُ
قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :
أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيْبًا لَا أُنَيْسَ لَهُ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطَرُ

(١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف
المجلى ، كان أعشى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .

(٢) في شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) سيأتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجودُ ويحمي عن ذي لمهم وذا تعيشُ به الأُنعامُ والشجرُ
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزلْ للورَى ثلاثُ شُموسٍ وجهُكَ المستضيءُ والقمرانِ
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول زهير ^(١) :
تراهُ إذا ما جئتهُ مُتمللاً كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جمل المدوح فرحاً به راضٍ يناله وليس هذا شأن
الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :
وَأَتْنُ فَرَحَتْ بِمَا يُبَيْلُكَ إِنْهُ لَمَّا يُبَيْلُكَ مِنْ نَدَاهُ أَفْرَحُ
مَازَالَ يُعْطِي نَاطِقاً أَوْ سَاكِناً حَتَّى ظَنَنْتُ أَبَا عَقِيلٍ يَمْزَحُ
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أَسْأَلُ نَصْرَ لَا تَسْلُهُ فَانَهُ أَحْنُ إِلَى الْأَرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ
وقال بعض الأعراب : مازال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لاياس بن معاوية أي الناس أحب اليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائي في خلاف ما قال زهير :
فَتَى لَا يَرَى سَوْقَ الْمُهَوَّرِ غَرَابَةً وَلَا غَالِيَاتِ الْمَالِ حَلْباً عَلَى نَحْرِ
فَتَى كَانَ مِكرَماً لِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ مُهِيناً لِدُنْيَا غَيْرِ مَأْمُونَةٍ الْغَدْرِ
وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبدع في ذلك
البحر في قوله :

سَلامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلامُ تَحِيَةً فَوَجْهَكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِي الْمُسْلِمَ
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سلمى المضري ، قال ابن
الأعرابي : كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كَأَنَّمَا الْقَطَرُ مِنْ نَدَى يَدِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الْأَسَدِ :

وَلَا تُنَمِّ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى
أَرَادَتْ لَتُنْتَنِي الْقَبْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى
إِذَا مَا أَتَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ
لَهُ فِي بَنِي الْحَاجَاتِ أَيْدٍ كَأَنَّهَا
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

عَهْدِي بِهِمْ تَسْتَنْيرُ الْأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا
وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ
وَقُلْتُ : إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ فَعَلَّ إِلَيْهِ
وَقُلْتُ : كَأَنَّكَ فِي خَدِّ الزَّمَانِ تَوَرَدُ
فَمِنْ يَكُ مَمْدُوحًا بِنَظْمٍ يَصْوَغُهُ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَتَوَاضَعُ لَوْلَا التَّكْرُمُ عَاقُهُ
وَفُتْوَةٌ جَمَعَ التَّقَى أَطْرَافَهَا
وَشَبِيهَةٌ فِيهَا النِّهْيُ فَإِذَا بَدَتْ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ إِذَا تَفَرَّقَ مَالُهُ (٣)
جَذْلَانُ (٤) يَطْرَبُ لِلسُّؤَالِ كَأَنَّمَا
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ويدي أحاطهما بماء السؤدد » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التبسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرَّ أبليج يكسو نفسه حُللاً من المحاميد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صلب
كأنه وهو مسئولٌ وممدحٌ غناه إسحقٌ والأوتار في صخب
بهتزُّ عطفاه عند الحمد بسمعه من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل ^(١) يفياع الأرض يشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت : وقد يؤنس الزوار منك اذا التقوا سخاء عليه للطلاقة شاهد
وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجئته متعباً كأنك بالمنقاش تنفُ شاربه

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنني حاولتُ تنف الشعر من آنا فيهم
ثم فاسقنيها بالكبير وغنني ذهب الذين يُعاش في أكنافهم
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول جرير ^(٢) :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزیز ذي انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده) وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح

(١) في الديوان المطبوع «موكلاً» . (٢) هو جرير بن عطية الخطفي ، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال اني لا أعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كُعباً بَلَغْتَ ولا كِلَاباً

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَاباً

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنَّ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلِمَا أَزْدَادَتِ قُوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردتها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ يَبْغِضُهَا ذُبَابَا

وقالوا امدح بيت قالته العرب قول حسان^(٢) :

يَغْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُرَ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبئهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصورة عارض بها الدريدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحارث :

اتَّهَجَوْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرَكَا لَخِيرَ كَمَا الْفَدَاءُ

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكرائهم بهم ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم^١ لآية حربٍ أولأى مكانٍ
وقال ابن هرمة^(١) في أثر الكلب بالضيف :

ومستنبح تستكشط^٢ الريح^٣ ثوبه ليسقط عنهم وهو بالشوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أوليفزع^٤ نوم^٥
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند أيقاظ^٦ المهين مطعم^٧
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لعبد العزيز على قوميه وغيرهم من غامرة
فبابك أين أبواهم ودارك مأهولة طامره
وكلبك آانس بالمعتفين من الأم بابتها الزائره
وكفك حين ترى السائلين أندى من الليلة المسطره
فذك العطاء ومنك البناء لكل مخبرة سائره

وقال الخطيئة في خلاف ذلك :

ملوا قراء وهرته كلابهم^٨ وضرّسوه بأنياب وأضرّاس

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سقى الله القباب وتل عيدي وبالشرفين أيام القباب
وأيام لنا قصرت وطالت على فرط نائمة الكلاب

وقال آخر : ومايك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول^٩ الفصيل

معناه أن الكلب يضرب إذا نبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللين والفصيل

(١) هو إبراهيم بن علي الكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تمَّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كمل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضرهٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءهم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضرر فأنما يُراد الفتى كيا يضرُّ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبهم بدوراً وإن ركبوا فأنهم حتوف
 وقال آخر : فذلل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقف الأيام بالعتب والرضا على بذل مال أوعلى حد منصل
 وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامة غيث أو ضبابه قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما يوبه فنى بأسه شطره وفي جوده شطر
 فلامن بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الشجاعُ أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلها
 إذا ما تلظى في وغي أضعق العدى وإن فاض في أكرمته^(١) غمر الربا
 رزين إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرمته »

حياتك أن يلقاك بالجوّد راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا
 حرون إذا طارزته في ملة فان جثته من جانب الذل أصحبا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعدا وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي الخير والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلحم الحوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بني الجارو د لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخا بضر وينفع
 فاذا زياد في الديار كأنه مشط يقلبه خصي أصلم

وقد أحسن البحتری في المعنى الأول وهو قوله :
 هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) فله تقواه والمجد سائره
 له البأس يخشى والساحة ترتجى فلا النيث ثانيه ولا الليث طائره
 كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصواته لا يستطيع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صغارها
 وكائن ترى في البرمكيين من به ومن سابقات لا بشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعدا وان هم لم يذهب به الهم مذهبا
 والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيب^١ بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^٢ فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فنى نكلت أخلاقه غير أنه جواد^٢ فما يبقى من المال باقيا
أشم طوال الساعدين شمردل^(٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهيت إلى قوله :
أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
الفتنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :
فان يك باقي أفك فرعون فيكم^٣ فان عصا موسى بكف^٤ خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم^٣ فباقي عصا موسى بكف^٤ خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العماني الراجز في
صفة الفرس :

كان^٥ أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلهاً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تحال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العماني

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
من هجر الاوثان ونهى عن الخمر قبل الاسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجري وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتمتعوا من عطفه ووطنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
يفشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقبله : لله در عصابة نادمهم يوماً بخلق في الزمان الأول
أولاد جنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية التكريم المفضل
ثم قال : فلبثت أزماناً طويلاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتي يحب المجد يجل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون بيهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجد وغيرهما من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جهها وما يجري معها قال الراجز : * فمن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)
وقال السموءل : وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معروفة وحجول
أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

يا قمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيندري الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بفتاب
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يسكى فيندرى البحر من كوة ويلطم الشوك ييلوط
وأخذ حسان قوله * ثم اد كرت كأنتى لم أفعل * من قول أبى كبير :
فأذن ذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شئ * كأن لم يفعل

وقال ابن شبرمة أمدج ما قالت العرب قول الخطيئة :

أولئك قومٌ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفصوا وإن عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبأ لا ييكم من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
وبعدانى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد

ولعمري ان معانى هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فاعلم
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى الجدد - والحد من قولك - د السيف وحد السنان ، والجدد خلاف
الهزل والختار الحد بالخاء . يقول الخطيئة فى بنى لائى بن شماس من قريع ، وكان
الزبرقان بن بدر لقي الخطيئة فى سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان انى أريد وجهاً فصر الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمته فحسده بنو عمه وهم بنو لائى فسدوا الى الخطيئة
وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد الى كل طنب من أطناب بيتك
حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انها قدّم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمتُ يأساً مَبِيناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالإياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ماهجناه ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
ألقيت كاسهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما أثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسى وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال اني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى نعيم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجاسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانونا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته السكاع
وقلت لنفسى :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لى وجهاً قبح^(٢) الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل » . (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال بذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
 وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتماً بضراً ولا مديحاً ينفع
 ومنعتني عرض البخل فلم يخف شتى وأصبح آمناً لا يجزع
 وكان الخطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو
 يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
 عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
 وقالوا أبخل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
 وقال لعلى ان حملت عليه لا أموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
 لكل جديد لذة غير أنني رأيتُ جديد الموت غير لذيذ
 وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
 قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
 وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا * من قول كعب بن زهير حيث يقول :
 ولا تَمسكُ بالعمد الذى عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايلُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
 وعباد بن سليم الحضرمي قال أنشد الخطيئة عمر :

مهايسى يروى رسماً صيف أهلها	إذا النار أبليت أوجه الخضرات
عظام مقبل الهام غلب رقابها	تبا كرورد الماء في السبرات
يزيل القناد جذبها عن أصوله	إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجاء قومه فلما بلغ إلى قوله :	
فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم	ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دقرٌ مثل الثيوس ونسوة	مماجين ^(٣) مثل الآتن التعرات

(١) في نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) في الأصل « مقرورة » .

(٣) في الأصل « لماجر » وفي ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيتُ ابنَ خطابٍ تجاهل بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهمل بن عوف عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بنى عمرو فانهم أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جاهدوا فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لا قيتُ سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قيلت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء فى أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الأنبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دلامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت الفضل الضبي يقول أتانى رسول المهدي
 فقال أجب فإلى ذلك فضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرنى بأمدح بيت
 قالته العرب فتحررت ثم جرى على لسانى قول الخنساء :

وإنَّ صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا اذا يشئو لنحارُ
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا علىَّ فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتني أبيات ابن مطير الأسدي :

وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) فى النسخ « فناء » مكان « فناء » . (٢) بعض المعجز غير موجود

هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تسكدر عيشه^١ وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها^٢
 فلا تقرب الامر الحرام فانه^٣ حلاوتها^٤ تقنى^٥ ويبقى سریرها^٦
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أخاها جيلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه^١ من نسل شيبان بين الطلح والسلم^٢
 كأنه الشمس في البرج المنيف به^٣ على البرية لا ناراً على علم^٤
 وتبعته فقلت :

خير الورى لخيار الناس كلهم^١ وشرهم لشرار الناس سوار^٢
 منبه الذکر معروف طرائقه^٣ كالشمس لا علم في رأسه نار^٤
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتنی^١ كالشمس لا تخفى بكل مكان^٢
 وقال بشار : أنا المرعث لا أخفى على أحد^٣ ذرت بي الشمس للقاصي والمداني^٤
 وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم^٥ نداه أول^٦ والغيث ثانی^٧
 ويجري والحجرة في عنان^٨ فلا يخفى على ناء ودان^٩
 تصور في القلوب فليس ينأى^{١٠} على نأى المحلة والمكان^{١١}
 إذا عبس الزمان فل اليه^{١٢} تجده البشر في وجه الزمان^{١٣}
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للأذى^{١٤} وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع^{١٥}
 فتى بأسه كالدهر مأمّن ملجأ^{١٦} ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع^{١٧}
 أغر شهير في البلاد كائما^{١٨} به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع^{١٩}

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمس النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه السماء
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب الشيرة حيث شاؤا
قلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح أمدح بيت قائته العرب قول الخطيئة :

متى تأتته تعشو الى ضوء ناره تجدد خير ناره عندها خير موقد

وقالوا أمدح المدح ما يكون بالتمفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان

أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحسنتما صفدى ولكن كنت لي مثل الريح حيا وكان خريفا
وكلا كما اقتعد العلاء فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كوا كب مجدي يعلم المجد أنها إذا طلعت بادت بصفر كوا كبه

وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الأعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا وذلل لك الدهر
فأنت كاقبال الشبيبة والصبا تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
وليس كرام الناس إلا كوا كبا على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
وفي الناس أجواد كثير وإنما أولئك أئساد وأنت لهم بحر
فان أظلم الأحداث واسود ليالها فهم شفق فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كالب قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرًا على المجد والعلا فان العلا روضٌ وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم مماء مظلةً لها أنجمٌ من زهر أخلاقكم زهرٌ
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤٌ من تعطه اليوم نائلًا بكفئك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجود لا يدنى من المرء حتفه كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلى الاخيلية في توبة ^(١) :

فلا يبعدنك الله ياتوب إنها لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
فنعم فتى الدنيا وان كان فاجراً وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحيا من فتاة خريدة وأشجع من ليث بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُعطها فيطلعهما عنه ثنايا المصادر

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع حاجةً بلبانٍ أخرى كذاك الحاجُ ترضعُ باللبانِ
يقول فبرفعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :

فأقسم أبكى بعد توبة هالكاً وأفعل من نالتُ صروفُ المقادرِ
وكان بيت الأعشى :

تشبُّ لمقرورين بصطليانها وبات على النار الندى والمحاقُ
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأتته تعشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمحق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمحق المدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلتُ له أقبل فانك راشدٌ وإنَّ على النارِ الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعدا لخنساء .

وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقصره على نفسه ومشيغٌ غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فنى إذا عدت نعيم مما سادتها عدوه بالخنصر
ألبسه الله ثياب الصلا فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثاً خلالٍ قد عُرفنَ له هل سب من أحد أو سب أو بخلا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاضني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذى لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيثِ فانه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خبطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعمى عنها ناظرَاهُ كأنما بعوراءٍ عيني جده كان ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قبل قول الأول :

قوم سنان أبوهم ^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قومهم أوجدهم قدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزعُ الله عنهم ماله حسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .
ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن المكرماتِ أبت
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً
وسمعتُه يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصلت في
عبد الله بن جردان ^(١) :

عطاؤك زينٌ لا مريءٍ إن حبوته
وليس بشينٍ لا مريءٍ بذلٌ وجهه
وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِلاتِه هَرِمًا
لو نالَ حَيٌّ من الدنيا بمكرمة ^(٢)
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرِمٍ
وروى بعض الرواة للنابغة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لنِعمَ الفتى ألا عرجٌ لا النكس ^(٣) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السـمحروب والمرجل والجامل ^(٤)
والطاعنُ الطمئة يومَ الوغى ينهل منها الأسـلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرحل والجامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله يروع^(١) منه البلد الساحل
والغافر الذنب لأهل الحجا والقاطع الأقران والواصل
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :
خلفت أنامله لقائم مرهف ولبت فائدة وذروة منبر
يلقى الرماح بوجهه ويصلده ويقيم هامة مقام المغفر
ويقول للطرف اضطبر لشبا القنا فهدمت ركن المجدان لم تعقر
واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربل سربال ليل أغبر
أوما إلى الكرماء هذا طارق تكترتي الأعداء ان لم تنحر
وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي
حفصة^(٢) في معن بن زائدة الشيباني^(٣) :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل
هم المانعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السما كين منزل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن كأوهم في الجاهلية أول
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ثلاث بأمثال الجبال حيأهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في الثائبات وأجلوا
ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثناة الراء مراعاة : أكلاء، والمربع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لأمده بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ ممن تصيبُ جوائحُ الأزمانِ
معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبانِ
مطر أبوك أبو الاهلة والذي بالسيف حاز هجائن النعمانِ
نفسى فداءً أبي الوليد إذا علا رهج السنايك والرماح دوانى
فقال يحى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفان اشبلُ
وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابه يوماه علينا فأشكلا فما نحن ندرى أى يوميه أفضلُ
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجلُ

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
أبو يوسف القاضى - وكان عدیل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد
أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقول لكم امدحونى
بمثل قول القائل : بنو مطر يوم اللقاء كأنهم . وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة
فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بخذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبى طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يُحمد الاجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غرته تضاءل النيران الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حُدَّ عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدرُ

(١) الزبر : الانتهاز والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبى طاهر ، قال هذا
الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجنة في تمييز نوعى المشنين له يحيى .

من لم يكن حنراً من حدّ صولته ثم يدرما المزججان الخوف والحذر
 حلو إذا أنت لم تبعث مرارته فان أمرّ فخلو عنده الصبر
 سهل الخلاق إلا أنه خشن كين المهزة إلا أنه حجر
 لاحية ذكر في مثل صولته ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكر
 إذا الرجال طفت أراؤهم وعموا بالأمر ردّ اليه الرأي والنظر
 الجود منه عيان لا ارتياب به إذ جود كل جواد عنده خبر
 ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأثو :

أوفوا من الجدي والعليا في قلل شيم قواعدهنّ البأس والجود
 سبط اللقاء إذا شمت مخائلم بسّل اللقاء إذا صيد الصناديد
 محسدون ومن يعلق بجلمهم من البرية يصبح وهو محسود
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة بيضاء يندى بنانها قليل إذا اعتل البخيل اعتلالها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه وعدت غداً عادت عليك شمالها
 ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسب
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من تذهب
 وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيكم بقية حي قيس وهضبة التي فوق الهضاب
 تبارون الرياح إذا تبارت وتمثلون أفعال السحاب
 يذكركم مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعكوك في أبي دلف :

إمما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فاذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإمما ازدراه
لدمامته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
الفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة غنى وما أظلم من استبرأ
فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفعها بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشور على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جدد في رأسه مكروهه الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لى في ذلك من الاجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع
دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدنى بيتى أبى دلف^(١) ثم قال :

أشرقن في أسود ازرين به كان دُجاء لهوى البيض سبب^(٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الغض ظلاً يُستلب

كان الشباب لمة أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري وائماً في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمر في بيتى» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربّ عن أطفاله
 مطرد يرتج في أقطاره
 تحسبه أقعد في استقباله
 وهو على إرهاقه وطيه
 تقول فيه جنب إذا انثنى
 يخطو على عوج يناهين الثرى
 تحسبها نائثة حين خطا
 يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغ الجهد به راكبه
 إذا تظنينا به صدقنا
 ثم انقضى ذاك كأن لم تبقه
 وخلف الدهر على أعقابه
 فحمل الدهر ابن عيسى قاسما
 كرونق السيف انبلاجا بالندى
 لا وسنت عين رأت غرته
 لولا الأمير لغدونا هملاً
 ولم يقم بيأس يوم وندى
 تكاد تبدي الأرض ما أضمره
 ويستهل أملاً وخيفة
 وهو وإن كان ابن فرعى وائل
 وبملاؤه وعلا آبائه
 يا واحد الدنيا ويا باب الندى
 بأعوجى دلفي المنتسب
 كالماء جالت فيه ريح فاضطرب
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 يقصر عنه الخزمان واللبيب
 وهو كمثل القدح ماقه جنب
 لم يتواكل عن شظا ولا عصب
 كأنها واطئة على نكب
 أو ابد الوحش فأجدى واكتسب
 ويبلغ الريح به حين طلب
 وإن تظنى فوته الطرف لزب
 وكل بقيا فالى يوم عطب
 فى القدح فيه وارتجاع ما وهب
 ينهض به فراج هم وكرب
 أو كفراريه على أهل الريب
 واستيقظت نبوته من النوب
 لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١)
 ولا تلاقى سبب إلى سبب
 إذا تداعى خيله هلا وهب
 إذا استهل وجهه وإن قطب
 فبسماعيه ترقى فى الحسب
 تحوى غداة السبق أخطار القصب
 ويا مجير الرعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زائدة «أو نسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریش^١ عرفت ولا العرب
 خذها امتحاناً من ملئ بالحجا لكنه غير ملئ بالنشب
 وقر^٢ بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف برجف^(١) إليه حتى مست ركبناه ركبته فلما
 بلغ قوله * لكنه غير ملئ بالنشب * قال لا ملأني الله إن لم أملاك يا غلام كم في
 بيت المال ؟ قال ما قبضته من عامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهري قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه علي .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى القبائل معن^٣ كل معضلة^٤ يحمي بها الدين أو يرعى بها الحسب^٥
 كنز المحامد والتقوى ذخائره وليس من كنزه^(٢) الأوراق والذهب
 أنت الشهاب الذي يرمى العدو به فيستنير^٦ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز^٧ القصب
 أن الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق أن نزلوا والموت أن ركبوا
 قد جرب^٨ الناس قبل اليوم أنهم أهل^٩ الخلويم وأهل الشغب أن شغبوا
 قل للجواد الذي يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفتوت^{١٠} والطلب
 قوله فمالك إلا الفتوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشدّه

اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح^(٣) :

(١) « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الأصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفي ، أكثر شعره في مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفضك الله بالتكرم والتسقيى فتعملو وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُوددٌ تسامى له ضخمُ الهمومِ مُهمام
إذا اهتزَّ للهبجاءِ فهو مُهندٌ أو اهتزَّ للأفضالِ فهو غمام
تواضعَ وهو النجمُ عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواحِ وهو شام^(١)
ارجيه يوماً أو الأقبية ساعةً فيخصب لي طمٌ ويمرء عام
يريدونَ منه أن يرضنَّ وإنما أرادوا مجودَ الغيمِ وهو رُكام
ولاعيبَ فيه غير أن ذوى الندى خساسٌ إذا قيسوا به ولثام
باغتَ من العلواءِ مافاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فمن مُبلغ عني الكلامَ أنهم إذا استيقظوا للمكرمات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميشل^(٢) في عبدالله بن طاهر^(٣)
قالت ركتَ فقلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمّر يركع
وعهدتني أمضى لشأى مطلقاً فليتُ بعدك بالنساء والأجدع
يا من يؤملُ أن تكون خِلاله كخلالِ عبدالله أنصت واسمع
فلأنصحك في المشورة والذى حجَّ الحبيبُ إليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبدالله بن طاهر
الخزاعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا واسكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماسة فانه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة
كتب فاختر منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
قالبه ^(١) فأتى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحتري :

ذات حسن لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت مزيدا
فهى الشمس بهجة والقضيب اللدن ^(٣) لينا والريم طرفا وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

واذا ما عدت يحيى وعمرا وإياسا ^(٤) وطامرا ووليدا
وعبيدا ومسهرأ ^(٥) وجديا وندولا وبحترا وعثودا
لم أدع من مناقب المجد ما يقسنع من هم أن يكون مجيدا
وقلت في المديح :

حليف علاء ومجد وفخر وبأس وجود وخير وخير
أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدور
وقلت في المديح أيضا :

من الغر لا حواشم ومضوا ظي وصالوا أسودا واستهلوا سواريا
ومن المديح البليغ قول الأول :
متبذل في الحى وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله « قائله » . (٢) في نسخة « ينطلق » . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحتري « الفض » مكان « اللدن » . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري
« أبانا » مكان « إياسا » . (٥) في الأصل « طامرا » مكان « مسهرا » والتصحيح
من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الاقوامُ أن يتناولوا بلا مِنةٍ أحسنتَ أن تتطولا
فقطمتَ عن ذاك التعظم منهم وأوصاك نبيل القدر أن تنقبلا
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :

دنوتَ تواضعاً^(١) وعلوتَ قدراً فإلاك انحدارٌ وارتفاعٌ^(٢)
كذلك الشمسُ تبعدُ أن تسامى ويدنو الضوءُ منها والشعاع
فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كما انحطَّ ضوءُ البدر وارتفعَ البدر
وأجود ما قيل في صفة الرجل الخازم الجلد من قديم الشعر قول نقيط بن يعمر^(٣)
فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلعا
لا مترفاً أن رخاء العيش ساءده ولا إذا عض مكروهٌ به خشعا
ما انفكَّ يحلب هذا الدهرَ أشطره يكون مُتبعاً طوراً ومُتبعاً
لا يطعمُ النومَ إلا ريث يبعثه^(٥) هم يكادُ حشاه يحطم الضلعا
حتى استمرَّ على شزر مريرته مستحكما الرأي لا قحماً ولا ضرعا
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهرُ سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازلُ اخدانَ الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزد^(٧)
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٨) وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذي في الديوان المطبوع :

دنوتَ تواضعاً وبعدتَ قدراً فشأنك انحدارٌ وارتفاع

(٣) الأيادي شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادارَ عمرّة من محملها الجرط» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هو ازن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .

(٧) كذا (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القرّ جزأة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كميشُ الأزار خارجٌ نصفُ ساقه صبورٌ على المزاء^(١) طلاعُ النجد
 قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غد
 إذا سارَ بالارضِ الفضاءِ ترينت لرؤيته كلاً أتم المتبـدد
 فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الارض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرائى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسَّبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
 قطب الخشونة والليان بنفسه^(٢) فغدا جليلاً فى العيون لطيفا
 هزته معضلةُ الأمور وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيفها
 يقظان أحصدت التجارب جزمه^(٣) شزراً وثقف عزمه تثقيفا
 وسلكن من أترابه الشعل التى^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيماً
 وبلابل لو أنهن ماآكل لم تخطىء الغسلين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :
 مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعله « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدي غارة ومُعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وإن من السماح جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدة إن كان هضب عمايتين تليدا
متوقدٌ منه الزمانُ وربما كان الزمانُ بآخرين بليدا

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وسماحه ظهر^١ عليه ما يغيب وشافم^٢
ولما جرى للمجد والقوم خلفه تغزل أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يتكافأ الناس شتى خلاهم وما يتكافى في اليدين الأصابع
إذا ارتد صمتا فالرؤس نواكس^٣ وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلب ما ينفك من يقظاته ربابا على أعدائه وطلائع
جنان^٤ على ما جرت الحرب جامع^٥ وصدر^٦ لما باتى من^(١) الدهر واسع
جدير بأن ينشق عن صوه وجهه ضبابه تقع تحته الموت نافع
تذود الدنيا عنه نفس أبيه وعزم كصدر^(٢) الهندواني قاطع
بعيد مقبل السر لا يدرك التي يحاولها منه الأريب الخادع
ومنكم^٧ التدبير ليس بظاهر على طرف الرأي الذي هو تابع
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه متى هو مصبوب عليهم فواقع
لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً
يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحهم إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطيرة :
إذا جدَّ عند الجد أرضاك جدُّه وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

بَسْرُكَ مَظْلُومًا وَيُرضِيكَ ظَالِمًا وَكُلَ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :
إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لِهَارُونَ إِلَّا مَامُ نَظِيرٍ
فضله على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكُنُ
فَجَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ سَوَاءً فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ .
وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

مَنْبِعُ الْحَمَى لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ بَظَلِ النَّدى يَسْطُو بِهَا وَيَسُورُ
كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ :

عَجْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ ابْضَحَكَتَهُ رِقَابُ الْمَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكَمَا فَإِذَا النَّدى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
يُرُوحُ وَيَغْدُو سَاجِيًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرُ
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَتْ بِمَكْتَرَتْ لَكِنْ لِهِنَّ قَهُورُ
يُرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِاسْطِجْهَدَ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ
ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إِنْ الْمُسْكَارَمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً أَحْلَاكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ^(١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر « خليفة الله إن الجود أودية » .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :

أناك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أنفدو بمستن العيون مخيما وأنتَ بعيب العالمين موكل
وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكم الرأي مُستغن بوحده عن الرجال برب الدهر مضطلع
يقرى العدو المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع
إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نخشع
لما أخذتُ بكفى حبال طاعته أيقنت أني من الأحداث ممتنع
ان الخليفة هارون الذي امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمره ذكرناه فيتسع
أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولي عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
إلى العتابي طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمره ذكرناه فيتسع
فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسعي أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطالبها لست تم
إذا عرضَ الهمُّ في صدره لها بالعطاء وضرب البهم

(١) هوزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين .

فقل للخليفة ابن جسته
إذا أيقظتك جسام الأمور
فتى لا يبيت على ريقه
يحب العطاء وسفك الدماء

وقال البحتري :

إذا المبتدى بالله عدت خلاؤه
وقلت : كم غابة لكم تقاصر دونها
يعلو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يُبدد شملها
ذلت له نوب الزمان وأصبحت

وقال البحتري :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرض ابتدوها كأنما
ودون علامهم للمسامين برزخ
بتدبير مأمون على الأمر رأيه
وذوها جس لا يحجب الغيب دونه
تريه بطون المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن عبد الله بن الحسن عن البحتري قال سمعت إبراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التيمي شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

تري ظاهر المأمون أحسن ظاهر
يناجي له نفساً ترسع بهمة
وأحسن مما قد^(١) أسر وأضمر
إلى كل معروف وقلبا مطهرا

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى الخوف الله أن يتكبّرا
 طويلُ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلم رفل ذيله وإن شمرت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا
 أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
 الرصفاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
 السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت على الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
 مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بني شيبان
 ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
 ورمح مركون يلعب سناناه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردّ
 على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بعيون كميون أخشاف
 الأطباء فقالت إحداهن اطمنن يا حضري فقلت وكيف يطمنن المطلوب أو يأمن
 المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوى إلى جبل
 يعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
 كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضم فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحى
 سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحى
 في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب الثار وبهذا
 وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتىً لو وزنته بكل معدى وكل يمانى
 وفي بهم حملاً وجوداً وسودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
 فتى كالغداة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
 أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطوهم يداً وأعلاهم فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من دونه بستان
كان العطايا والمنايا بكفه سحابان مقرونان مؤلفان

فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واخط عارضه
وخشن جانبه فقال أى المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمننا له ما يضمنه لمثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ يبدى وجلس
وجلس ثم قال يا بنى أبى وذوى رحى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فمن أرادته فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سرح
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجة بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتبى الليلُ فى ظلماته زهروا

قومٌ إذا شومسوا لجَّ الشماسُ بهم ذاتَ الأباءِ وإن يأسرَتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

وقد ألبوا من جمعهم ما تألوا
لما شاء منهم طائعين تحببا

أبوك الذي لما أتى مرج راھط
تسنا للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحتری :

حرون^١ إذا عاززته في مُلعة
ونحوه : كريم^٢ بغض الطرف فضل حياته
وكالسيف ان لا يئنه لان^٣ متنه^٤
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجع :
إذا غاب عنا الفجر^٥ خضنا بوجهه
وقال خارجة أيضا :

سبيل المطايا بالوجود السوافر

ويسفر للسارى إذا جن^٦ ليله

وقال ادريس بن أبي حفصة :

وإني الرضا بين أيديها باقياد
ومن رجائك في أعقابها حادى
عن الرنوع^(١) وتلهينا عن الزاد

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نور^٢ تستضى به
لها أحاديث^٣ من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلها :

كفى خابط الظلماء ضوء المصابيح
فكم ثم^٤ من آسى جراح وجراح

إذا أشرقت في جنح ليل وجوههم
وان ناب خطب^٥ أو ألت^٦ مُلعة^٧

ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدینورى :
ولائمة^٨ لأمتك يا قيص^٩ في الندى
أرادت لتثنى الفيض^{١٠} عن عادة الندى
فقلت لها لن يقدح^{١١} اللوم في البحر
ومن ذا الذي يثنى السحاب عن القطر

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر^(١)
ولا أعرف في معناها مثلاً . وقلت :

تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ما تقضى مآربه
أفاده العز آباء ذوو كرم وزاده الخلق المحضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسب مَجْد أنت غاربه
ياليت شعري هل يستطيع شكركم دهر مساعيكم فيه مناقبه
وحين أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطتم نوابه
منكم على الدهر عين لا تناومه وللحوادث قرن لا تغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوكُ جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لأمريء مطمع ولا دونه لأمريء مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع الناس من حطه ولا يضع الناس من يرفع
رأيت الملوك تغض العيون إذا ما بدا الملك الاتلع
بدبته مثل تديره متى هبته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الغنى » من قول الأول :

له نار تشب بكل أرض إذا النيران جللت القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولا كن كان أرحبهم ذراعا

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خير منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام مجدكم بعدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمى
حصص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
همُ حضرونى والمهامهُ بيننا كما أرفض غيثٌ من تهامة في نجد
إلا أنت قوله * هم حضرونى والمهامه بيننا * أبديع وأحسن من قول
نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بمجفري لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالأياب
كمطورٍ يبلده فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :
لعمري لنعم الغيثُ غيثُ أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وأبله
ونعم الفتى والسدُّ بينى وبينه بسبعين ألفاً صبحتنى رسائله
فكنا كحى صبح الغيث داره ولم يحتمل أظمانه وجماله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالدٍ فجعلتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلن إليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلى الترحيلا

وأخذه أبو صفوان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :

نفسى فداءُ أبى العباس من رجل لم ينسنى قطُّ في نأى ولا كشب

يقرى وبالرقعة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من عجم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسى امرأً والشام بيني وبينه أتتني يبشرى برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمنُ البيضاء بعدك فأتجى على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا ففي أيّ يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جياته ويوم عطاءه ما بفرح نائله
 ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس :
 أسدٌ ضارٍ إذا هيجته وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
 يعلمُ الأبعد إن أثرى ولا يعلمُ الأذى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سماطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثله وجماله وكماله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحتته كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمرار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشتت
 به أعداؤه وجفاه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولاً ولا جازى
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنة في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أمرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتي فعل فقال
ابن هبيرة ممن الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزارَةُ بَيْتِ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ فِيهِمْ فزارَةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ فَعَالِهَا
لِهَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالشَّرَفُ الَّذِي بَنَاهُ لَقَيْسٌ فِي الْقَدِيمِ رَجَاُهَا
وَهَلْ أَحَدٌ أَنْ مَدَّ يَوْمًا بِأَنفِهِ إِلَى الشَّمْسِ فِي جَوْ السَّمَاءِ يَنَالُهَا
لِهَيْهَاتَ مَا عَمَّا الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ مَا تَرَى قَيْسٍ وَاعْتَلَاهَا خَصَالُهَا

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم
أتت لك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
الحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقك ، شفته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيبته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها أسلطانه ويزين بها مشهده ويتبوا بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على إصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمله
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الْفَوَادِ لِسَانُهُ إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الْغِيَمِ
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكْلِيمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

ومن بارع المديح :

وَلِي مِنْكَ مَوْعِدٌ طَلَبْتُ نَجَاحَهُ وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَخْلُفُ ^(٣) الدَّهْرَ مَوْعِدَا
وَعَوَّدَتْنِي أَنْ لَا تَزَالَ تُبْظَنِي يَدُ مَنْكَ قَدْ قَدَّمَتْ مِنْ قَبْلِهَا يَدَا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكار: الحراث . (٣) في الأصل «يخلف» .

فلو أن مجدداً أوندى أو فضيلةً تخذ شيئاً كنت أنت المخلد
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيلاء عن
الأصمى للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله درك أي جنة خائف ومتاع دنيا أنت في الحدّثان
متخبط يطأ الرحال غلبةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردان
وتفرج الباب الشديد رنأجه حتى يكون كأنه بابان
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتبك الاحساب أي حياة وحيا أزمة وحية واد
طاق معتق من اللوم (٣) إلا من مقاساة مغرم أو نجاد
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومهذب الألفاظ منطقة ما فيه من خطي ولا ممين
ما شئت من ظرف ومن شيم ما في محاسنهن من شين
ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين
قد أحسن وظرف ولم يقصر في تغليل الحز واصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كامل الآداب مُنفرد العلا والمكرمات ويا كثير الحاسد
شخص الانام إلى كمالك فاستعذ من شر أعينهم بعيب واحد
وقال ابن الرومي يمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتقص حادث وأبي لك التكميل أن تزيدا
وكأنتي بك قد نحت محمد في النائبات كما دعوت محمدا
فطلعت كالسيف الحسام مجرداً للحق أو مثل الهلال مجدداً

(١) المتخبط : القهار الغلاب . والغلبة بضممتين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى ان الزمان مُبيضٌ ماسودا
 ومثله قول الآخر :
 فما كنت إلا السيفُ جُرِّدَ في الوغي وأخذ في الهيجا وردَّ الى الغمد
 ومن أبلغ المديح :
 بديته وفكرته سواءٌ إذا مانابه الخطبُ الكبيرُ
 وصدره فيه لهم اتساعٌ إذا ضاقت من الهم الصدور
 . ومن أبلغ المديح قول البحترى :
 أخذوا النبوة والخلافة وانثنوا بالكرُماتٍ كثيرها وقليلها
 وإذا قريشٌ فاضلتك فضلتها بأبي خلائفها وعم رسولها
 وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كريمها ^(١) ونبيها ابن نبيها
 لو سارت الأيام في مسعاتهم لتناهلها لتقطعت في طولها
 رفعتهم الآيات في تنزيلها وقضت لهم بالفضل في تأويلها
 وإذا انشعبت أخذت خير فروعها وإذا رجعت أخذت خير أصولها
 وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ليحي كثيرٌ في العلا والمكارم
 يذكرني جود الغنائم جوده وشكرى له شكر الثرى للغنائم
 تخال به بدرًا مع الليل باهرًا يلوح على عرف من الليل فاحم
 يدبيل من الأيام والدهر منصف بعزم على الأيام والدهر حاكم
 يبرز من الانجاد كل مساور ويعلو من الاجاد كل مكارم
 بخلق كمتن الصخر في كف لاس وطور كجرى الماء في عين حاتم
 ورأى كصدر الراغبة شارع وعزم كحد المشرفة صارم
 على بلدة يسقى الضراغم ماؤها ويسقى بها الى دماء الضراغم
 ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «و كريمها ابن كريمها» .

رأيت لعمري خلائف لم تكن
له كرم لو كان في الماء لم يغرض
أخو عز مات بذله بذل محسن
بهو لك أن تلقاه في صدر محفل
وماضيق أخطار البلاد أضافني
وهذي ثياب المدح فاجرر ذيولها
وقد أحسن التنوخي في أبيات له منها :

وفتية من حمير حمز الظبي
شمس مجد في سموات علا
وقلت : ما المجد إلا سماء أنت كوكبها
فكل سابق قوم أنت سابقه
بالعقد تحكمه والأمر تبرمه
والعرض تمنعه والمال تبذله
وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصوني حدثنا شيخ
ابن حاتم السكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأثواء قال كيف نيلها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك
طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليل سحر كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه لنارِ الهوم
وقال ابن الرومي * كأن أيامهن كالسكر * وقلت :
أيامُنَا في جوارهُ بكرُ وليلنا في فَنائه سحر
ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فتدققا فكلَا كما يجر
وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد
وقوله : قى يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ
فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصير
وقول أبي العتاهية :

أنته الخلافةُ منقادةً إليه تجرُّ أذيالها
ولم تكُ تصلحُ إلاَّ له ولم يكُ يصلحُ إلاَّ لها
ولو رامها أحدٌ غيره لزلزلاتِ الأرضِ زلزالها
وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وإني واسمعيـل يومَ وفاته لكانعمد يومِ الروعِ فارقهُ النصلُ
فكان أغش قومًا بعده أو أزورهم فكانوا حش يدنيها من الأنسِ المحل
الأنس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :
أنتَ الجوادُ ومنك الجودُ أوله
أضحت يمينك من جودٍ مصورة
من نور وجهك تضحي الأرض مشرقةً
وقول البحتري :

وقد قلتُ للمعلَى إلى المجدِ طَرفهُ دَعِ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقانِ شاغله
صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله ورقت كما رق النسيمُ شمائله
والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعى نزال إلى الوغى
من المطربين الأولى ليس ينجلي
جملت نظام المسكرات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
رأيتهم رجلى كأنهم ركب^(٢)
بغيرهم للدهر صرف ولا كرب^(٣)
رحا سودد إلا وأنت لها قطب
مجنبتى مجد وأنت لها قلب
ومن أجود ما قبل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^١ كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل^٢ من عمى
شرف على أولى الزمان وإنما
لوم تكن من نبعة^٣ نجدية
مطر أبوك أبو أهلة^٤ وأبل
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا
أكفأة تلد^٥ الرجال وإنما
أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^١ أضاء عموده في رفعه
وشمائل^٢ شهد العدو بفضلها
وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلة^١
وقلت : قد نلت بالرأى والتميز منزلة^٢
وبالتكرم والافضال مرتبة^٣
قالوا أيمطر من محل ألم^٤ به
مال^٥ يبدد^٦ في جمع مكرمة^٧
كروضة أخذت بالغيث زخر^٨ فيها
حتى يسلمها إليه عدا^٩
ماناها أخواك البحر والمطر^{١٠}
لم يعطاها خادماك السيف والقدر^{١١}
فقلت قد تمطر الانهار والغدر^{١٢}
فالمجد^{١٣} مجتمع^{١٤} والماء منتشر^{١٥}
فالروض منتظم^{١٦} والغيث منتشر^{١٧}

(١) في ديوان البحترى «كياة إذا» . (٢) في نسخة «لرب» وهى الشدائد .

مناقب^١ ما يكاد الدهر يهدمها
 قابشر فانك رأس^٢ والعلا جسد
 لولاك لم تك الايام منقبة^٣
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامه
 والسيف^٤ أرهف^٥ للمضاء غراره
 أنت الربيع^٦ الغض^٧ رق^٨ نسيمه
 خلق كثر^٩ الروض^{١٠} ظل نباته
 الأولياء رخاؤه ورخاؤه
 يامن أدل على الزمان زمانه
 يدنو فيغمر^{١١} كل^{١٢} شيء فضله
 ما ان يزال من المآثر^{١٣} والعلا
 عال^{١٤} تسور^{١٥} فوق قمة^{١٦} سودد
 يبدو فيمدي الصبح^{١٧} غرة^{١٨} وجهه
 سبق الجياد^{١٩} فما يشق^{٢٠} غباره
 ولئن أبر^{٢١} على الحسام عزيمة^{٢٢}
 وكأنا^{٢٣} أقلامه^{٢٤} أسيافه^{٢٥}
 ما المجد إلا العقد جودك^{٢٦} شذره^(١)
 والجود^{٢٧} في يدك^{٢٨} اليمين^{٢٩} عنانه^{٣٠}
 مازال فوتك^{٣١} في اللواء^{٣٢} موليا
 فاعمر على زمن^{٣٣} أغر^{٣٤} محجل
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكلوهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :
فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعبت من جرى
ويبذل دنياه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على بحبي رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ماسعت له
إذا غلب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا
فتى لم تزنه بالقوافي وإنما
من الغر لا حوا أثمسا ومضوا ظي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فتية أخلاقهم وفعالهم
حل السرور حباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى
كذلك فوارض الثمرات تدنو
وأخبرنا أبو أحمد عن العيشي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قريش كان إذا سمع الماسح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس الملا طرأ عقيد الندى وهب
وما ضر وهباً عيب من جحد الندى كمالا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهش إليه ورقد وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغنياءاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا يعقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نمين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشين فقال: والله لفعل هؤلاء للمبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من عاثر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن الممات لكل حي وقيت به من الحدثنان محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أوتخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكلموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت: لقد علمت يحيى موافية الملا فضائل آباء تلتها فضائله
فحاز طريف المجد بعد تليده رفيع بطول النجم حين يطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خالاه ويملو مبواه ويبكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قالوا أنخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فإن كان مني ما كرهت فأنني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بني شيبان قدما بفعلهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فإن عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
فغض الطرف أنك من نمر فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاخ بني نمر على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنخر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قالته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بحضر موت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جَعَثْنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسَمَّى بَعْدَ قِضَتِهَا الرَّحَابَا ^(١)

ترى برصاً بأسفل ^(٢) إسكتيها كهنقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أرَ شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للغم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في

هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف

من خصم تظلم منه .

وقد قال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأنتم فأحسنتم فأثنتُ جاهداً وإن عدتمُ أثنتُ والعودُ أحسن ^(٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشرابُ المبردُ وقد عدتُ بعد النسك والعودُ أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتَ الناس كلهم غضابا

قال فمن أبهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بمجمع) مكان (بأسفل) . (٣) لهه م أحمد .

ثياب بني عوف طهارى نقيه . وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ماظلمت قريم بأن يبدوا المكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
يقوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا
قال اجلس لاجلست والله لقد خفت أن تفخر على .
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الإشارة إلى خلف
والإيحاء إلى قدام، والناس يجملون هذا البيت لجمل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلني ذو بنان بطرف
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف
إذا انتهب الأقوام مجداً فأننا لنا مغرماً مجد وللناس مغرماً
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيهم إذا الناس طغفوا
ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الاقتحار قال :

والشاعر المبتلى الشعرون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللمس من زحل
وعند الناس قصيدته الغائية أحسن وأسلم من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصر دونه . فيارب مظنون به الخير يخلف
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كل من تهواه يهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف (١)

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العسى عن العسى قال من
أحسن مامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشِيرَتِي بمنهضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولايَ عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادي بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلتني في الشعر واللب أني أقولُ على عِلْمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أبوابين.

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود
ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد برئت لحالها وقومت من أصلاها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم ما لم آهن بها فإن خفت من دار هوأنا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيلاً وإن حقَّ عرائي أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مدتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد ممعتها
رجاء غداً أن يعطفَ الودُّ بيننا ومظلمةً مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدُ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصبحُ ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ

وقلت في معناه :

وخلَّ الجهولُ وبُغضِي له فاني لبيبٌ أحبُّ اللببيا
بصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وإن كنتُ لم أرَ بدعاً عجيبا
وأستعملُ الحلمَ ما لم أكن أصبتُ من الدلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروباً
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان : فان تسألني عنا فانا حلى العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلى العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري انن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماء كل
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاطل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تك أثوابي تمزق عن بلي فاني كمثل السيف في خلق الغمد
ولا أبي هفان أيضاً :

تعجبت دُرُّ من شبي فقلت لها لا تعجبي من بياض الصبح في الصدف
وزادها عجباً أن رحت في سَمَلٍ^(٢) ومادرت دُرُّ أن الدر في الصدف
فرايت في هذا المعنى تسكناً فقلت :

غيرتني ان رحت في سَمَلٍ والدر لا تزدري به الصدف
وله أيضاً في هذا المعنى :

يُعيرني عري رجالٌ سفاهةً فعزيت نفسي مصدراً ثم مورداً
بأنى مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مجردا
في الفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسلولاً *
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل لزهير إن شتمت سراتنا فلسنا بشتامين للمتشم
ولكننا نأبى الظلام ونعتصى بكل رقيق الشفرتين مصمم
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) حمل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سمَل .

لقيط بن زرارة :

أغرّمُ أنى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايبتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أحق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزدق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى مَعيشَةٍ كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى للمجدِ مُؤَثِّلٌ وقد يُدرك المجدَ المؤثِّلَ أمثالى
قيل له فأياها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيقةِ الرجل
قال فأياها أرق قال قوله :

وما كُدرت عيناك إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبِ مقتل
قال فأياها أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

ويبترُ بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ وطامرٌ وإذا جَزَعنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا عُلوا لم يضجروا يومَ اللقاءِ واذا عُلوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رافتي واحاطتى وقد يشتكى منى العداةُ الاباعدُ
وذى ترّةٍ أوجعتهُ وسبقتهُ فقصر عني سَعِيهِ وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسَدِّلُنِي هَوَازِنُ أَيْنَ مَالِي وَمَالِي غَيْرَ مَا أَنْفَقْتُ مَالًا
 فَقُلْتُ لَهَا هَوَازِنُ أَنَّ مَالِي أَضَرَّ بِهِ الْمَلَهَاتُ الثَّقَالُ
 أَضَرَّ بِهِ نَعَمٌ وَنَعَمٌ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوَانَا وَلَا تَغِيبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
 وقول أبي جندب :

فَلَوْ زَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ يَزِدْ وَلَوْ فَقَدْنَا مِثْلَهُمْ لَمْ نَفْتَقِدْ
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجاً في الجاهلية
 فإذا أنا بشاب حسن العينين وضيق وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم إن الشيخ
 غيره بأن أمه من بني الأصفر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل أرقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سَائِلٌ وَخَلَلٌ فِي إِيَادِ بْنِ مَعَدٍّ هَلْ كَانَتْ الرُّومُ عبيداً لآحَدٍ
 هُمُ الرِّبِيعُ وَالسَّنَامُ الْمُعْتَمِدُ وَالذُّرُوءُ الْعُلَيَاءُ وَالرُّكْنُ الْأَشَدُّ
 وَأَنْتَ حَرْمِيٌّ لَثِيمٌ الْمُسْتَنْدُ عُصَارَةُ اللَّؤْمِ الَّتِي فِيهَا تَلْدُ
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتني منى فإذا رجل على جبل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هجأهم لأنه مربا لأوس والخزرج فهجأهم لاهجوته فنظر إلى قباب يبض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقد رد بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هَلْ هَهُنَا مَنْ وَلَدَ قَرْدٌ مِنْ أَحَدٍ أَعْطَاهُمْ مِنْ رَجْزِي الْيَوْمَ وَغَدَ

نفرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهم جلد عند
أنى ورب الرقصات في السند
ينفرن من وقع العصي والقدد
أنى لذو اليوم وذو أمس، وغدد
وابن هذيل وابن أشياخ معد
ثم لفهم ولفهم العدد
فلو نزاد ألف ألف لم نزد
ولو فقدنا مثاهم لم نفتقد
فارجع إلى معزك تيساً ذاجيد
أوفى على رأس يقاع فصخد
قال خلفت أنى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الاكثرين حصي
والاطمين ثرى * واحتج السموال لقلة العدد فأحسن :

تُعبِرُنَا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرام قليلٌ
وما قل من كانت بقاياها مثلاً شبابٌ تسمى للعلا وكهولٌ
وما ضررنا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكرثين ذليلٌ
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها الشبهتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جواهرٌ لو خالط الأرض أصبحت
وبطنانها منه وظهرانها تبرٌ
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
وأمردنا كهلٌ وأشبنا حبرٌ
إذا زينة الدنيا من المال أعرضت
فأزين منها عندنا الحمد والشكر
ليفتخر بجود من أراد فانه
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكرٌ
جری حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
بها القطر يوماً قبل أيهما القطر
فتى دخر الدنيا أناسٌ ولم يزل
لها باذلاً فانظر لمن يقى الدخر
ومنها : كاةٌ إذا ظل الكاة لدى الوغي
وأرماحهم محرٌ وأوانهم صفرٌ
بخيل لزيد الخيل فيها فوارسٌ
إذا نطقوا في مسهب خرص الدهر
طوى بطنها الآساد حتى لوانه
بدالك ما شككت في أنه ظهر

صبيته ما أن تحدث نفسها
 فان ذممت الاعداء سوء صباحها
 مساع يضل الشعر في طرق وصفها
 وقوله : مضوا وكان المكرمات لديهم
 بهاليل لو عاينت فيض أكفهم
 وأنى بيد في الجدر مدت فلم تكن
 أصارت لهم أرض العدو قطائعا
 إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
 فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا
 يمدون بالبيض القواطع أيديا

وقلما تجد في الافتخار شعرا يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باع الدهر بالعرف ضيقه
 وواقع نعماء عن الحر طائر
 متى ما يصبنى بالقوارع طرفه
 وهما مثل للخطوب جواب
 تريك الله تعالى بالنجوم طوالعا
 وترى على البيض الطوالع ان مضت
 تخافى الأيام فهي تخيفنى
 ولو كن في عيني لما قذيت بها
 أنطلع منها في ديارى طوالع
 يقارع منى بأسلا ذا حفيظة
 فتى بآتم الفضل ليس بقانع
 فما صحبته للأنام صنيعة

على كل ذى عقل وبالنكر واسع
 وطائر بلواه على الحر واقع
 أصابته همتى وهن قوارع
 كما أنهم للخطوب دوافع
 وهن إذا لاحت بنجوم طوالع
 وهن على العلات بيض قواطع
 وللنكر تهديد إذا ريع رائع
 فكيف ترى أنى إذا صلت خاشع
 بسوء وهما عليها طلائع
 يقوم أزاء النصر حين يقارع
 ولكن بأدنى بلاء العيش قانع
 ويصحبهم منه وفيه صنائع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل سامان باذخ
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن ^(١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكلب خير من وُلدت
وعيرتنا وما ان طلَّ را؟
غلاة مودة والاشراك مكتمل
ان تعبسى لدم منا هريق بها
أقعد وقم طالماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطي؟
كم عرَّضوا أيدياً ييضاً مكرمة
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجاني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وقال ابن المعتز:

فقرى فتى وشبابي كهل
وكل فضل لي عليه فضل
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير ^(١) الختلى ^(٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوفاً وطبع عطوفاً فلا بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لغيثه مخيلة ولا نحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلبنه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتبار أخلق ^(٣) من صفاقة الدهر حجر ^(٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يعد الوهم فيها وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علماً وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رطاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود وللأنف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشرو في مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يحل به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الانقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وإن أحست منه بجفوة أجذبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش بأعراضه وتقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضح الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما غناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الجبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس

المعالي الأمير الأديب المنشيء . (٣) لعلها مقحمة (٤) في نسخته « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع السنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى مايراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الإنسان وكل
العيون بصور الغيلان وأبنت العشب على البحار وأبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنازمة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهيما لا شية به ومن لم يأو منه إلى ظل
ظليل ظل صريحا لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه مالم يعاود الصلاة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء غنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وعرضه ومتمزز بسائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافي وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيدا وصاله ومستصلحا بالالحاف خصاله وعدى عليه
هذه العجائب لاستمالته من جانب إلى جانب لا تفى ممن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع إلى نازع عن خلته أو مؤئل حالا عند من ينحت أثلته^(١) ومقبل بوده على من
لا يجعله قبلته فأنى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وإن السماء لا تتوق إلى تقبيل هامتى لما رفعت إليها طرفا ولو كنى أكره أن
يعرى فحره من قلادة الحد ويجنب جنبه اكليل المجد ويظل وجهه الوفاء بقبضه
على يده مسودا وركن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه مكارمه
كلف الخمول ويأذن لطواله معاليه بالا قول فان فضل سيدى الخلود على الوجود والدم
على الوجود ونزل من شامخ إلى خفض ومن حالى إلى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال إلى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خصرى وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رئت حبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي متحول
وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٢ حسامه^٣ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٤
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتك بالله ما تعلماني ولا تكتما شيئاً فعندك خبري
أرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغري
وأسال^٥ نيلاً لا يجاد بمثلها ويفتحة بشري ويختمه عذري
ويارب يوم ما توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقعت إلى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا

وأشندنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت فيه اللين والقطعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه ولا يضيق به ذرعي إذا وقعا
كلاً لبست فلا النماء تبطرنى ولا تخشعت من لأواها جزعا
وسألت بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت

قول الأقيس^٦ القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي بأبي على يسير^٧

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي النشاش :

على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أولع بالشعر

ونبغ فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَسْتَصمبُ الأُمُـرَ لا ترى منه بُدا
بادر و خـلَّ الهوينا و جـدَّ كما تجدا
فلن تلاقى جـدَّ حـتى تلاقى كـدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا لسيفٍ أسوى وقعته من لسانيا
وهي من قول حسان * و يبلغ مالا يبلغُ السيفُ مذودى *
وقلت : ولى لسانٌ إذا أطلقته عُرْضا سعى مساعيَ ضرغامٍ و ثعبان
وقد نمتنى أنجادٌ ججاجحةٌ من نجل ساسان تزهو نجل ساسان
هم الكواكبُ في أطرافٍ داجية أو العنان على أنباج أعنان
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتذروا ولا يمتنون إن متوا باحسان
وقلت : من يكن صائلاً بمثل لسانى لم يضره أن لم يصل بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغدا لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علف فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً نحل به السحاب في كل مفدى وما أب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشهمخي :

ألم تعلمي يا عمر ك الله أننى كريمٌ على حين الكرام قليل
وانى لا أخزى إذا قيل مُسَلَّقٌ جوادٌ وأخزى أن يُقالَ بِخَيْلٍ
فان لم يكن عظمى طويلاً فانتى له بالخصال الصالحات وصول
وإنك قصداً في الرجال فانتى إذا خلَّ أمرٌ ساحتى لجليل

إذا كنت في قوم طوال فضلتهم
 ولا خير في طول الجسوم وعرضها
 ولم أر كال معروف أمّا مذاقه
 وقلت : غنّى غنى نفسى ومالى فناعى
 وفخرى إسلامى وذخرى أمانتى
 ولى عز مات كالسيوف قواضيا
 وتغشى صدور النائبات صدورها
 ألا لا يذمّ الدهر من كان عاجزاً
 فمن لم تبلغه المعالى نفسه
 ولا أعرف فى افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(١) :
 ونحن الحاكمون إذا أطعنا ونحن العانفون إذا عصينا
 ونحن النار كون لما سخطنا ونحن الآخنون لما رضينا
 وقد أحسن ابراهيم بن العباس فى قوله :
 إمّا ترينى أمّام القوم متبعاً فقد أرى من وراء^(٢) الخيل أتبع
 يوماً أنيخ فلا أدعى على نسب واستبيح فلا أبقي ولا أدع
 لا تسأل القوم عن حىّ صحبتهم ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
 وقال : أميل مع الزمام على ابن عمى وأقضى للصدى على الشقيق
 أفرق بين معروفى وبنى وأجمع بين مالى والحقوق
 فاما تلقى حرّاً مطاعاً فانك واجدى عبد الصديق
 وهذا من قول الأول :

(١) فى الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب
 المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام
 بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورأى » .

وإني لعبدٌ الضيفِ مادامَ نأويا وما فيَّ إلا ذاك من شبة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد *

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أبني حنيفة أحكموا سُفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضبا

قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على مايسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والاسروا النكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف العجلي :

وكن على الدهر فارساً بطلا فأنما الدهر فارسٌ بطلٌ
لأبدٍ للخيّل أن تحولَ بنا والخيّل أرحامنا التي نصلُ
فمرةً باللجين نفقلها ومرةً بالدماء تنقل
حتى ترى الموت تحت رايتنا تطفأ نيرانها وتشتعل

(الباب الثالث من الباب الأول في التهاني)

لم تكن من الاقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأثي حتى زاد
النابعة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبالغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم يندر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النابغة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكلها شئ فهو عند العلماء معدود
فى جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكرك سيف بن ذى يزن واتبائه بالفرس
ومحاربته بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً فى رأس غمدان دار منك محلا
تلك المكارمُ لأقربان من ابن شيبب بماء فعادت بعد أبو الـ^(٢)

أخذه بعض شعراء الجبل فقال فى بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً فى شاذ مهروءع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملكِ تقصدهُ من هوزة بن على وابن ذى يزن
ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم فى لياليها
العبد والعبد والأيام بينهما موصولة لك لاتقنى وتثنيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة إليك بالفتح معقود نواصيها
أمت هرقلة تدمى من جوانبها وناصرُ الملك والاسلام مدميها
إن الخليفة سيف لا يجردهُ إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
مقارع الدين والدنيا عدوهما بمثل هارون راعيته وراعيا
وقلت : ما لليالى والأيام منقبة غراء تسمو بها إلا مساعيك
ربى يبيقك ماتهوى على فرح كما يلقيك ماتهوى وبعلبك
لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليه وينميك
ولا تزال لك الأيام موطاة تمضى قضاياك منها فى أمانيك

(١) فى الاصل « ينسب » . (٢) فى الاصل « شيبب بماء فعادت بعد أبو الـ » .

(٣) فى النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنية بالنوروز قول هارون بن
عليّ لعلّ بن محمد الحواري :

عليّ ياذا الجودِ والمعالي يامعدنَ الانعامِ والافضال
يا من به نيطت عُرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جودٌ بلا منٍّ ولا اعتلالٍ مبتدأ يُغنى عن السؤال
قابله النوروزُ بالاقبالِ ونِعَمٌ تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوالِ شبهك في تصرف الاحوال
فليس له أزهرُ ذو اشتعالٍ كأنه وجهك في الجمال
وصبحه بالمال ذو انهمال يحكي ندَى كفك ذا الأسيال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قولٌ غدا يوفى على الأقوالِ كمثل ما توفي على الرجال
فاشتمه الأجوادُ بالبخالِ وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذيالِ بعزٍّ ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليلى : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجري لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتائبهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتبافه مقدرة وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملات من النقط .

العبيد والحشم وأهدى مائة صر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجملت هبتى مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أياتنا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لا زالت من الله نعمةٌ تجددُها الأيام عندك والدهرُ
ولا زالت الأعيادُ تمضى وتنقضى وتبقى لنا أيامُك الغررُ الزهرُ
فانك للدنيا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرارِ دخرٌ هو الذخرُ
رأيت الهدايا كلها دونَ قدره وليس لشيءٍ عند مقداره قدرُ
فلا فضلَ إلا وهو من فضلِ جوده ولا يرُ إلا دونهُ ذلك البرُ
فأهديتُ من حلى المديحِ جواهرًا منصلةً يزهي بها النظمُ والنثرُ
مدائحُ تبقى بعد ما نفذ الدهرُ وتبهى بها الأيامُ ما اتصل العمرُ
شكرتُ لاسماعيلَ حُسنَ بلائه وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن محمد : أيها السيد النجيب عشت أطولَ الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرايم مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كمهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وانى ان جعلتهما هديتى لم أجدد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسالك^(١) سبيلاً ألتبس بها ما أعتد به في مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفي بما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكمها وله أنصون كرائم الذخيرة
او أهد مالاً فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرى فهو مرتين^٢ بجميل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستغنى بسنة البدر

ثم قرأه على فقالت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظيراً في رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهاني بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفظ ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة باللطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق^٣ فهو لاشك فاعله^٤ وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله^٥ وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره^٦ لقصر عل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله^٧ وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزداد : النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة الاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سننه^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسالك» . (٢) في النسخ متهمة من النقط .

في وسعنا مايفى بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقتصرنا على هدية
تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهى الثناء الجميل والدعاء الحسن
فقلت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل
الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب للمعتصم : النفس لأمر المؤمنين
والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام
أحمد بن يوسف ، والدعاء الذى فى آخره لعلى بن عبيدة الريحاني لم يزد سعيد بن
حميد فيه شيأ .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول على بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله
الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطوله وملاه من العز أمده
وأكمله وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع
له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد فصول فى النهاية قليلة النظير منها
ما كتب يهنى بالوزارة : انا أهني أطل الله بقاء سيدى الوزارة بالقائها الى فضله
مقاداتها وبلوغها فى ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من
كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن اثره عليها وعطفه حنان الفكر
اليها حتى قرت لديه قرارها وأثقت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من
استشراف أيادى النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو
فهى وليدة ذراه قد آلت لا تخط خطه وعاهدت لابرحت ساحتها فالحمد لله الذى
أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون فى ذبول الخيبة ويتسقطون
فى فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه
فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بحقين قديم
وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بانحيازها الى امضائه وتدييره فـا اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عنانه في يديه ومشولة من جملة العبيد لديه لازال آمراً ناهياً سامياً عالياً تنهأ الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فقيته متشبه بكفه واعتداله مضاه خلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سماعات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التى لا يترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه موروداً بالعلم ومتحملاً عنه بالغم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حلله التى استعارها من شيمته ومبدياً حليه التى أخذها من سجيته ومستصبحاً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سمادة تستوفي معها الهممة وما ترتقى اليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهنأ سيدي الموهبة التى ساقم اليه ومدرواقها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل الإيجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان: وصل كتاب
الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن
تسبح موحدة حتى تيسرت منتحان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن
وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالنجار أدام الله عزهما طالما ملك ونجا
سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأملت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف
المكارم واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر، وفهمته وشكرت الله تعالى
شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الأمانى فأجابته مصحبة وحمدته
حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتفني من السرور ما فسح مناهج
الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزججت
قلوب الأعداء عن مقارها وسألت الله أتمام ما أدناه من الأميرين السيدين من
سمادة لا يمتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الأفكار سموا وسلطان تضيق
البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود
وتعلو به الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد
الفخر ويرحبا صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .
وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن
آنسها الله وحرسها بذكر ما لقاها كرم مولانا وورقاها اليه من مراتب تشريف لانكامل
القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تتسع الخواطر لالتماسها واقتضاها فحمدت الله
ولى الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل
بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادربه من
شرف لا يرحل مقيم ولا يتحيف عميه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن
سماع المكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

وجدت في التماسك به بصيرة ولا من ترك التهلكة ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلاً إلى خبر البشري فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنم الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل يبلوغ المعتز يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته	ومقيم نهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتز بشري بينت	فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا	عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلاد ملكك مخبر	بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النعماء فيك ممتعا (١)	بعلو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه	وترى الكهول الشيب من أولاده

وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم	محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه	للز قرب والسماك نديم
فلا أمره التميم (٢) كيف نصرفت	حالاته وإشانه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه	حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بمائه	حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً	وهو سد الليل وهو بهم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه	وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحتنه	خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا أهله شرف به متوطد	ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاله	تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النعماء فيه ممتعاً » . (٢) في الاصل مهلة .

ولحده التصميم حين تلاحت أقرانه ولشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في التهئة والتمزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولى قال قيل للرشد ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشد
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأُمير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشد : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك فى الفصاحة . وقلت فى تهئة بمولود :

فاستقبل الخير فى نجيب	عما يعيبُ الورى نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يملكُ أبصارَ ناظره
يملاها ^(١) بهجة اذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سويًا	تكثُرَ علات عائبه
جنى لذيد المذاق حلوً	يقربُ من كفٍّ مجتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهما	يشقى به جد كاشحيه
ألا ففش فى ضمانٍ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت فى تهئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه فانك قد فصلت بالبر جوهرا
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً وطيرتهُ فى الأفقِ نشرًا معطرا
هو الينُ لم يدمك محبوبةً دنت ومكروهة شطت وصعباً تيسرا
ومن عجائب المعانى تهئة لأبي اسحق الصابى مشوبة بالعقد ^(٢) لرجل زوج أمه :
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة فى محذور تحله فكذلك لا تطيع الأنفة فى مباح تحظره ويأوى

(١) فى الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) فى الأصل « بالعقبة » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توحيها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاؤها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأتيت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوالهم في تصارييف نشوهم الطفولية والايفاع والشبية والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتفاء والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته منتهائها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية ونوافت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنة والفضل وبه القوة والحول : الحمد لله الذي
كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ما جلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن بصحبه حافظاً وجعلك بما جمل
من صورتك وكل من اداتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة مسوعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نظقت
 آمناً من انصراف الأَبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جملة الرجال على الجملة الى أن تكشف مخابرك بالحننة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منكما من رفد يمدد وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليد اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عارياً من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة اسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستهغار القلوب والألسن وبالطعم
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكمال
 أتك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستدراً للمزيد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها متفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وباغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمه الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوادة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله يأسو كلمك
 ويسد ثلمك وقد فعل ذاك بأن أتاح الله لك بعد أميك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإشاراً لك وبراً وقد لعمرى وفقت حين وصلت بحبلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله لئلا تفقد من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنية بقدوم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاها
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتبختر فى حليها واكتنفها بميامن يمرع جناها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة فى

تقريب ركب مولانا أطال الله بقاءه وكبت أعداءه وكب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا يرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها ماختلف العصران وتماقب
النيران واستقبل به في وفدته ماينقاد له أقصر الأسار ويحتوى عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداء ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا يتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿كتاب المبالغة﴾

فى أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قالته العرب قول مسلم
ابن الوليد^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الغواني، نادب فى الكوفة وعظم شأنه فى الشعر، مات بمرجان .

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ خَصَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة: ^(١)

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يَجَادُ بِمِثْلِهَا فَانْتَ بِهَا يَوْمَ الْلِقَاءِ خَصِيبٌ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله

عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه

وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم ^(٢) :

طَلَبْتُ هَدِيَّةً لَكَ بِاحْتِيَالِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسِيٍّ وَنَسِيٍّ

فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ شَيْئًا نَفْسِيًّا يَكُونُ هَدِيَّةً أَهْدَيْتُ نَفْسِي

وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم

بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة

له كيدته وفي المودة له كنفه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفئه من ماله وقد

بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذلته وخدمته . وقال أبو تمام :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفْرِ غَيْرِ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

وقد أنكر خلف بن خليفة اهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف

أهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أَتَانَا أَخٌ مِنْ غَيْبَةٍ كَانَ غَابَهَا وَكُنْتُ إِذَا مَا غَابَ أَنْشَدُهُ الرُّكْبَا

فَقُلْتُ لَهُ هَلْ جِئْتَنَا بِهَدِيَّةٍ فَقَالَ بِنَفْسِي قُلْتُ أَنْحَفُ ^(٣)

هِيَ النَّفْسُ لَا آسَى عَلَيْهَا إِذَا نَأَتْ وَلَا أَتَمْنِي مَا حَيَّتْ لَهَا قُرْبَا

إِذَا هِيَ وَافَتْ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً فَلَا السَّهْلَ أَقَاها إِلَّا هُ وَلَا الرَّجَا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ بخدمته وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط «بها التريا» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يفنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذى أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المنلى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن الساحةَ لم تزل معقولةً حتى حلتَ براحتيكِ عقالها
وإذا الملوكُ تسأرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يشبه فقال :

هرزُتُكَ هزَّةَ السيفِ المحلَى فلما ان ضربتُ بك اثنتي
فهيها مدحةٌ ذهبت ضياعاً كذبتُ عليك فيها وافتريت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فرأى أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرفدُ
ألا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردَّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية السوداء

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتهر بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من أوْهمهم فأنى أرى الناس قد أصلدوا
وإنى أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعّالِ وقد أرعدوا
ثم مضى فقبل لاسحق ما هذا الشعر إلا فى أهلك فقال اسحق أولى له أن
عرض نفسه وأحوج أبى العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله
* كذبت عليك فيها وافتريت * قول على بن جبلة وقال له أبو دلف أن
تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أبسر من البناء ثم قال :
أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خلوة من الخير أخرج
أبا دلف يأ كذب الناس كلهم سواى قانى فى مديحك أ كذب
وأخذ اليعترى قوله * كانوا كوا كبها وكننت هلالها * فقال فى المتوكل :
إذا غبت عن أرضٍ ويمت غيرها فقد غابَ عنها شمسها وهلالها
غدت بك آفاقُ البلادِ خَصِيبةً وهل تمحلُ الدنيا وأنت ثمالها ^(١)
فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال فى عينه الحية الأسود
فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجهٌ ليل مظلم وحفيفٌ نافحةٌ وكلبٌ موسد
وأخوك محتملٌ عليك ضغينة وخسيفٌ قومك لائمٌ لا يحمد
والضيفُ عندك مثل أسودٍ صالح لا بل أحبهما إليك الأسود
ومن جيد ما جاء فى خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامسك
قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ يا أطلال قلتُ السلامُ على الحيلِ محال
حاج للشقى مراده دَمَنُ البلى ومرادُ عيني قُلةٌ وحِبالُ
لا نادى من ^(٢) الراجح وهي زلال ولا تُطرقن البيتَ فيه غزال
ولا تُركن حليها وبقلبه حرقٌ وحشوٌ فؤاده يكبال

(١) فى الأصل « ثمارها » . (٢) فى الأصل (لاغاد من) .

وليشفين^(١) حي فم^ه وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال^ه وهى مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمععه^ه
 ولم يكن لك مال^ه يوم تكسبه^ه
 تحب^ه من أجله الدنيا وتورثها
 سترته^ه عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه^ه فى نوائبه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال^ه امرىء
 فليس على الجود والمكرمات
 هو المال^ه ان أنت لم تخترب
 أباح لك الدهر^ه ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْمَرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابن ورد فأنى
 ومن يؤثر الحق^ه النؤوب^ه يكن به
 وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحدا من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولايشنى) . (٢) هو شاعر جاهلى كن فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسبح الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبى دهرُنا اسعافنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحبُّ ونُكرمُ
فقلت له نعمالك فيهم أتمها ودعْ أمرنا ان المهمَّ المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر الممدوح أهمَّ له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحترى :
سحابٌ عداني جودُهُ وهو غمامر وبهرٌ خطاني فيضه وهو مغعم
وبرقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلم
ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لهُ همٌّ لا مُنتهى لكبارها وهمةُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
لهُ راحةٌ لو أن معشارَ جودها على البرِّ كان البرُّ أندى من البحر
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعتُ في فؤاده همم ملءُ فؤادِ الزمانِ إحداها
وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .
ومما يذكّر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي بزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمه فلم أسأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطئي في
الطاق الكبير فاب همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصَّعبِ وهدي أكرمُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذ مُرهفاً وافتك بأهل الشرق والغربِ
 ولا تمت ان حضرت ميتةً حتى تميمَ السيفَ بالضربِ
 ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيله أعلم منه بجدهاءِ أهله^(١)
 قد لعبت أيدي النوى بشمله متمماً مضطجعاً بحمله
 مُنصلاً كالسيفِ عند سله مولودةً همةً من قبله
 قد دان ذو الفضل له بفضلِهِ كالصابِ من يذقه لا يستحله
 إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال : همةٌ تنطاحُ النجومَ وجدُّهُ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ
 أبلغ ما قيل في يمن النقية^(٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً بنبع لا أوريت نارا
 الحصاة مع النبع لا توري قال فأت من يمن نقيبتك لو قدحت بهما لا أوريت .
 وقال بعض الأعراب :

يذكركني سـعداً دماءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سـعداً إلى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعـين وراءَ شأوه إلى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد باللهي فحوى المجد بما جاد وشح
 فإذا همَّ بأمرٍ ناله فسواءٌ جدٌّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقية : النفس ، يقال فلان ميمون النقية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقت وكم بادىء الزمن غير معقب
ولما يفرره تقلب دهره فقلت لعل الدهر لم يتقلب
ويدنو له المطلوب حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي أيادى لم تمن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسه ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
يقوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الإنسان إذا
قذبت عينه صرف الهممة إلى نقذتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةٌ نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتملأ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طُرقت به دونى فعينى تهمل
وقالوا أشجع بيت قاله العرب قول عباس بن مرداس السلمي^(١) :
أشدُّ على الكتبية لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنزة^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبل
الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنزة بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على
شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجدلاً تمكو قريصته كشدق الأعم
 هلاً سألت الخليل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
 يخبرك من شهد الواقعة أني أخشى الوغى وأعف عند المغنم
 ومدجج كره الكفاة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
 سبقت يداي له بما جل طعنه ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخيلة لنفس المنعم
 ثم قال: إذ يتقون في الاسنة لم أحم عنها ولكني تضايق مقدمي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنتره هجيناً أمه
 أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهنراً فأغارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
 القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمّه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى ففكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
 السكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبلوه فاستلحقه
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنتره يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنتره » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حذر الموتِ وإني لفرور
 ولقد أعطفها كارهةً حين للنفس من الموت هرير
 كل ماء لك مسني خلق وبكل أنا في الروع جدير

فقال « وإني لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة :

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالاً واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه إذا علم أنه إذا أقدم هلك ثم أقدم فإن ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهاك وإنما الشأن في أن يمدح بإقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

جاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العيشي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصمق الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصمق فحمات عليه فطعنته فأرديته ثم مات عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بمحدث فاسمع فانما زهب هؤلاء المعدي . مسترعفين أي متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أي قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أي لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسَّعالي حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السملاة في قوله :

وادم حبيت^(١) حليابه فياجارتا أنت مأهولا

فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قبل (حبيت) .

وكنتم إذا ما هممتُ اعتزمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلًا
وقال آخر :

أخو قفّرات حالفَ الجنَّ وانقى من الانسِ حتى ما تقضت رسائله
له نسبُ الانسى يعرفُ نخله وللجنِّ منه خَلقه وشماله
وقال عبید بن أبوب :

فله درُّ الغولِ أى رفيقه لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشر من الغرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبني وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنطة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أى كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيتها قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمر ك ما أدري واني لا وجل *
حتى صار إلى البيتین فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنطة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صيفين وما يحبسني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عفتي وأبي بلائي وأخذى الحمد بالثمن الريح

واعطائي على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كاون الملح صاف ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشد على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والثبات

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت منغمس إذا تأنى على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تسكن مني مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بمشتر يصطادُ الرجالَ إذا مالم يثُ كذب عن أقرايه صدقا
يطعمهم ما رتموا حتى إذا طعموا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
وصفه بالتقدم على كل حال . وقال أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
ابن حُمام ^(١) :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلُّ منّا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت بعوته شريعاً .
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بحر شواء بانعصا غير منضج
دعوت إلى مانا بنى فأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزج ^(٢)
فتى بملا الشيزى ^(٣) ويروى سنانهُ ويضربُ في رأس الكمي المدجج
فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
نصلُ السيوفَ إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
ورأى بعض العرب سيفاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :

خطوهم ترى الصارمَ الهنديَّ منتصراً به من الماردِ الخطيَّ منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه أدرك الاسلام .
(٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزى بالكسر
خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثلها أقلى شكوكاً إننى غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُروعاً مالها زردُ
نأى عن المصريح الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف القتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أو مسترخىَ الطولِ
حاطَ الخلافةَ سيفٌ من بنى مطر أقام قائمهُ من كان ذا ميل
سدَّ الثغورَ يزيد بعد ما انفرجت بقائمِ السيف لا بالختل والحيل
موف على مهج في يوم ذى رهج كأنه أجلٌ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما بعبا الرجالُ به كلوتٍ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسوا السيوف نفوساً^(١) لنا كثرين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يفدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل
قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فهن يتبعنه في كلِّ مر محل
إذا انتضى سيفه كانت مسالكهُ مسالكَ الموتِ في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفُ الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل
كبيرهم لا تقومُ الراسياتُ له حلاً وطفلهم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أودٍ إذا سلمت ولا في الدين من خلل

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانخر فمالك في شيبان من مثل كذلك مالبنى شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركننا ذلك الجبل
 وقوله : سل الخليفة سيفاً من بنى مطر يمضى فيخترق الأحشاء والهاما
 كالدهر لا ينثنى عما بهم به قد أوسع الناس إنعاماً وارغاما
 تظلم المال والاعداء من يده لازال للمال والاعداء ظلاما
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك تكسى العيون به نوراً وظلاما
 تمضى المنايا لما تمضى أسننته كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
 وله أيضا :

يلقى النية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلوداً بجلود
 كالليث بل مثله الليث المصور إذا غنى الحديد غناءً غير تغريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بل في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه عليه الحفاط المرء والخلق الوعر
 غدا غدوة والحمد نسج ردايه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :
 لا أبغى اللحد ولا أبغى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحترى :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم على أن ذاك الزى زى محارب
 تسرع حتى قال من شهد الوغى لقاء عدا (١) أم لقاء حباب
 وصاعقة في كفه ينكفى بها على أرواس الاقران خمس سحاب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحاب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالتها العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الأصمعي أصدق بيت قالتها العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس
وقال المحدث في معناه * ماضع عرفوان أوليته حجراً * وقال الأفوه^(١) :
والخيرُ تزدادُ منه ما كفيت^(٢) به والشرُّ يكفيك منه قلما زاد
وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الأبرصى :
الخيرُ يبقى وإن طالَ الزمانُ به والشرُّ أحبُّ ما أوعيتَ من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ
وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دويبةٌ تصفرُّ منها إلا ناملُ
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا
إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن
عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه
يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم
وابيد ينشدهم * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد
لبيد رأس البيت * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم
ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال
لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فنزا رجل من قریش فطعم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الأودي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفي رواية «لقيت» .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ انحبُ فيقضى أم ضلالُ وباطلُ
حبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله ويغنى إذا ما أخطأتهُ الحبائلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ عاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

فَرُوحٌ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي
وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته
العرب قال الناس يقولون كل امرئ في شأنه ساعى * وأنا أقول :
كَأَنَّ مُقَلَّلاً حِينَ يَغْدُو لِحَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُذْنِبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأُكرومَتينِ فأما يسودُ الفتي من حيثُ يسخو ويشجع
زرعتُ رجاءً في ذراك مُبَكِّراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ
أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سُدَّ بابٌ عنكَ من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بابُها
وان قرابَ البطنِ يُغنيكَ ملؤه ويكفيكَ سواَتِ الأمورِ اجتنابُها
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ما شئتُ أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
فكل ما شئتُ يغنيكَ عن العذبةِ والحلوهِ
وطأ من شئتُ يغنيكَ عن الخناءِ في الذرِّوهِ
فكم أنساك ما نهوا هُنيئُ الشئِ لم تهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعه يوماً غزاني غزوته^١ كئائب ناس كرها واطرادها
أمصّ ثمادى والمياء كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى أن ترضى النفوس ثادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ إلى قليل تقنع
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاج فقير أبدا دون ما ترضى بأذى مالك
وذمّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا تكبير
دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلّان غير الحى والودّ
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يُشجّ فلا يرى له أحد

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللّيم مطّ حاجبيه وذاد عن حريم درهميه
فارك عنان البخل في يديه وقم إلى السيف^(١) وشفريه
واستنزل الرزق بمضريه إن قصد الدهر فقم اليه
وقلت : سأستعطف الأيام حتى تردّنى إلى جانب منها يلين ويسهل^(٢)
وأقنع لا أن القناعة لى هوى ولكنّ صون العرض بالحرأجل
وقال ديك الجن :

لا تقم للزمان في منزل الضيم ولا ترتبطك رقة حال
وإذا خفت أن يراهقك العد فم فعد بالثقات العوالى
وأهن نفسك الكريمة للمو ت وقم بها على الأهوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجل بالحر من العيش ضارعا للرجال
 أى ماء يجول في وجهك الحر إذا ما امتنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفت الدهر بأهل الندى وأهل النوال
 فقليل من الورى من تراه يرتجى أن يصون عرضا بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعتل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاستراحت رحلى سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقفول لعل المنية قبل القفول
 لعمري التي وعدتك الثراء يجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجمعت لك غير الجميل
 سأقضى العفاف وأغنى الكفـال فليس غنى النفس جود الجزيل
 ولا أنصدي لشكر الجواد ولا استعد لدم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجا تحل العزب محـل الذليل
 وأن ليس مستغنيا بالكثير من ليس مستغنيا بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كما هكذا لرأيت نبي الشعر . وقال البصير :

قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفل ولم أكد
 لا تجمعوا اب تهنوني وأكرمكم ولا تمدوا إلى نيل الأمام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم في يومكم لغد
 فرب ملتصق ما ليس يدركه ومدرك ما تمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فنهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) في الأصل « ابن المعتل » . (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة .

فقالوا الرقيبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزاره ولا
 بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال
 تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد : سمعتموه :
 أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
 فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
 وما أنا إلا من غزية أن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد
 وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا
 الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد
 كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبى
 ربيعة وروى لغيره :

وذى ودٍّ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميعاً
 أطافَ بغيهِ ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الامرَ الفظيعاً
 أردتُ رشادَهُ جَهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
 وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزى :
 تنمخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولا هشٍّ
 فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قول ومن غشٍّ
 وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجاجةً أننى أغشُّ إذا ما النصحُ لم يُتقبل
 ومن جيد ما قيل فى النصيحة قول مخيس بن أرطاة :
 عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصحُ مرُّ
 ومابى أن أكونَ أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق برُّ
 ولكن قد أتانى أن يحيى يُقالُ عليه فى نقاء شرِّ

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلت له تجنب كل شئ . يُقال عليك إن الحرَّ حرُّ

ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إن أخا الصديق الذي إن يخذلك ومن يضرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا صرفُ زمانٍ صدعك شتتَ شملَ نفسه ليجمعك
وإن غدوت ظالما غدا معك

فسروه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الآيات لا يقتضيه وإنما أراد أنه يماونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا » وقال ابن ميادة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرٍ حزم فقلت هشيمةً من أهل نجد
نهيئتك عن رجال من قريش على محبوبك الأَصْلَابِ جرد
ووجدًا ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئًا غير وجدى
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافسًا في نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذي يراك حين تغيب عنه
وإذا كشفت غطاءه أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا انتضا هُ أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسعى له كرمًا وإن لم تستعنه
ومن أبلغ ما قيل في إرضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من مصحبة زيد أربى فتي إذا نهته لم يَغضبِ
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يَضن بالمتاع المحب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى مالم يبذل لمأجد أجلاً إذ لم أجمل
يحمل من ثقل مالم يحمل فمز في عيني حين ذلّ لي
إن جمال الحرّ في التجمل وقد يكون العزّ في التذلّل
والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :
وليس أخوك الدائم العهد بالذي يلومك إن ولي ويرضيك مُقبلاً
ولسكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا امرُ أعضلاً
أبلغ ما قيل في النائي وأجوده وأشدّه اختصاراً ما أنشدناه أبو أحمد المرار الفقعسي :
تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إن هذا الدين مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ
يَرْفُقِ فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهى شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطّ بها كوار خوص لواغب يقلل ! كثار الذميل ذميلها
نفص عبدة حلّ الفراق عقاها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيمٍ على الدار يسقى ظلهن طولها
ومن المشهور في النائي قول القطامي :

قد يُدركُ النائي بعض حاجته وقد يكونُ مع المستعجل الزللُ

وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر ما يلقاه حين يُبادرُ
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفاً مردوداً وكثيراً ما يقع « كل » في
الشعر قلبي المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فيالأمي دعني أغالى بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلمتُ عُتْبَةً أنى منها على أجل مظل

وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكا يشكو الأذل

قالت فأى الناس تعرفُ ما تقولُ فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

وأول الأبيات :

رأنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلغُ بُخترىُّ

وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورىُّ

كلىنى للندى والبأسِ انى بكل بسالة وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر تقيه) معناه اختبر من شئت تجد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) في الأصل «يختلف» .

دعنى الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلفتكم ما توسمته وقلَّ حميدٌ على التجربة
 وكم لمة خلتها روضةً فألفتها دمنةً مُعشبه
 ظلمتكم لا تطيبُ الفروعُ إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذرونى كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعُذرٌ بعذر فلا مَعْتَبَه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر : لا تحمدنَّ امرأً
 حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد
 * الشكر كفو النعمة . ولا أطرف من قول البحترى * الشكر نسيم النعمة .
 وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد
 عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيـد
 وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر
 قول يحيى بن زياد الحارثى أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

حلفت برّب العيس تهوى بركبها الى حريم ماعنه للركب معدلُ
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل إلا غاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطةً من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزر أعباء منه على المرء إلا منه الشكر أثقل
 فن شكر المعروف يوماً فقد أتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ بِي فَقَصَرْتَ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
قَوْلُهُ وَإِنِّي لَشَاكِرٌ مَعَ قَوْلِهِ مَغْلُوبًا أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ ، وَهُوَ مَا خُذَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :
فِرَاقٌ حَبِيبٌ لَمْ يَبْنَ وَهُوَ بَائِنٌ
لَأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً
فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِالَّتِي
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنبَتٍ شَعْرَةٌ
وَقَوْلِ دَعْبِل :

هَجَرْتُكَ لَاعَنَ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ
وَلَا لِقَلِي أَبْطَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ
وَلَا كُنْفِي لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاغِبًا
فَأَفْرَطْتَ فِي بَرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا أَوْ الشَّهْرَ
فَمَا لَانَ ^(١) لَا آتِيكَ إِلَّا مَعْذِرًا
فَإِنْ زِدْتَ فِي بَرِّي تَزَايَدْتُ جَفْوَةً
وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

قَدْ قَلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا
مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرِفًا
أَنْتَ أَمْرٌ قَلْدَتْنِي نَعْمًا
أَوْهَتْ قَوَى شُكْرِي وَقَدْ ضَعُفَا
لَا تَسْدِينَ إِلَى عَارِفَةٍ
حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَحَدُ أَدْوَاءِ
الْكَلَامِ فَضْلُ أَلْفَاظِهِ عَلَى مَعَانِيهِ . وَقَالَ الْبَحْثَرِيُّ :

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ اسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ
مِنْ الْعَمَلِ وَالْعَمَلِ مِنْهُمْ فِي تَعَبٍ
أَدَابَتْ شُكْرِي فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ
أَقْصَرَ فَمَا لِي فِي جَدْوَاكَ مِنْ أَرْبٍ
لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ
شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مَسْدِيهِ إِلَى أَبِي
لَمَّا سَأَلْتُكَ وَأَفَانِي نَدَاكَ عَلَى
أَضْعَافِ شُكْرِي فَلَمْ أَظْفَرْ وَلَمْ أُخِبْ

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداهُ باعُ شكري قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ يداي منه إلى ما لا يطاولُهُ لسانى
كان ندى يديه عناقُ بين فليس يسرُّنى إلا شجانى
لهجتُ بذكره لأبين عنه فضاقتُ بوصفه ذرعُ البيان
حنانى ثقله ولو أنَّ قوساً تلقى منكبيّ لما حنانى
فها أنا منه مفتقرٌ وغاف وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحرى :

إنى هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتنى بالجودِ حتى أنى متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةً غدت في الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركبُ شعيرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداءُ
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لك النماءُ
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدي وتظل تحسدنى بك الشعراءُ

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأيك في فما أهتدى
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تفضمنى من حسن رأيك
فأضوى ولا تسقطنى عن حظيتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحرى :

مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ ومكافاة ما أنالَ واسدَى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى لَهُ أياديه عبداً

سمعت عم أبى يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسار : ما أدري النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل ما منعه
نعمة والناس يحملونه بحسنه ونعمته . وكتب بعضهم فى المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعلا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجبر نقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل طارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جدده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلني بصدق مخيئته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتي خطواته وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطمع في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحقوق الأنواء إذا تحلى بيوافيت الأنوار ولا آلى الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الأصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حجاباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الشكلاان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأنتموا بالذي أنتَ أهلهُ ولو سكتوا أننتَ عليك الحقائقُ
تم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيحُ بما أوليتَ من حسنٍ وكل ماتدعيه غيرُ مردود
كلّ هجاءٍ وقتلي لا يحلُّ لكم فما يداويكم مني سوى الجودِ
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجري في باب الشكر وهو من أبدع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنتُ في القولِ مرّةً فنك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمتُ مما قلتهُ وفعلتهُ فأهديتُ غصناً من حناي لغارسي
أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لأُشكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فاللهُ جلَّ وعزَّ يشكرُ فعلَ من يتلو عليه وحيه وكلامه
وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكارم ضخمه غادرت فيها ماملكت قتيلا
فرايتَ أكثر ما بذلت من اللهى نزراً وأصغر ما شكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرتُ عنك الى الرجا ل فكانَ عرفهمُ كنكرُ
ورجعتُ من كذب اليك مفرغاً نفسي لشكرُ
ولما أروم بما أقو ل زيادةً في رفع ذكرُ
لكنه حقٌّ أوفيه عوانك بعد بكرُ

كم نعمة لك ملء فكـرى لا تلاحظها بفكرك
(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقولُ أراهُ بعدَ عروةٍ لاهيا وذلك رزءٌ لو علمت جليل
فلا تحسبي أني تناسيتُ عهدهُ ولكن صبري يا أميمٌ جميل
وبعدهُ : ألم تعلمي أن قد تفرقَ قبلنا خيلاً صفاً ممالكٌ وعقيلٌ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :
وتجلى للشامتين أريهم أني لربِّ الدهر لا أتضعمُ
حتى كآني للحوادثِ مروة بصفا المشعر كل يوم تفرع
وقوله : وإني صبرتُ النفسَ بعدَ ابنِ عنبس وقد لجَّ من ماء الشؤون لجوجُ
لأحسبَ جلدًا أو لينبأ شامتٌ وللشرِّ بعد القارعات فروج
وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب
رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ وما كان منه كالضرورةٍ أوجب
فشدَّ امرؤٌ بالصبر كفاً فانه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب
هو المهرُبُ المنجى لمن أهدقت به مكارهٌ دهرٍ ليس عنهنَّ مهربُ
لبوسُ جمالٍ جنةً من شماتة شفاءٌ أسي يئى به ويشوب
فيا عجباً للشئ هذى خـلاله وتاركٌ ما فيه من الخطِّ أعجب
وقد يتظنُّ الناسُ أن أساهمُ وصبرهمُ فيه طباعٌ مركب
وانهما ليسا كشيءٍ مصرفٍ بصرفه ذو نكبة حين ينكب
فإن شاء أن يأسي أطاعَ له الأسي وإن شاء صبراً جاءهُ الصبر يجلب

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش الى زمن عمر .

وليسَ كما ظنوها بل كلاهما
بصرفه المختار منها فتارة
إذا احتجَّ محتجٌّ على النفس لم يكذب
وساعدها الصبرُ الجميلُ فأقبات
وإن هو منهاها الأباطيلَ لم تزل
فتضحى جزوعاً أن أصابت مُصيبة
فلا يعذرَنَّ التارك الصبر نفسه
لكن لييبِ مُستطاعٌ مسبب
يرادُ فيأتى أو يزادُ فيذهب
على قدر ما يمتنى له يتعجب
إليها له طوعاً جنائب تحجب
تقاتلُ بالغيب القضاء فتغلب
وتنسى هلوغاً إذ تعذر مطلب
بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواءَ له
فاستشف منه بصفح أو معاتبة
واجمل طالبك بالآوتار ما عظمت
ولا تسكن لصغير الأمر مكترة

ثم قال يمدحه :

وخيرُ سجاتِ الرجالِ سجيةٌ
وما الحقدُ إلا توأمُ الشكر في الفتى
فحيثُ ترى حقدًا على ذي إساءةٍ
ولولا الحقودُ المستكناتُ لم يكن

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
عم أبي يقول : الصبر شرية ثمرارية ^(١) وقال * نفرج أيام الكربة بالصبر *
وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
ضرورة لعله أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الحنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرت جلادةً لكن ثقله حيلتي أتصبرُ
وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل السكر كرة حتى يد ميه . ويقولون :
أصبرُ من عود بجنييه جلب قد أثر البطانُ فيه والحقب
قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن أبان بن عيينة بن حصن :
أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرِّكٍ ألقى يوانى صدره للمبرِّكِ
ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف والييس . وقالوا حيلة من
لاحيلة له الصبر . وسمعت والذى يقول لعن الله الصبر فان مضرت عاجلة ومنفعته
آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في العاقبة ولعاجها تفوتك
لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تحبه صبرُ ونفعُ من لامَ في الهوى ضرر
من كان دون المرادِ مُصْطَبِراً فليستْ دون المرادِ أصْطَبِرُ
منفعة الصبرِ غيرُ عاجلةٍ وربما حالَ دُونُها الغير
فقم بنا نلتمس ما ربنا أقام أولم يقم بنا القدر
ان لنا أنفساً تسودنا أعانهم ^(١) الزمان أو يندر
وابغ من العيش ما تسرُّ به ان عذل الناس فيه أو عذروا
وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحليم
ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه
والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحليم مطية الجهول لاحتمال
جهله وتركه الانتصاف منه . وقال الأول :

(١) فى الاصل «اعانهم من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا كان عند السخط لا يتعلم
 كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا كان عند العسر لا يتكرم
 ولهذا قال شيخ من الأعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي تصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزّوا لا أقوام
 ويشتموا فتري الألوان مُسفرةً لا صفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام
 وسمعته يقول الحلم عقاب الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :

وتخرج نفس المرء عن وقع شتمةٍ ويشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
 ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله أنى لأرفع نفسي أن
 يكون ذنب أورثه من حلمي وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لا أملك .
 يريد أنى إذا كنت مالكاً للمذنب فأنى قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسي
 الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
 ولا أضره . وقال الشاعر في الحلم والاعضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مغض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمم بعضهم الشعبي فقال له إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنبٍ وإن كثرت منه على الجرائم
 وما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاومٌ
 فأما الذي فوق فأعرفُ فضلهُ وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمٌ
 وأما الذي مثلي فأت زلٌّ أو هفاً تفضلتُ إنَّ الفضلَ بالعرزِّ حاكمٌ
 وأما الذي دوني فإن قال مُصنِّعٌ عن إجابته عرضي وإن لامَ لائمٌ

قسم هذا الشاعر ثم فاحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روى في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يعترى خلقي دَنَسٌ بغيره ولا أفنٌ
من منقر في بيت مكرمة والفرع ينبت فوقه الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفظنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة ^(١) :

ثلاث بأمثال الجبال حياهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسان إلا ليعلمها
ومن أشرف نعوت الانسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدهاه حتى يكون عاقلاً
والمأوم مصطبراً محتسباً وعفواً وصالحاً ومحتملاً وكائناً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرائم السجايا والخصال . وقد خولف هؤلاء فقل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتى وللحلم أحياناً من الجهل أقبح
إذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أعنى وأروح
وقال غيره :

قليل الأذى إلا عن القرن في الوغى كثير الأيادي واسم الذرع بالفضل
ويحلم ما لم يجب الحلم ذلة وبجهل ما شدت قوى الحلم بالجهل
وقال غيره :

ترفعتُ عن شتم العشيرةِ انى رأيتُ أبى قد كبَّ عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ كان جلالَةً وأجْهَلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحِلْمُ لم ينفعك فالجهلُ أحزم * وقالوا ليس شئٌ خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأخ لى رأيت تغدده والصفح عنه
 إجلالاً لقدّر مولاؤه أعظماً لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفعك من سعد الدنيا قطوع الرحم بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعلوها وطول العفو أدرب^(٢) للظلوم

أجود ما قيل في المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال دخل بشار على إبراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله في
 أمره فلما قتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبي مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملك الجبارٍ يقتحمُ الردى ويصرُّعه في المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمع بقتل متوجٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأطاخمِ
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائمٍ
 وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائمِ
 ومروان قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لا بل قليل الجرائمِ
 وأصبحت تجري سادراني طريقهم ولا تتقى أشباه تلك الفقائمِ
 تجردت للإسلام تعفو رسومه وتعمى مطايا الليث الضراغمِ
 فإزلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوف الصوارمِ

لحى الله قوماً رأسوك عليهم ومازالت مرؤساً خيثَ المطاعم
أقول لبسام عليه جلالة غداً أريحياً عاشقاً للمكارم
من الغاطمين الدعاة إلى الهدى جباراً ومن يهديك مثل ابن فاطم
سراج لعين المستضى وقارة يكون ظلاماً للعدو المراحم
إذا بلغ رأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غصاصة فان الخوافي قوة للقوادم
وماخير كَفِ أمسك الغل اختها وماخير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بناثم
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غيرك كلم
فأنك لا تستطردهم بالملئى ولا تمنع العليا بغير المسكارم
وما قارع الأتوام مثل مشيع أريب ولا جلى العمى مثل عالم
وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجعفى قال سمعت المازنى
يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميجية بشار هذه أحب إلى من ميميتى جرير والفرزدق .
وقبل لبشار ما أحسن أبيانك فى المشورة فقال المستشير بين صواب يفوز بشمرته
أو خطأ يشارك فى مكروهه فقبل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
التي لاشبيه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا تكبر
على وتصاغت له ودخلتنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون
مهيّب فى الصدور فاذا افتقرت إلى القول حقرتك العيون فتضعض شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يغنه
عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاءه . فذم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .
وقال رومى لفارسى نحن لائىك من يشاور فقال الفارسى نحن لائىك من

لا يشاور ، وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت مللت . ويقولون
الطمع طبع ، والطبع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طبع وُغفَةٌ من قوام العيش تكفي
والغفَةُ القوت وأصلها الغارة ^(١) وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنه ^(٢) :

ألا نمتي عميرة أن رأني عزفت النفس عما لم ينالا
أحزم كلمة بمعناها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلقى ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعلك لا تناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
ممسكاً ساقاً » أي لا يترك معتمداً إلا إذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أننى أتبيح لها حرباء تنضبة ^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرقٌ عنه القميص بخاله بين البيوت من الحياء سقيماً
حتى إذا رفع اللواء رايته تحت اللواء على الخنيس زعيماً
أخذهم بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم
إذا غدا المسك يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنه فعرف بها . وفي الأصل (ثابت بن قطنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حَيَّاهُ ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوان
وكاسيف إن لا يَنْتَهُ لأن مَسَّهُ وَاَدَّاهُ أن خاشنَتُهُ خَشَنان

وقال أبو دهب :

تَزُرُّ الكلامَ من الحياءِ تخالُهُ صَعَمًا وليس بجسمه سقيم
عَقَمَ النساءُ فلا يلدن شبيهَهُ إن النساءَ بمثله عقم
غيره : أنى كَأَنى أرى من لَحْيَاهُ لَهُ ولا أمانةَ بين الناسِ عُرْيَانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والخبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الأول :

ومالبُ اللبيبُ بغيرِ حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رَأَيْتُ الحظَّ يَسْتَرُّ عَيْبَ قَوْمٍ وهيهاتَ الحظوظُ من العقول
والعرب تقول «اسع بجَدِّ أودع» .

أجود ما قيل في التزهد والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورطاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما أنها إذا ضاقت
وحرصت تآقت إلى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياها السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتزهد عنه مال

وما أحسب أنى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إنَّ القناعةَ خيرُ مال لدى كَرِيمٍ يَرُوحُ بغيرِ مال
وان تصبر فإنَّ الصبرَ أولى بمن عثرت به نَوَابِ الليالي
تجمل إن بُليتَ بسوءِ حال فإنَّ من التَّجَمُّلِ حسنِ حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأي والفظانة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمى الذى بظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا ينفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :

أما نك مصروف الى كل راهب وسيدك موقوف على كل راغب
تباشرت الدنيا بجذواك واكتفت فلم تتباشر بالغيوث الصوائب
تبسم منك الدهر عن زائن^(١) له وعين عليه فى اختلاف النوائب
بصير له دون العواقب فكرة تكشف عن رأى وراء العواقب
ليشركك بمجد لا تزال تحوطه وتحميمه بالنصلين عزم وقاضب
كأنى اذا أمسكت منك بعروة أخذت باهداب الغيوم السواكب
وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لا أمر عليهم ان تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلام وغى تفحمها فأودى وخان ببلاد الزمن الخوون
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عاينه ماجنت المنون
وقوله : وقد علم الاقشين وهو الذى به يُبصان رداء الملك من كل جانب
بأنك لما استخذل الأمر^(٢) واكتسى اهابى سيفى فى وجوه التجارب
تجللت بالراى حتى أريته به ملء عينيه مكاب العواقب
سلات له سيفين رأياً ومنصلاً وكل لنجم فى الدجنة ثاقب
وكنت متى تهرز لخطب نقشه^(٣) ضرائب أمضى من رفاق المضارب
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنا والقنابل

(١) فى هامش النسخة (راقب له) اشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازيمى ^(١) على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه أصابعه
أواخى رجالاً لست أطلعُ بعضهم ^(٢) على سرٍّ بعضٍ إن قلبي واسعه ^(٣)
وقال الآخر: سأ كتمه سرى وأحفظُ سره ولا غرنى أنى عليه كريم
عليم فينسى أوجهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سرِّ نفسه فصدر الذى يستودع السر أضيق

أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا كمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه وضرائبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس أنه على العقل يجرى علمه وتجاربه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة فذو الجد في عقل المعيشة طالبه
يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
ويزرى الفتى ^(٤) في الناس قلة عقله وإن كرمته أعراقه ومناسبه

ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضع للفتى ولم أرَ مثلَ المالِ أرفع للنذل

ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى إذا عاش بين الناس منعدم ^(٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قيس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه ^(٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حيازيمى) . (٢) في النسخ (ينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضرَبوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرعى من ابنِ تَنَنْ وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الأعرابي وقد قيل له حدِّ لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصنفى كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حاهم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق ويخرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسدَّ آدبه ، وقال له عبد الملك إن الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بحدافه وجمه بزوره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجحاً وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بغير نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدبٍ لا نضاف مال إلى علمي وآدبي
قمَّ جاهي عند الناس كلهم وطابَ عيشي في أهلي وأصحابي
عز الكمال فلا يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدْرِ ذو طاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعراقه يجرى المذكى وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانته مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنامة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأبثتُ عمرًا بعض ما في جوانحي وجرعتُهُ من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدَّ من شكوى إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدير قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أول كل أمر أبت أعجازه إلا التواء
وإن حملت أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمرُك سواءً
وإن داويت دنيا بالتناسي وبالليان أخطأت الدواء
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ وإنك لا تستطيعها فخذطرفاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو انهيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضي حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
جعلهُ مهيباً في السكون والاعضاء ولو جعلهُ مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق بكافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء
هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجواب فما يراجع هيبته والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى وعز سلطان النهى وهو المهيب وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيه جاء في الهيبه قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب
تسكن جوارحه فكان على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمر في القلب عتاباً له فان بدا أنسيت من هيبته

ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهابك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها قليل ولا أن قل منك نصيبها

لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك
لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبه تملأ الصدر . وقال
وتملاً عين الناظر المتوسم » وقال ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصور أملأ للعين من البدور

وقال آخر : إذا ذكرت أمثالها تملأ الفجا وقد أجاد أبو تمام في صفة

الهيبه والخافة فقال :

تبت المقام يرى القبيلة واحداً ويرى فتحسبه القبيل قبيلة
وقال :

قد أترعت منه الجوانح هيبه^(١) بطلت لديها سورة الأبطال

لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال

ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيش إذا غدت وحيداً ووحيده في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجد يكثر معشراً

وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي اعمونة :

شدّ الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم

لا يصلح السلطان إلا هيبة تلقى البريء بفضل جرم المجرم

منعت مهابتك النفوس حديثها بالشئ تسكره وإن لم تعلم

ونجحت من حزم السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم

وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد :

وأنت حياً في الحروب محالهم والجيش باسم أبيهم يستهزم

يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :

ليبك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمر

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيف والجياذ بهم تجري

ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي لهبا

وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا

فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية

ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تلبه رعته وإذا غفا^(١) سلت عليه سيوفك الاحلام

فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيت فيه الهموم والأطما وصرت فيه بين الورى علما

أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمت كان لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كاه قول النبي ﷺ «نُصرت بالرُّعب» وما وصف أحد هية صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

إذا مامشي بين الصفوف تقاصرت
يقومون من بُعد إذا أبصروا به
ويدعون بالاسماء مثنى وموحداً
وان سار كفَّ اللحظ عن كل منظر
فلست ترى إلا إفاضة شاخص
وقوله: تراءوك من أقصى السماط فقصروا
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم
إذا نكسوا أبصارهم من مهابة

رؤس الرجال عن أشم سميدع
لأبليج موقور الجلالة أروع
إذا حضروا باب الرواق المرفع
سواه وغيض الصوت عن كل مسمع
إليه بعين أو مشير بأصبع
خطاهم وقد جازوا الستور وهم عجل
على يد بسام سجيته رسل
جلالة طلق الوجه جانبه السهل
ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقوم فوق سروجهم
وقال البحترى :

ومبجل وسط الرجال خفوفهم
فالله يكلؤهم لنا ويحوطه
لقيامه وقيامهم لنعوده
ويعزه ويزيد في تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعدَّ خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
كميل بن زياد أثبتته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن الزيد أنى حدثنا على بن حكيم الأذرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدنى حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن على عن آباءه عن كميل بن زياد قال أخذ ييدى على
رضى الله تعالى عنه فلما أصغرنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج راع
أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق
يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تكتسب به الطاعة في
حياتك وجميل الاحدثة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
مات خزان المال والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة هاه ان ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً^(١) غير مأمون
يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً لحمة الحق
لا بصيرة له في اجنائه فيقده الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أولاذا
ولاذا فمنهموم بالذات سلس القياد للشهوات ومفرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
الدين أقرب شبيهاً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة
إما ظاهر وإما خائف اثلاً تبطل حجة الله وتبينه وتم وأين أولئك الاقلون عدداً
الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعده المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها متعلقة بالحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
والدعاة الى دينه هاه شوقاً الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت
بسفينتك سبوح معك ، وقال الخليل :

افخر وكثر بالقربة حجة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضيته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعه وبئسَ مُستودعَ العلمِ القراطيسُ
وقلت : تقل غناء عن جهولٍ مغر دفاتر تلقى في الظروف وترفعُ
تروح وتغدو عنده في مضية وكائن رأينا من نفيسٍ بضيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لم يثن اللسان على هجر
بصرفُ بالقول اللسان كما اتحنى وينظرُ في اعطافه نظرَ الصقر
ونحوه : لا خيرَ في حشو الكلا م إذا اهتديت إلى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
وبعجبني زى الفتى وجهاله ويسقط من عيني ساعة يلحنُ
على أن للأعرابِ حداً وربما سمعت من الأعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزان مفتاحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنباري عن أبيه :

شفاء العي في طول السؤال وعدلك في المقال وفي الفحال
وبحثك في الأمور عن المعاني وتخرج المقال من المقال
وقولك بالصواب إذا أنارت شواهدُ ورفضك للجدال
وصمتك حين تسمع من حكيم ليفهمك الصحيح من المحال

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعز يرد الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحث المودة وحاصد يذهب بالضعفين ومُله يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به بالكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر أنك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروني قال تحدثنا بباب الأوزاعي وفينا أعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فقبل له بحق ما سميت خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني إسماعيل

ابن عبید الله قال قال جدی : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الا يقظة ولا يقظة إلا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى ما ترى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عبيدة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله انه لزم المروءة ضيق العطن أحق الوالد أئيم الخال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأوا أعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في بابه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد الباهلي قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ما تقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طعماً وأوفاهم ذمماً وأبعدهم همماً همجرة في الحرب والرفد في الجذب والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر ففضب أبو العباس لأعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو تفكر في جمع معانيهم واختصار اللفظ في مثالبهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف طاقته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأى جد بلغ المازح
ومثله : صارَ جداً ما فرحت به رُبَّ جدٍ جرَّه لب

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه
أجود ما قيل في التظاهر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري بوصى ولده وقومه وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعائنته وقال يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق الكبير وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فانه نابكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي به تستجبرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن يوسف فانه الذي وطأ لكم المغابر وذل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظاهر وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يُمدد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أيد
 عزت ولم تسكروا إن هي بددت فالوهن والتكسير لا تبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماريان فان كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئتما قالوا بل رضىنا أكمل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلتما لتما قبلى ثم رفع طرف فراشه فإذا نحت سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت بالناس عار
 ثم قال الحمد لله الذى لا يبالي أصغير هلاك فى ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلفظمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيد منا ذرا حد نابيه تخمطينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة فى سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذى يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنه
إذا سُمتُهُ وصلَ القرابةِ سامنى
وأسعى لى أبى ويهدم مصالحى
يحاولُ رغبي لا يحاولُ غيرهُ
فإن أتصر منه أ كن مثلَ رائش
فبادر منى النأى والمرءُ قادرُ
فإن أعفُ عنه أغض جفناً على القذى
حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
فما زلتُ فى لين له وتعطف
لاستل منه الضغنَ حتى سلته
فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الاثبات فما أحسنها وأرضاها قال معن
ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبى ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
عم أبى عن أبيه قال قال العتابة كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
فأقبل يحيى بن أ كتم فقمت اليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيل قلت
إن الله قد أتخفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة إن شكرت وبالنقصان إن كفرت
وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل
شئ زكاة وزكاة الجاه رقد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث أن خرج
الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر الثمار عن سفيان بن عيينة عن
ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب
(٢٠)

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ما ضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وسره فاذا عجلته هنأته وإذا صغره عظمتها وإذا سترته تمتته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناه ونخره فهما آيت من معروف فانما آيته لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفأ وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم » فقالوا ننذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتسج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نعتبها من النجعة استئماناً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الإخوان فيها فانتجعتك وأنا باستجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحي من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبي أبدأ بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسره	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم	تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا يمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بث اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثل المعلي	وجدتُ عدوك التربُّ الذليلُ
رأيت المطلَّ ميداناً طويلاً	يروضُ طباعه فيه البخیلُ
فما هذا المطالُ فدتك نفسى	وباعك بالندى باع طویلُ
أظنك حينَ تقدرُ لى نوالاً	يقلُّ لديك لى منه الجزيلُ
فلا تقدر بقدرك لى نوالاً	ولا قدرى فيحقرُ ماتنیلُ
وأطلق ماتهم به عساهُ	كفانى أيها الرجلُ النبیلُ
وإلا فالسلامُ عليك منى	نبت داراً فاسرع بى الرحیلُ
إذا ضاقت على أملٍ بلادُ	فما سدت على عزمٍ سبیلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى ولـسكنه خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب الممانى فى عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث السكلا بى على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو بصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قد أمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أما ما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لى فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا نى رأيت الذى
أخذت منى بمسألتي إياك بوجهي أكثر مما نالني من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقوقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بى إلا قبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحضر وأقل فقبل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومضى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحمول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنني أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنني أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فأنك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنتَ بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجة أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بصرنا سبيل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)
ووصف من مقتله فقال (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَعِيمٍ مَنَاعٌ لِلسَّخِيرِ مُعْتَبِدٌ
أَتَيْمٌ مُعْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) فذم قوله وفعله وعاب شيمته وخلقه وهتك
بالشتم عرضه وسود بالذم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميم الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكالا من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراقٌ جميلٌ خيرٌ من صُحبةٍ على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدنَ كما تجمعينِ وخالداً وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمد

يقول لأم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هويها فامتنت عليه فخرج يوماً بتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيهةً أم عمرو اذا عاينتنا لا تأمنينا
فمينك عينها اذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا
وساقك ساقها^(٢) ولا أم عمرو خدلجة يضيقُ بها البرينا
ورأسك أزعر ولا أم عمرو غداً ينعفرنَ وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبتع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) « تنظرينا » غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم ^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركته أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبَدِّد ^(٢) للعدى من السرِّ ما يُطَوَّى عليه ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّي لياليَ نفسه توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ وفي النفس منه غُدرةٌ ونحورُها ^(٣)
لوى رأسه غنى ومال بودِّه أغانيجُ خَوْدٍ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلَّةٌ تظللُ لأصحابِ الشقاءِ تدبيرُها
وما أنفَسُ الغتيانِ إلا قرائنُ تبينُ ويبقى ^(٤) هامها وقبورُها
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حليمك اذ غزا وسافرَ والاحلامُ جمَّ عثورُها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئاً تستخيرُها ^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرُها
وهذا جواب لا ترى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فإن البتي فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكني أراك تجوزُها ^(٦)

-
- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، علي مافي ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرز من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلق ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «نفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تعدل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تنقذها من ابن عُويمر وأنت صفي نفسه وسجيرها
فإن بك يشك من قريب مخانة^(١) فتلك الجوازي عقيبها ونصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكين على الحلق حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمرو علانيتها
ونخلد سرها فجاء خالد ليلاً وعمرو معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمرو أبي الطير المربة غدوة على خالد إن قد وقعن على لحم
كليه وربى لن تعودى بمثله عشية لاقته المنية بالردم
فأنك لو أبصرت مصرع خالد منعت^(٢) الستار بين أظلم فالحزم
علمت بأن الباب ليست؟ ولا البكر لاضمت يداك على غنم
ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا التفت الأبطال مجتمع الحزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل:

لحي الله من لا ينفع الودعده ومن حبله إن مد غير متين
ومن هو إن تحدث له العين نظرة تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذولونين ليس بدائم على العهد خوان لكل أمين
ومن هو عند العين أما لقاءه فجلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب إذا طابتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه منتفع وأشبه البر بالعقوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة :

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الصلوعِ شفيعٌ
وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تباغعدوا إليك ورواحا حتى ملني البكور
وسمى التهجير وشكاني الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ودٍّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقه
وهذا ذرء^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفتك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاء دائمٌ ولست إذا مال الصديق على حرفٍ
إذا أنا لم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كفى
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذرء عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتي وليك وسعديك داعياً مستجاباً له وعائباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك ألزم لقلت ولكني
أسأحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فتأتيناكم ونعتذر
ولا ترى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة اللاح فأثقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذرء من خبر : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا)

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :
 أمنعاً إذا جئتكم أستعيرُ فكيف إذا جئتُ أستوهبُ
 ومثلي إذا كان في معشرٍ فلا عزٌّ عندهمُ منك
 يُقربُ مثلي إذا ما نأى ويكرمُ مثلي إذا يقرب
 عتبتك للودِّ لا للقلبي وواصلُ صديقاً مانعاً

ومما يجري مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الأرضِ أوطاني
 فإن صدَدْتُ بوجهي كي أكاغتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان
 وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم لياليَ عودكم حلو المذاق وفيكمُ مستعيبُ
 فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكمُ ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب
 ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ حاجةً . مقضيةٌ أو برُّ ينفعُ
 واعلمْ بأنني لأأسرُ بحاجةٍ إلا وفي عمري بها مستمتع

ومن جيد المعاتبات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملكُ النائي بفرثه^(١) وجوده لمرجى^(٢) جوده كذبُ
 ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً أن السماء تُرجى حينَ تحتجب
 مادونَ بابك لي باب ألوذُ به وما وراءك لي مشوى ومطلب
 وقوله في أبي سعيد :

لعمرك لليأسُ غيرُ المربثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
 وللريبُ تحصره بالنجاح خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الأصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمرعى » .

سأقطع أرسان العتاب بمنطق
وان أمراً ضنت يدها على امرئ
أخذه من قول مسلم :

وأحببت من حبها الباخلين
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
بغار على المال فمل الجواد
وقول أبي تمام :

لا آله وب أكف كلما اجتديت
قوم تراهم غيارى دون مجدهم
ومنها: دنيا واسكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدم أزرى بيهجته
وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقوم إستمعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقف المذور مني بمنزل
هي النفس إما أن تعيش عزيزة
عفاء على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاء على الدنيا إذا مستحقها بغاها وإن يرجى لديه منوعها

وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخل بالقرطاس والخط عن أخ وكفاك أُندي في العطايا من المزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤم حمراً وسوداً» . (٢) في الديوان «أن يجوداً»

قصير عنار الفكر فيه يطول
بنيل يد من غيره لبخيل

حتى رمقت ابن سلم سعيداً
ثياباً من البخل صفراً وسوداً^(١)
وتأني خلائقه أن يسوداً^(٢)

فعلن في الحل ما لم تفعل الديم
حتى كأن المعالي عندهم حرم
وآخر الحيوان الموت والهرم
لبس العلاء طلالا يزرى به القدم
نبال العدى عنى فكنتم نصالها
على حين خذلان اليمين شمالها
ذمماً فكونوا لاعليها ولا لها
وخلوا نبالي للعدى ونبالها
وإلا ففتم أن تزول زوالها
على المرء إلا رفقها وسماها

فلا يكن المبذول للوم ^(١) سمة وقرطاسه بين الصيانة والخزن

وهي طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر^٢ والحر للفرج الجليل شكور
لكن رأيتُ بباب دارك جفوة فيها لصفو صنعة تكدير
ما بال دارك حين تدخلُ جنة وبياب دارك منكرو^٣ ونكير
غيره : ^(٢) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يابن قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الأذن سلماً وجدتُ إلى تركِ الحجب سبيلاً
وقول أبي تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأَوَّل
وإني لأرجوكم على بطم سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبي دؤاد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت العلاء معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً ^(٣) وقرَّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسبُ ليلةً تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول فارها
فلا تمكنن المطلق من ذمة الندى فبئس أخوالاً يبدى الكبار ^(٤) وجارها
فان الأيادي الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأس صادياً ^(٥) إذا ماسمأ اليوم طال انهارها
وخير عدات المرء ^(٦) محتضراتها كما أن خيرات الليالي قصارها
وما العرف ^(٧) بالتسويق إلا كخلة تسليت عنها حين شطَّ مزارها

(١) (للوم) ساقطة من الأصل فاستدر كذاها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبي العميشل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقا) .

في موضع (الحجب) . (٣) في ديوان أبي تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبي تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارباً » .

(٦) في ديوان أبي تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لمالك بن طوق وقد حجبته :
 قل لابن طوق رحاً سعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجرة الفيحاء ^(١) مقفلة غنى وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبته
 يطير من بدى خلفته ويلطف عن حسى لقلته وعهدى بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذى أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تملُّ صديقاً صدوقاً وشفيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجوى نظاماً ولا عندي أنك تقلُّ وبحر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمت بصلمتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقللت فتسأمني كما
 سئمت هادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت عاتبت الصديق ولم يكن يودُّك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغربها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشاربه
 وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من ذنى الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تزد نقيرا وأنا في درجتي لم أنقص قطيرا فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك مالا يتصور لديك
 وكفاك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يبصر الهلال بدراً ولا الشبل ليثاً ولا الغصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً . والعرب تسمى الكبريتها وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبج سمته
 ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذى يضررك ولا ينفعمك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

ما بال من أوله نطفةٌ وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا يفيض جاحه طول العتاب ولا عناء العذل
 يطغى عليك وانت تلام شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل
 ضاق الزمان فضاقت فيه قلبي والماء يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلزم النازلون محله ؟ فمنزلكم للحمد والشكر منزل
 رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد يسألوكم فوق ما كان يسأل
 وقصر عن مسعاكم كل آخر وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغتُ الذي قد كنتُ آمله لكم وان كنتُ لم أبلغ بكم مأثراً
ومالاً حقاً واجباً غير أني اليكم بكم في حاجتي أتوسلُ
فإن أنتم أنعمتم وبررتم فقد بستمُ النعمة المتفضل
وان كنتم أوليتموني تفضلاً جيلاً فإنَّ العودَ بالفضل أفضل
وكم مُلحفٍ قد نالَ منكم رغبةً ويمنعنا من أن نُلحَّ التَّجمل
وعودتموني قبل أن أسأل الفنى ولا يكمل المعروفُ والوجه يبذل
وقال ابن الرومي :

من الحيفِ تخسيس^(١) النوال ومطله فمجلٌ خسيساً أو فاجلٌ موفراً
وكن فحلاً تلوى وتسنى عطاءها وإلا فكن عفاً أقلَّ وبسراً
وقال : يا شبيهَ البدرِ في الحسنِ وفي بُعدِ المثال
جُدْ فقد تنفجرُ الصخرةُ بالمساءِ الزلزال

وله في المعانيات ما لا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمت وزارته لا تجمعنَّ على العارِ والنارِ
ان كنتُ أحسنتُ في وصفي ما أثركم فأثروا فيَّ بالاحسانِ آثاراً
وإن أكن قلتُ ما لا أستحقُّ به^(٢) منكم ثواباً فردُّوه وما سارا
انَّ المديحَ اذا ما سارَ مُنفرداً من الثوابِ كسي من قاله طاراً
فقد يعزُّ بليغ في بلاغته وقد يظنُّ سوى المختارِ مختاراً
أسهبتُ فيكم لكي أعلِّ فطاطاني تقصيركم بي فقد أزمعتُ إقصاراً
انَّ السلايمَ لا تبني أطاولها يوماً ليهيبطَ بانيهنَّ اغواراً
لكنَّ ليصعدَ انجاداً تشرفه حتى يمدَّ اليها^(٣) الناسُ أبصاراً
وقد هبطتُ بما شيدته لكم من حائقٍ ولعلَّ الله قد خارا

(١) في الأصل « تطيف » وفي ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت ما لا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه)

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١) وغائر منجد من بعد ماغارا
 ثقلت في كفة الميزان فانكد رت تهوى وشال خفاف الناس^(٢) أقدارا
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته يوماً وكم واقع من بعد ماطارا
 لابنى سمير^(٣) صروف غير غافلة يحسن نقضاً كما أحسن امرارا
 وقال : وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم فلم أنا في نمالك ردف وهم صدر
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى فلم شربهم صفو ولم مشربى كدر
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم فلم كسبهم مدح ولم مكسبى جزر
 وماى لا أنفك أنى مسنداً ولى منكم ظهر وما مثلكم ظاهر
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر لتجبر من مالى وقد أمكن الجبر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله فقلت له غنيت لوسـ اعد الزمر
 وقلت : قد كنت تولينى الحسنى وتكرمنى وكنت أشكر ما أتانى من الحسن
 فما بدا لك في مجود ومكرمة تجرى من المجد مجرى الروح فى البدن
 ارجع الى الحالة الأولى فان لنا شكراً يكون لها من أوفى الثمن
 وحسن أحدوية لو كنت تبصرها حسبها غرة فى جبهة الزمن
 أذكرى من المسك فى أصداغ غانية كأنها قرى أوفى على غصن
 وللصاحب بن عباد فى الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بى من شعره أجود منها فنها :
 سيدشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززع لعلم
 وقد طرف البحتري فى قوله بسبطين محمد بن العباس الكلابى :
 المئة الدينار منسية فى عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفى

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط (هبطته) . (٢) فى الديوان (القوم) .

(٣) ابنا سمير : الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أى يتحدث — كما فى جنى الجنة .

ان كنت لاتنوى نجاحاً لها فكيف لا تجملها ألفا
 وقوله : عمرت أبا السحق ماصح العمر
 فأنت ندى نحيبا به حيث لا ندى
 على أننى بعد الرضا متسخط
 وقد أوحشتنى ردة لم أكن بها
 فلم جئت طوع الشوق من بعد غابتي
 وما باله يأبى دخولي وقد رأى
 ومن جيد ما قيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عوفى على المرء تقاضيته بترك التقاضى
 وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
 وفى خلاف ذلك قول بعضهم : ثقى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمى بشغلك
 يحذو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
 أنت أمضى من أن تحرك للمجد ولكن شراهة الشعراء
 وفى خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
 وقد كنت أرجو للصدىق شفاعتى فقد صرت أرضى أن أشفع فى نفسى
 وقول الآخر : ألموت خير من حياة زهيدة ولمنع خير من عطاء مكدر
 ومن مديح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامسا كي ليس
 باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامسا كي ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى
 الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطيبين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :
 فإن كنت ما كولا فكن خيرا آكل وإلا فأدركنى ولما أمرق
 ومما جاء فى ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

السلوان وباعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن المحاجة والمحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك أخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلبة
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبابك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد في
المحمود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرَّفه ما أرَّفه في التقاضى	وليس لديك غير المطلب نقدٌ
خلا وعد مددت إليه كفى ^(١)	فأعرض دونه مظلٌ يمدُّ
إذا إنجازٌ وعدك كان وعداً	فيكفينى من الوعدين وعد
وقال: سألتُ قفيزين من حنطةٍ	فجئت بكرٍّ من المنع واف
وأتبعته منكم لى بالمجابِ	مهلاً هديت ففى المنع كاف
كأنى سألتك حبَّ القلوبِ	ذاك الذى من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	
وكن عند ما نرجوه منك فأننا	جميعاً لما أوليت من حسن أهل
ولا نعتذر بالشغل عنا فأنما	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط «مددت إليه عيني» .

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

ففضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جساؤه : هل تعلمون أهل بيت قبل فيهم شعروودوا أنهم افتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعدٍ ولا بفزارة الشعر الرقابا

فوالله يا أمير المؤمنين إني لأبس العمامة الصفيقة فيخيل لي أن شعر قفاي قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

ففضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا افتديناها بأملأ كنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رماحُ بني نميرٍ الصدور ولا قصار ؟

فوالله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغليُّ إذا تنحنحَ للقرى حكَّ استه وتمثلَ الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتتبعه قاتلي أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طمن أحد في استه لم يحكمها .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلَّهِ مَنِينَ يَفْعُسُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فحجلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبدَ القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجومُ لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائفا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمى ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفى وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يطبخها الخاكم ومائة يقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاء
لسان رمع عامر أذكرك في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأسنة وأمه كبشة
بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفجاء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم علاثة^(١) من النخع ، ثم خلا بامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عاقر مشؤوم أما كذلك رأى يزك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فـ كان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعننى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعياهم نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منهجراً من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقبل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه ففضى بينكم	أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه	ولا يبالي غبن ^(٢) الخاسر
علقم ما أنت ^(٣) الى عامر	الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا	ثار عجاج البكمه الثائر
ساد وألفى رهطه سادة	وكبراً سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فعقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد
علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :
أتانى وعبد الحوص من آل جعفر فباعبد عمر ولونيت الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذ كر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»
ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لالت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمك وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا
 كلا أبويكم كان فرع دعامة ولاكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
 تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خائصا
 يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء القأمت القوامصا
 رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواماً عليك مراهما
 فعضَّ حديد الأرض أن كنت ساخطاً بفيك وأحجار الكلاب الرواهما
 فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعبر
 بالبكاء ، قال مهمل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحد لنحن أغلظُ أكبأداً من الابل
 وقال جرير :

بكى دوالٌ لا يرفأ الله دمه ألا انما يبكى من الذل دوال
 وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الخطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة لو أن مسعاة من جاريته أمم
 جارت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣) ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤) بدا واضح ذو غرة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجمحي (وكان الخطيئة مع علقمة بن علاثة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جارت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
 جارت قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوصان : الاحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمرو بن الاحوص ، كافي جنى الجنتين في المثنيين للمعجب .

(٣) في طبقات الجمحي وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .

(٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى « علقم لالنت الى عامر » فر على ألسنتهم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعي قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ النابِ عندَ الثرائدِ ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يا بني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
ولى الدنيا بخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعترهم ^(٥) وعند المقلين السماحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قاله العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إلياس وبجى
ابن زياد وحماد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لالنه) (٢) عجز البيت في الاصل غير منقوط فصححناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الاغانى « رزق من يعترهم » .
(٦) في الاصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمانت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

مازال فينا رباط الخيل معلة وفي كليب رباط اللؤم والعار
قوم إذا استنبح الأضياف كنبهم قالوا لأمرهم بولى على النار

قالت بنو تميم ما هجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوهاً شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أمرهم خادمتهم بأمر ونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطعموها به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيوها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قتلها كانت تطفئها بيوها .

وقالت بنو مشاجع ما هجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحر حان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهود

وقالت بنو كليب ما هجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألس كليباً إذا سيم سوءة أقر كقرار الحليمة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن في طبقة لحكم على جميع

ما في معناه . وبمده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجهن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة نشد على صفي تميم لوئت

ولو جمعت يوماً تميم مجوعاً على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً برفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قوم^٢ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة^٣ الود^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها

وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب^٢ جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن^٣ مثقالا
 وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم^٢ من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قوم^٢ إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرون^٢ بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية^٢ إذا صدر^٣ الوراء^٣ عن كل منهل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقية^٢ فعادى بني العجلان رهط^٣ ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون^٢ بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يردون الماء إلا عشية^٢ إذا صدر^٣ الوراء^٣ عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حر جانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للسكاك - يعنى الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كان من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
 قال أحيا^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
 وما تُسمى العجلان إلا لقليلهم مُخَذِ القعبِ واحلبُ أيها العبدُ واعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجاءهم ولا يكن
 سلاح عليهم قهدد النجاشي وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابلهم ومثل قوله :
 * تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحترى :
 ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتابُ
 وهان عليك سخطى حين تغدو بمرض ليس يأكله الكلاب
 ومن التناهى فى الاحتقار والخول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الاشافر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالققع بالقاع لا أصل ولا ورق
 ان الاشافر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا
 لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
 وقول الآخر * لو يخلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكاد من رقة ولؤم يخفى على البارى القديم
 وقول أبى الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالى أراك عن الندى معزولا
 إني أقول مقالة تجرى بها لو كنت من كرم ! كنت قليلا
 وقول أبى تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحياة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيادة الاعمى .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجاباً ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال : وأنت أنزر من لا شيء في العدد .

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشرار قول الأول :
فلو أنى بليت بهاشمي خولته بنو عبد الداني
صبرت على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني
وشكار جل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد ،
يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :
خرجنا الغداة إلى زهرة وفينا زياد أبو صعصعه
فسته رهط به خمسة وخسة رهط به أربعة
وقلت في معناه :

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قلوا كلما زادوا
ولا يهوانك من دهمائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد
عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس منذ خلقوا في الخير زهاد
ومن التناهى في صفة الخول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :
سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله
ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فأذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل
فجعله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهيج لضعفه وقلته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن العباس قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكنْ كيفَ شئتَ وقلْ ما تشاء وأبرقْ يميناً وأرعد شمالاً
 نجابك لؤمٌ منجى الذباب حتمه مقاذيره أن ينالا
 وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى
 لست أجد خيراً منها فى معناها وأجود ، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
 الاكل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب .
 وأنشد الجاحظ :

ووثقت أنك لاتسبُ حماك لؤمك أن تُسبَّأ
 وقال الآخر : بذلة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
 وقال غيره : دناءة عرضك حصن منيع تقبك اذا ساء منك الصنيع
 فقل لعدوك ما تشتهى فأنت الرفيع المنيع الوضع
 وقلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
 لاتفخرن وإن غدوت مقدماً فعلى جبينك سيدياء مؤخر
 وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجه غالب قام له هجوى مقام الشرف
 يقول قد أسرف فى هجونا وإنما زاد بذاك السرف
 غالب لا تسمي اتبنى العلا بلغت بجداً بهجائى فقف
 قد كنت مجهولاً ولكنى نوهت بالمجهول حتى عرف
 فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقت من البظر المواسى
 ومن قديم الهجاء لمن لا يقع فى حياته وفى موته فجيرة قول بعضهم :
 وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لانفع وموتك فاجم
 وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهى قاصداً ولا تأمن من العاير

ولكن وقاك معرّاتها
تضاؤل قدرك في الخطر
وقال غيره :

إني هجوتُ بكلِّ لفظٍ مقذعٍ زيداً وكان له الهجاءُ مديحاً
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت شبهاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك أو لؤمك أو شحك
إن من شبهك الكلب فقد بالغَ في مدحك
وقلت : أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحجى على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أنهمجو مثله في سُقوطه فقلت لهم جرّيتُ سيفي على كلبِ
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مرّ بي مرّة فقال مهلاً يا أخا خالدِ
حسبكمُ خزيّاً بنى آدم شرّ كنتم إياه في الوالدِ
ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لذكك ^(١) لنفسه :

وعصبة لما توسّطتهم صارت ^(٢) على الأرض كالخاتم
كانهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك إبليسُ سروراً بهم لأنهم عارٌ على آدم
وقلت : قلت للكلب حين مرّ بي أخساً فكأنني كويتُ قلبك كيا
أترى انني أَعُدُّك كلباً أنتَ عندي إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والخنول قول زياد الأعجم :
إذا ماتني الله امرؤٌ وأطاعه فليسَ به بأسٌ وإن كان من جرم
ولو جمعتُ جرمٌ على رأسِ نملةٍ لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم
ومن بليغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثل أخلاقِ امرئٍ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها للمعة ^(١) ولا استؤمرت ^(٢) في حلٍّ أمر شهودها
إذا امرئياتٌ حللن ^(٣) ببلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سراويلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يأتابت بن أبي سعيدٍ إنها دوكٌ وأحراها بأنْ تنقل
هلا جعلت لنا كحرمةٍ دعبل في استِ أمِّ كلبٍ لا تساوى دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره فهبك ابرد نلت أمك ^(٤) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد عجرد
* نسبت إلى بردٍ وأنت لغيره * قال بشار تهباً لحماذ في هجائي في هذا البيت
خمس معانٍ أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل

ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسعى لحاجتهِ ما بينَ ذى فرحٍ منها ومهموم
ومالكٌ ظلٌّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيسَ بها ما بينَ طوقٍ إلى عمرو بنِ كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (العظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كناها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي (١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقيـل الأمرُ مصنوعُ
إن الجديد إذا ما زيدَ في خالق تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبير
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدوا أويخلوا لم يـحـفـلوا
وغدوا عليك مرجليـنـ كأنهم لم يفعـلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شياً إلا التيوس على أقفاؤها الشعرُ
ان نافروا نفروا أو كاثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمرِوا
كان ريمهم في الناس إذ خرجوا ربيع الكلاب إذا مامسها المطر (٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ربيع الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتميم حسن . وقالوا قول جرير * نتفت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالك
وإن أحق الناس ان لا تلومه على اللؤم من ألقى أباهُ كذلكا

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النسوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي ، وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) قى ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضعت أسار
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
وقد مرَّ البیتان الأولان فيما تقدم . ومن الإفراط في الهجاء قول الآخر :
لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهُ ذا المنِّ من فضله ولا تسألنَّ أباً وائله
فما سألَ اللهُ عبداً له نجابَ ولو كان من باهله
وقال الآخر : ولو قيل للكلبِ يا باهلي لا عولَ من قبح هذا النسب
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجدها مثلاً في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنت بالزاهد
وايسَ عدوك بالمتقى وليس صديقك بالحامد
أتيتُ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فناديتُ هل فيك من زائد
على رجلٍ غادرٍ بالصديق كفورٍ لنعمائه جاحد
فما جاءني رجلٌ واحد يزيدُ على درهم واحد
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحلت به دعوةُ الوالد
فبعثك منه بلا شاهد مخافةً أدرك بالشاهد
وأبتُ الى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقد
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل « بنو كليب » والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يَقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ بِيَاقٍ وَلَا خَالِدٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ نَفْسٌ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
رَضِيتُ لَتَشْتِيتُ^(١) أُمُوالَهُ يَدِي وَارِثٌ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
أن فلاناً كان يقي^(٢) إحدى عينيه ويقول إن النظر بهما في زمن واحد من السرف .
ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَتُّ طَاهِرًا فَجَاءَ سُلُوبِي^٣ فَبَالَ عَلَى رَجُلِي
فَقُلْتُ أَقْطَعُوهَا بَارَكُ اللَّهُ فِيكُمْ فَأَنَّى كَرِيمٌ غَيْرٌ مَدْخِلُهَا رَحْلِي
وَقُلْتُ : وَقِفْتُ لَدَيْكُمْ لِلْسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَقُوفِي عَلَى أَطْلَالٍ سَلَمِي وَعَاتِكِهِ
بِرُومِكَ تَسْلِيمِ الْعَفَاةِ كَأَنَّهُ بُوَادِرُ طَعْنٍ فِي الضُّلُوعِ مَوَاشِكِهِ
وَمَا فِيكُمْ حَرٌّ يَكْرُمُ ضَيْفَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَاسَاءُ أَيْ كَرَمُ نَائِلِهِ
وَإِنْ كُنْتُمْ نَاسًا وَمَا أَنْتُمْ بِهِ فَإِنَّ الْقُرُودَ وَالْكِلَابَ مَلَائِكِهِ
وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :
سَمِعْتُ الْمَدِيحَ أَنَا سَاءَ دُونَ مَا لَهْمُ رَدِّ قَبِيحٍ وَقَوْلِ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ رَجُلٌ الْبَعُوضَةُ مِنْ فَخَّارَةِ اللَّبَنِ
وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك مانعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعلج :

أَتَقْفَلُ مَطْبَخًا لَا شَيْءَ فِيهِ مِنْ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
فَهَذَا الْمَطْبَخُ اسْتَوْثَقَتْ مِنْهُ فَمَا بِالْكَنِيفِ عَلَيْهِ قَفْلُ
وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَحَتَّى السِّلَاحَ مِنْكَ عَلَيْكَ بَخْلُ
وَأَنشَدْنَا : وَإِنَّ لَهُ لَطَبَاخًا وَخَبْزًا وَأَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ
وَلَكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأَبْوَابٌ تَطَابُقُ دُونَ بَابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

يذودون الذُّبابَ يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبَنَّ خيرَ زلٍّ عن يده ^(١)
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليسته ^(٢) ان قال مجتهداً
 وان همتَ به فافتكُ بخبرته
 قد كان يعجبني لو أنَّ غيرتهُ
 وقال آخر : يزادُ لؤماً على المديح كما
 وقلت : مخبرُ الأميرِ عشيةُ
 وإذا بدأ جليسه
 وتحوطه أحرأسه
 فالزورُ يصفعُ عندهُ
 وقال آخر: قتي لرغيفه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيف بكى عليه
 ودون رَغيفه قلعُ الثنايا
 وقال آخر: إنَّ هذا الفتى بصون رغيفاً
 هو في سفرتين من آدمِ الطا
 مُختمت كلُّ سلة برصاص
 في جرابٍ في جوفِ تابوتِ موسى
 وقلت : لنا سيدٌ واحدٌ ماجدٌ
 لثيمٌ إذا جاءهُ طارقٌ
 كأمثالِ الملائكةِ الغضاب
 قال كوكبُ النحسِ يسقي الأرضَ أحياناً
 « لا والرغيف » فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لحمٍ ودمه
 على جرادقةٍ كانت على حرمه
 يزادُ نتنُ الكلابِ بالمطر
 يغدو عليه يُلاعبه
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذبُّ عنه كتائبه
 والضيفُ ينتف شاربهُ
 واكليان من درٍّ وشذر
 بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
 وحربٌ مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كلٌّ ^(٣) من سبيل
 نف في سلتين في منديل
 وسيورٍ قد دنت من جلد فيل
 والمفاتيحُ عندَ ميكائيل
 يقتل في الجود آباءهُ
 فقد جاءه كلُّ ما ساءهُ

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أى قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صحيحناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزِهِ إذا كان يمنعهم ماءهُ

فما ولغ الكلب في لؤمِهِ لما زال يقذفُ أمعاءَهُ

وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث

في البخل قول بعضهم :

الحابس الرُّوثَ في أعفاجِ بقلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافير

وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدتْ فأكدتْ المواعيد ينننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبلا

وأجرت لي حبلاً طويلاً تبعته ولم أدر أن اليأسَ في طرف الحبل

وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلَى^(١) وقدر الرِّقَّاشين زهراء كالبدر

يُبَيْتُهَا للمعتنى بفنائهم ثلثاً كنقط الثاء من نقط الحبر

إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر

ولو جثتها ملأى عبيطاً^(٢) مجزراً لا خرجت مافيهما على طرف الظفر

غيره: يحصن زاده عن كل ضرر ويعمل ضرره في كل زاد

ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى يت لا برهة الأيادي

قليل المال تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقلت في مثله :

يطعم دُونَ الشعب أولاده ويختم البرمة والجفنه

لم يرو إلا خـبراً واحداً قد تذهب البطمة بالفظنة

وقال آخر: ظلمتكَ اذ سألتكَ ماءَ كرم وماء الكرم للرجل الكريم

وقلت : لك برمة ترهتها من أن تدنس بالدسم

بيضاء يُشرق نورها كالبدر في غسق الظلم

(١) الصلَى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط : أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ الممدَّح في الأُم
أو كانَ فعلك مثلَ قو
ومن أبخل بيت قيل :

وما روَّحَتَنَا لتذبَّ عنا
ولكن خفتَ مرزئمةَ الذباب
وقال أبو نواس يصف قدراً :

يغصُّ بحلقوم الجرادة صدرها
وتغلي بذكر النار من غير حرِّها
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل
وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طبأفهو يحمي ويحتمي
فلمستَ ترى في بيته غير جائع
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمرَ المالُ البخيلَ وجَدتهُ
يزيد به يبساً وان ظنَّ (١) يربطُ
وليس عجيباً ذاك منه فأنه
إذا غمرَ الماءُ الحجارةَ تصلبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجابِ عليه قفل
وحراسٌ وأبوابٌ منيعه
رأوا في بيته يوماً رغيفاً
فقالَ لضييفه هـذا وديعه
وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ كونهُ حاجبٌ
وحاجبٌ حاجبه مُحْتَجِبٌ
وقال أبو تمام :

لا تكلفنَّ وأرض وجهك صخرةً
في غيرِ منفعةٍ مؤونةً حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجمال بالكسر : خرقه ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان
ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر : لاتتخذ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا : أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر : إحتجب الكاتب في دهرنا
 القوم يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن :

وصاحب أسرفت في مدحه
 حجابهُ الزمسي منزلي
 وقلت في معناه :

مدحت فلم تصدق ولم تك مذنباً
 وما الجهل إلا أن تقرّظ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد :

لاخير في صاعد فأذكره
 ليس له ما خلا اسمه نسب
 ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي :

لك وجه كآخر الصك فيه
 كخطوط الشهود مشتبهات
 وقلت : إن كان شكلك غير متفق
 من عصبه شتى إذا اجتمعوا
 صورت من نطف قد اختلفت
 فورئت من ذا قبج منظره
 غيرتني أن رحت في سمل
 لمحات كثيرة من رجال
 معلمات أن لست بآبن حلال
 فكذا خلالك غير مؤتلفة
 شبهت داركم به عرفه
 فأت خلالك وهي مختلفة
 وورثت ذاك خناه^(١) أو صلفه
 والدُّرُّ لا ترزى به الصدفة

وأجود ما قبل في عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :

* جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :
طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مصلوبٌ
وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الشريفة
فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لذكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضُ أبي إسحقَ والموت
ويدعى العلمَ على أنه قد طارَ بالجهلِ له الصوتُ
لا يلتقى والعلم في مجلس أو يلتقى الإدراكُ والفوتُ
وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصديت له وأنت لو توجت^(١) بالثريا وتمنطقت
بالجوزاء وتوشحت بالحجرة وتقلدت قلادة الفكّة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
توباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :
وثقيل أشدَّ من غصص الموت ومن زفرة العذاب الأليم
لو عصت ربّها الجحيمُ لما كان نِ سواه عقوبةً للجحيم
وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كان نَ خفيفاً في كِفَّةِ الميزان
ولقد قلت حين طلّ على القوم^(٢) ثقيلٌ أربى على ثهلان

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
العقد الفريد «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أبا عمران» بدل «أبا سفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرض^١ حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنت فضل^٢ وفضلة الشيء لغو^٣ ثم أردفت ذلة التصغير
محقر الفضل ثم صغرت عنه زادك الله يا صغير الحقير
ثم عرجت فاحتواك انتقاص^٤ في اسم سوء وجسم سوء ضرير
ثم بردت فانتصفت من النار ربرد يربى على الزمهرير
فقبول النفوس إياك عندي آية فيك للطيف الخبير
إن قوماً أصبحت تنفق فيهم لعل غاية^(١) من التسخير
أو أناس غدوا وراحوا من الظر^٥ ف على حالة الفقير الوقيير
فتى ظفروا بزور ظريف أعجبتهم زخارف^٦ التزوير
كلا عاريب لم يروا درمك البر^٧ فهم يعظمون خبز الشعير
وكذا القوم لم يروا لجة البحر رفقهم يكبرون ماء الغدير
يا ثقيلاً على القلوب خفيفاً في الموازين دون وزن النقيير
طر سخيلاً وقع مقبلاً فطوراً كسفاة وتارة كثير
وله : وثقل سبحانه من ثقل وتعالى عن كل مثل^٨ وند^٩
حمل الله أرضه ثقلها وعلاها بثالث من أد^{١٠}

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء^(٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبى ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لنا غيث^{١١} نعيش بفضله^(٣) وأنت جراد^{١٢} ليس يبقى ولا يذر^{١٣}
له أثر^{١٤} في المسكرات يسرنا وأنت تعنى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعل خطة» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الأغاني (يعاش بوبله) .

لقد قنمت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتوثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبضة بن روح بن حاتم بفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وان جهدتَ ببالغ^(١) سعيَ ابن عمك في الندي داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إن المذممُ ليس كالحمود
 داودُ محمودٌ وانتَ مُذَمَّمٌ عجباً لذاك وأنتما من عود
 ولربَّ عود قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرهُ لحشَّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجةٌ أزلتها بكريم قومٍ أو لثيم
 فاذا الكريمُ من اللثيمِ أو اللثيمُ من الكريم
 سبحانَ ربِّ قادرٍ قدرَ البريةَ من أديم
 فشریفهم ووضعهم سيان في شرفٍ ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اختبرتَ حميدهم ألفيته مثلُ الذميم
 لا (نفعَ فيه) ^(٥) للصغيرِ من الأمورِ ولا العظيم
 أنظر إلى كبرِ الجسو م ولا تسلِ رفعَ الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
 أنهجوه ولست له بكفٍ فشر كما لخبر كما الفداءُ

(١) في الأغاني (بمذك) . (٢) في الأغاني (ذى العلا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ بياض ولاه سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حُرَّةٌ وقد يلد الحرَّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبُ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثَ من فضةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً جعفر بن محمد قال أهدجى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليلٍ خبر عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة وبئسَ الخليقانِ المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
 تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بحيرانِ
 فقال هذا الأُم بيت قائمه العرب . والنزوع ههنا ردء . والجيد النزاع ، وإنما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قائمه العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزعاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس أفهمهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشيرتي فليسَ مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاقَ أوَّلَ منزلٍ غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رطاه بالأصائلِ ناظري وغصنُ ثناه بالغداةِ يميني

وانى لا أنسى العهد إذا أتت بنات النوى دون الخليط ودونى
 إذا أنا لم أرع العهد على النوى فليست بمأمون ولا بأمين
 وسند كر من هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى ^(١) . ومما لا تسكاد
 تجد أجود منه فى معناه ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال دخل بعض الشعراء
 على بعض الأمراء ببرقعيد ^(٢) فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه
 ولا يسمع منه فخرج وهو يقول :

أدبٌ لعمرُك فاسدٌ مما تُؤدِّبُ برقعيد
 من ليس يعرف ما يريد فكيف يعرف ^(٣) ما يريد
 من ليس بضبطه الحديد فكيف بضبطه القصيد ^(٤)
 مالى رأيتك مرسلًا أين السلاسل والقيود
 أغلا الحديد بأرضكم أم ليس يصطك الحديد
 وقلت فى المعنى الذى تقدم :

قل خيرُ ابن قاسم فغناه كدمه
 كاد من خشية القرى يخني فى حرامه
 جاز فى اللؤم حدة كأيسه وعمه
 كاد بعديك لؤمه لو تسميت باسمه

وقلت : قرانا بقولاً إذ أنخنا بيباه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
 وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر ^(٥) قائم

(١) وذلك فى « القول فى الحنين إلى الأوطان فى الجزء الثانى ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة فى طرف بقاء الموصل . (٣) فى معجم البلدان (يدرى) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هى التى ذكرت فى معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان فى ترجمة

يوسف البياسى . (٥) فى الأصل هنا (أعبر) وسبأنى فى موضع آخر (أعبر) .

فصامٌ وصوم الليل ليس بجائز وان جازاً في فقه^(١) اللائم الاشائم
 أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه^٢ تعاوَرُ ضيفٌ في دُجى الليل طائم
 فبتنا أديمَ الليلِ نطوى على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهر واشم
 وأطعمنا لما مرقنا^(٣) من الدُّجى دحاريجَ لا تنساقُ في حلق طاعم
 مُدَوَّرَةً سودَ المتون^(٤) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيش قوائم^(٥)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو ماروينا للخطيئة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عني لستَ بي أخبرَ متى
 أنا إنسانٌ برأى الله في صورةٍ جنى
 بل أنا الاسمُجُ في العيسِ فدع عنك التظنى
 أنا لا أسلم من نفسي فمن يسلم مني

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مظه :
 وأخوس^(٥) ولاجٌ على ورائح^٦ رجاءَ نوال لو أعين^(٦) بحدود
 زَوَيْتُ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد^(٨)
 فإن كنتَ لأعن سوءَ فملك مقلعاً فدونك فاستظهر بنعل حديد
 فمندی مظلٌ لا يطير غرابه مطيرٌ ولا يدعى له بوليد
 ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومي :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍّ منتظرٌ ياشراً منتظر

(١) في الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فيما سيأتي .

(٢) في الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) في الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبي نواس (وأخوس) بإلقاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو

الأقرب . (٦) في ديوان أبي نواس (لويغان) . (٧) في الديوان (قطبت له) .

(٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنتَ اللّثيمَ فإن تصبر فمن قحة على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيتَ عيبك شعري حين تالمه شبيه عضّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شهماً منه ولم تذر
وقال ابن الزمكدم :

وليلٍ كوجه البرقيديّ ظلمة ورد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومي فيه نومٌ مشرّد كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
على أولق فيه اختبال^(٢) كأنه أبوجابر في خطاه وجتونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعوا عبداً وأزماً

أى لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلاً مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره يحول أويغور من صفره
لو صاح في الليل به صائح لو كانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه فيرزق الجند به النصرة

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضرب به شوق إلى وجهه سيد نفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهد ودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهجاب)

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره ولكنّه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي الغمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلّبت تشجعتي ضللاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتى شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شـكر؟ خلاف بأس المساعير البهاليل
لما بدت منهم نحوى ؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوى الفلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السر اويل

وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدّ فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ له عادَ الظلومُ ظليماً همهُ الهربُ
أنى الفرار وترك الحرب إذ كشفت عنك الهويناء فلا دين ولا حسب
فراسه الحلم فرعون العذاب وإن تطلب نداء فكلب دونه كلب
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نفر جة ينفر من ظل الشجر فؤاده أنثى وضره ذكر
والنفر جة الجبان . ومن جيد ما قيل في النظير قول بعضهم :

الكوكب الذنبى يخبر بالعجائب بعد سبعة
خلعوا عليه وبجّلوا وصار في عز ومنعه
وكذاك يفعل بالجدو ر لنجرها في يوم جمعه
وقريب منه : وزارة العباس منكوسة
تقتلع الدولة من أسها

كَأَنَّهُ حِينَ غَدَا رَاكِبًا فِي خِلْمَةٍ يَمَجُزُ عَنْ لِبْسِهَا
جَارِيَةُ السَّوَاءِ إِذَا جَرَبَتْ ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا
وَأَكَلَ مَا سَمِعْنَاهُ مَا أَنْشَدْنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ عَمَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى
سَعِيدُ الْأُمَوِيِّ لِبَعْضِهِمْ :

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلْمَى وَكَانَ اللَّهُ يُفْعَلُ مَا يَشَاءُ
فِيَا خُذْهَا وَبِطَرِّحْهَا بِجَنِّي وَبِرْقِدْهَا وَقَدْ كَشَفَ الْغَطَاءُ
وَيَا خُذْنِي وَبِطَرِّحْنِي عَلَيْهَا وَبِرْقِدْهَا وَقَدْ قَضَى الْقَضَاءُ
وَيُرْسِلُ دِيمَةً سَحَا عَلَيْنَا فَيَغْسِلُنَا وَلَا يَلْقَى عَنَاءُ
أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ قُلْتُ لَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ مِنْ أَحَقِّ
الْأَعْرَابِ ؟ قَالَ أَعْرَابِي سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْمَوْسَمِ وَجَمَلٌ يَدْعُو اللَّهَ لِحَالِهِ وَشَأْنُهُ
وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَاتِي قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَكَ الْوَفْدُ . قَالَ ثَعْلَبٌ أَفَلَا أَدْلَاكَ عَلَى أَحَقِّ
مِنْهُ الَّذِي يَقُولُ :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهُ فِي سِتَّةِ وَأَبْوِكَ يَمْدُدُ حَوْضَهُ فِي حَامٍ
وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ أَيْ الشُّعْرَاءِ أَشَدَّ حَقًّا ؟ قُلْتُ الَّذِي يَقُولُ :
أَتَيْهِ عَلَى إِنْسٍ الْبِلَادَ وَجَنَّتْهَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَنَهَيْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْهِ فَلَا أُدْرِي مِنَ التَّيِّبِ مَنْ أَنَا سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ صَدَّقُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ فَمَا فِيَّ عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ
فَقَالَ مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِهِ إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ وَكَيْفَ الْكِبَرُ مَعَ
النَّعَاطَةِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَتْ وَالرَّحِمُ الَّتِي فِيهَا جُمِلَتْ وَالْغَدَاءُ الَّذِي بِهِ غَذِيتُ .
وَمَنْ بَلِغَ مَا جَاءَ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ : التَّوَاضُّعُ مَعَ السَّخَافَةِ وَالْبَخْلُ أَحْمَدُ
مِنَ السَّخَاءِ وَالْأَدَبُ مَعَ الْكِبَرِ وَالْعَجَبُ . وَقُلْتُ فِي مِثْلِ هَذَا :
وَعِنْدَهُمْ مُذْنِبٌ مُنِيبٌ أَحْمَدُ مِنْ مُحْسِنٍ مُدَلٍّ

وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي صَلَابَةِ الْوَجْهِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : لَوْ دَقَّ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَاهَا

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يأليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فانها خلعت خلعة العدم ()

فهى تستهلك الجيـل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التمداء هتات على الجزاء أمين غير خوان

أظمي الفصوص ولم تنظماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان

فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنايك من مثني ووحدان

أيقنت أن لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتي ورقه الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فأنت منه الدهر في طرفه

ومن أنجل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

اجعل الزوج من مراجك فردا واقصد يا غلام والقصد أجدى

(١) في الأصل (الحلم) .

ان يكنُ فقدك الضياء رديئاً فاقنصاى للزر أردى وأردى
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ما جئتَ أحمدَ مستمِيحاً فلا يغررك من ظره الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبارقية تروق ولا تريق
ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابنَ أبي تبّع بأُمِّ الدَّواهي لدى المجمع
حلفتُ بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى
وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسُ بآبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلتَ وأرغمت أباً خاملاً أنا ابنُ أخت الحسن الحاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودعته السرَّ فألفيته أنمَّ من كأسٍ على راح
وقال السريُّ :

نتنى عنك فاستشعرت هجراً خلالُ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعت سرّاً أنمَّ من النسيم على الرياض
وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالمهد الذي عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايل
وأخذه الخطيئة فقال :

أغر بالآ إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدِّثينا
والكانون : الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل « حلفت بآبائك » .

وقدم مر فيا تقدم بيت الخطيئة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتَ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَظَلٍّ وَقَدْ دَنَسْتَ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شئت غيري ومن ذا يقبل المدح الرَّدِيدَا

ولاسيما وقد اعلقت ^(٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم اخنى عايه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه
مدحه بها البحتري مدحا كثيرا فمن ذلك قوله :

ووجهُ ضمانِ البشر فيه موقفٌ على النجاح والحاجاتُ تترى عجاها

به من صفيح الهند وشمُ تبينه صفيحةٌ وضاح يروق جماها

متى ربدتها عزةٌ أو حفيظةٌ أعيد اليها بالسؤال صفاها

متى ترها يوما عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدعٌ كعرضة له قصةٌ غير الذي هو يظهر

يخبّر عنه أنه أثر ضربة يبعث سيوف الزنج حين يخبّر

وما ضربته الزنج في الوجه بل رأى أيورهم فانشق في وجه حر

في أبيات سخيفة فطلبه ابن المدبر أشد الطالب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقُّكَ الصَفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتْلِي مُحَلَّلٌ لَكَ طَلْقُ

فَاعْفُ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ وَلَا تُبْسِطْ بِمَا يَسْتَحِقُّ مَا تَسْتَحِقُّ

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلا :

نعماك عندي التي أقرُّ بها انك أصبحت لي من الغير

وحبك الدم لائق بك ما أشبه خطم الخنزير بالقدر

أبدت في أوليات لؤمك ما قدرت في أخريات الآخر

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي) . (٢) في الأصل (أعقت) .

كالمقطران الذي يرى أبداً في رأسه ما اقتنى من العسك
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع وضعياً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوّل الشباب عاجلنى الشيبُ وهذا من أوّل الدنّ دردى
وليس هذا بالمختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفعَ البردُ ضيفَ عمرٍ وفأضحى مثلَ من فيه يا أخى زمانه
بات للبرد في طهارةٍ سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقريةٌ ولمولاهُ ذلةٌ ومهانته
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى فى بيتـه أرساءه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوعاً
ثمّ ولى يقولُ وهو كئيبٌ لطفَ نفسى على رغيف أضيعاً
كان خداعةَ الضيوفِ ولكن ربما أصبحَ الخدوعُ خديعاً
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً فعدا ذلك الرفيعُ وضعياً
عجباً منه إذ أتىحَ هجاءُ كيفَ لم يمتنع وكأى منيعاً
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينهما فى الأخلاق)

قال الأوّل فى ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيد قومى سميك لا يزيد ولا يزيد
يقودُ عصاةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهك فى الولادة والنسبى ولكن لا يجودُ كما تجود
ومثله : علىَّ وعبدُ الله بينهما أبٌ وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم ترَ عبدَ الله يلحى على الندى عليّاً ويلحاهُ علىَّ على البخل
ومثله : فإن يك مجرانا إلى جمع نسبة ففى الرأى والأخلاق مختلفان
وما أنت مثلى فى مقام أقومهُ لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر: لئن وصلت أوتنا انتساباً لقد قطعت مرارثنا العقول
 أبوك أبي وأنت أخى ولكن تبانت الطوائم والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قال لنا المكنى بالله يوماً ما هتك بيت
 من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه؟ فقال يحيى بن على المنجم قول أبي نواس:
 ألا فاسقنى خمرًا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرًّا إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقنى خمرًا، ولكن الحسين بن الضحاك
 الخليل قد قال ما هو أهتك من هذا قال وما هو؟ فأنشدته:
 أتبت سُكراً بسكر وأبت خمرًا بقمر

فقال هذا لعمري أهتك من ذاك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التى تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضوالة الجسم وقصر القامة
 وما فى معنى ذلك بايقاً مرضياً، وينبغى أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت
 المهجو والمدوح وأسمائهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فإذا ذكر لم يخفيا.

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن أنورى عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثى عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سيروا فقد جن الظلام عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفعنا إليه وهو كالريح خاطباً^(٣) فشد على أكباده بالعمائم
 ومالى من ذنب إليه علمته سوى أنى قد جئته غير صائم
 فلولا يد الفاروق عندى رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزادها اعتماداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ. (٣) في الاغانى « كالتيس طاعماً ».

فليتك من جرّم بن زبّانَ أوبنى نعيم أو النوكى أبان بن دارم
 أناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكره من يسمى عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبته عاصماً من أن تلمّ به أعنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفاناً
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقني بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار - وكرب الموت يغشاه - على خبزك مكتوبٌ سيكفيكم الله
 وقال بشار (١) :

وضيفٌ عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيفُ للجوع
 آخر : نوالك دونهُ خرطُ القناد ولو أبصرتَ ضيفاً في المنام
 أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفاء شعري ولكني هجوتك للكساد
 وقال آخر : رأى الصيفَ مكتوباً فظنَّ ببخله وتصحيفه ضيفاً فقام يوابه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبداً وصحف الصيفَ ضيفاً فقام بلطمُ خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبانت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبزُ إسماعيل كالوشى - إذا ماشقٌ يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، آتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاك هذا اللفظ^(١) الأمة كما
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 اللفظ الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التثنية وما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبدع ظرفاً
 مزجه العذب بماء الـ... يثر كى يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضاً :
 على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كعقاة مغرب تصوّر في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما أن تمر ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم ير أوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبزهُ إلا كليب بن وائل لبالي يحمي^(٦) عرّه منبت البقل
 وإذ هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بجدي ولا هزل
 فإن خبز إسماعيل حلّ به الذي أصاب كليلاً لم يكن ذاك عن ذلّ
 ولا يكن قضاء ليس يسطاع ردّه بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهلهل
 * واستبّ بمدك يا كليب المنزل * وغير ذلك قل ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحذق الأمة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق : الرغيف . (٣) في الديوان (مغرّز أشفى) .
 والاشفى بالكسر : المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمي » .

وقينة أبرد من ثلجة تظل منها النفس في ضجة
 كأنها من ننتها نومة لكنها في اللون أترجيه
 تفاوتت خلقتها فاغتدت لكل من عطل محتجه (١)
 كأنها والوشم في جلدها زرينخة شيت بلينبه
 خراجة للفسق دخاله تعجبا الدخلة والخرجه
 كأنما فقحتا خمه فت عليها عاث ثلجه

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجه *
 إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأسقيت نعمى تسربلتها كم حجة فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحت فإذا اعتضت قلت لهم خرق النعال وإخلاق السراويل (٢)
 ذاك الأمير الذي طالت علاقته كأنه ناظر في السيف بالطول
 وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا : قفا ملك يقضي الهوم على بشق *
 وقلت : سوداء يذرف دمعها مثل الاتون إذا وكف
 وكأنها من قبها سلح العليل على الخرف
 وقال أبو تمام :

فأشهد (٣) ماجسرت على إلا وزيد الخيل دونك في الشجاعة
 ووجهك إذ رضيت به ندما فانت نسيج وحدك في القناعة
 ولو بدلته وجهاً إذا لم أصل به نهراً في جماعه
 ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبد الله في السوق راكباً له حاجب من أنفه وهو مطرق
 رعت له من جانب السوق مخطاة توهمت أن السوق منها سيفرق

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقذر به أنفأ وأقذر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره : أنتَ في البيتِ وعزيبك في البيتِ يطوفُ
ومن أقبح ما جاء في قبح الاسنان قول جرير :

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خنافس سودا في صرارة قلب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأققر منى اننى لفقيرٌ
فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فمها بالقلب ، والصرارة : الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيته قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكأن
نديها دبة وكأن استها رقعة وكأن وجهها وجه ديك قد نفس عرقه يقاتل ديكاً .
ومن بديع الهجاء بالتبزيق والتمخط والبخر قول ابن الرومي :

تحسبُ مزكوماً وإن لم تزكم من سدة في أنفك المورم
محشرج الصدر برطلٍ بلغم إن لم تنزع مرةً تنخم
نخامة كالضفدع الموشم دكناء رقطاء بقيق أودم
متخطاً بالسكوع أو بالمعصم تضرط من أنف وتفسو من فم
ذانكة من لم تمته يصدم حتى دعاك الملا أرحم ترحم
وقال جحظة^(١) في البخر :

تنفس في وجهي فكذت أموت وأعرض عني جانباً فحييت
ونسى ؟ حتى حسبتُ بأنني وربكما يا صاحبي خربت
وقال بعضهم في سرعة الكلام :

كأن بني رالان إذ جاء جمعهم فراريج بلقي يدينهن سويق

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فوهاءُ شوهاءُ لها شعرةٌ كأنها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر دينتف :

وَخَدُهُ مُشَوَّكٌ مَزَوَّرُ التَّلْوِيزِ كَأَنَّهُ فَرِيَّةٌ كَثِيرَةُ الشَّوْنِيزِ
وَأَنفُهُ كَسْتَرَةٌ مُشْتَرِقُ الْإَفْرِيزِ^(١) تَحْسِبُهُ إِذَا بَدَأَ سَاجَةَ النُّورِوزِ
وَقَلَّتْ : لَعَبَ الزَّمَانِ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ لَعَبَ الصَّبَا بِالرَّيِّعِ حَتَّى أَقْفَرَا
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ يَنْتَابُهُ^(٢) الْحَدَثَانِ حَتَّى أَنْكَرَا
عَمْدَى بِهِ مُتَكَفِّراً مُتَعَصِّفَرٍ ثُمَّ اغْتَدَى مُتَعَصِّدَلاً مُتَزَعْفَرَا
وَكَأَنَّهَا صَدَغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ جَمَلَانِ يَنْتَابَانِ سَلْحَاءَ أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَمْبَةُ النَّيْكِ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ فَتَلَقَّ مِنِّي^(٣) حَيْثُ شَدَّتْ وَكَبِرَ
فَتَبَيَّتُ بَيْنَ مَقَابِلٍ وَمَدَائِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمَقْبَلِ أَوْ مَدْبِرِ^(٤)
كَأَجِيرِ الْمَنَاشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ مُتَنَازِعِينَ فِي فُلُجِ صَنُوبِرِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسَنِ مَشْرَعَهُ وَامْرَأَةً قَاعِدَةً مَرْبَعَةً
لَهَا بَظُورٌ فِي اسْتِنَاهَا بِمَجْمَعِهِ كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مَقْمَعُهُ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بالمرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَأَتَ بَابِ النِّجَاحِ إِذَا تَعَاطَيْتَهُ^(٥) بِلَا مِفْتَاحِ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعِ عَنَسَكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّابِحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فقطع الحب بالخصي كما يظن فقد المردى بالملاح
 ليت شعري بما تظنك تصي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجه قرد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة فتراه كونيم الذباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح فمهلاً ماغناء الفقاح في الأحراح
 إن من يعشق النساء بلا أب—ر كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطعان إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البخر قول الخالدي في رجل حلق سباله بعد أن أطاله:

حلقت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد الله ذلك السبال فقد كان سترًا على مستراح

وقال ابن السكن:

رجل يعق الكأس كل عشيّة ويعاقب المسواك كل صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصف
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف

وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدت فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الريق إذا قبلت صحفت التقبيل تقبيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الاصل «مسحوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلود عرارة يحسن للبخراء تقبيلاً
 فاحشة النقصان لكنها قد كملت بالبطر تكبيلاً
 أزرى بها الله فلم يعطها إلا بطول البطر تفضيلاً
 إذا بدا الفيل وخرطومهُ قلنا أعارت بظرها الفيل
 غول بيت الشرب من قبها يرون في النوم التهاويل
 ما أحسن الأرقم طوقاً لها وأحسن الأسود اكليلاً
 قد عذّب الله أمراً نالها طورين تعجلاً وتأجيلاً
 لها ضراطٌ ريحه عاصفٌ يطنى في الليل القناديل
 حلت سراويل على واسع ما خلته إلا سراويل
 أحلت تنكيلى يباب استها فكان للتنكيل تنكيلاً
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطان تبديلاً
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيل تذيلاً
 وهى طويلة عجيبة ليس لأحد فى ملاحظتها وعلو جودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل فى طول اللحية قول ابن الرومى :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرّق الباقي على الكواسج .

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أنّ الله أعطاك لحية كأنك منها قاعدٌ فى جوالق
 وقال الآخر : ألم تر أنّ الله أعطاك لحية كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفى إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلفه انسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخالصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك فى شعر ابن الرومى نقص

كثير فى الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) فى الديوان (الديبج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :

لحية قاضي القضاة لوجهدت مجهودها لم تكن كمنفقته

إذا أراد الكرسي توسدّها فقد كفته مكان مرفقته

وقال رغبة بن مصقلة لأبي شيبه القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب

لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت : قل للمدلّ بلحية موفورة وسما ولحية كلّ الحى جهله

لا يعجبك طول نبذك إنّ من طال لحيته تكوسج عقله

وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في

هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحية عليك وتعرض فالحالى معروفة للحمير

علق الله في عذاريك مخلا ة ولكنّها بغير شعير

لو غدا حكمها على اطارت في مهبّ الرّياح كلّ مطير

ارع منها موسى فانك منها شهد الله في أثام كبير

أيمّا كوسج رآها فيلقى ربّه بعدها صحیح الضمير

هو آخرى بأن يشكّ ويفرى باتهام الحكيم في التقدير

ما تلقاك كوسج قطّ إلا جورّ الله أيمّا نجوير

لحية أهملت فطالت وفاضت قالها تشير كفّ المشير

مارأتها عين امرى مارأتها قطّ إلا أهلّ بالتكبير

روعة تستخفه لم يرعها من رأى وجه منكر ونكير

فاتق الله ذا الجلال وغير منكراً منك ممكن التغيير

أوقفصر منها فحسبك منها قيد شبر علامة التذكير

لو رآها النبي يوماً لأجرى في لحي الناس سنة التقصير

واستحبّ الاحفاء فيهنّ والحدائق مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا عَنِ اللَّحَى »^(١).

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةٌ البعض من البعض
مضى الى السوق ومُغنونه أقام في البيت فلم يمض
وهو إذا مامراً في سكةٍ يملأها بالطول والعرض
يدوسها الناس بأقدامهم كأنها أرض على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجواز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
تراب فأناه غلامه برجل يضرب له اللين وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
القالب فقلت له لئس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها
من القالب قبل ضرب اللين وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حمقه
قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طوله شطر طولها
فهو الدَّهر كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم لتركت التشنيع المفوظ من
المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل
وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

ومما قبل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :

إذا استنَّ في قوهية متبختراً قفل جرذٌ يستنُّ في لبنٍ محضٍ

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في

كشف الخفا . (٢) ولكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف

ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالي في الامالي لرجل من

أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبطية متأزراً قفل جعل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من امك ببيضة لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
وقال غيره : ألا يا بَيْدَقَ الشطرنج في القيمة والقامه
وقال آخر : يكثر الناس في الطريق --- قـ من دمامته ؟
وقال آخر : فقام الى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام
وقال ابن الرومي : أنت تشتم عرضي وأنت في طول ليري
وقال الناجم : ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص
وقال : وطازب الرأي ضعيف مفرور مكائر في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر : كأنهم كل غنم الأضاحي إذا قاموا حسبهم قعودا
وفي غير هذا المعنى قول الآخر :
إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فخم
وقال ابن الرومي في القبح والسواد :
وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر
كأنما تأوى اليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجذور :

ذو جذري وجهه يحكيه جلد السمكه
أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشتبهه
أو سفر محبب أو كرش منفركة
أو منخل أو عرض رقعته منتهكه
أو حجر الحمام كم من وسخ قد دلكه
أو كور زنبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه جبكه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
ينفضه من قبحه كل طريق سلكه
وقد أبدع ابن الرومي :

جُدَرِيٌّ ما شأنها وهي شينٌ كلُّ أثر في ذلك الوجه نقشٌ
بدلت من صفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عشٌ
وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمر مخبره ومنظره
شعر تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابه عثمانين أسودين كالنحم متعممين بعمامتين حراوين فامتحنهما
فوجدتهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيتُ بباب الدار أسودَين ذوى عمامتين حراوين
كجمرتَين فوقَ فحمتَين قد غادرَ الروضَ قرير العين
جدُّ كما عثمانُ ذو النورَين فإله أنسلَ ظلمتَين
يا قبحَ شينٍ صادرٍ عن زَينِ حدائدٍ تطبعُ من الجين
ما أنما إلا غرابا بَين طيرا فقد وقعما
ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيخين
وخليا الشيعة للسطين لا تبرما إبرامَ ربِّ الدين
ستعطيان في مدى عامين صكاً بخفين إلى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم ^(١) بما سادہ وساءه كرتك الخاسره
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أثوابك بالساهره
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحبي أسد القاهره
 أجارك المكروه من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمنته ^(٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتيج لأبي تمام مخلص الموصلي فمجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك يا طائي غادته من المني وقطمان من الكمر
 حر الخلاق وبرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر

ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد ^(٣)
 ظللت به عند المبرد قائلاً فما زلت في أفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل ييتين
 من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روعي ضرب الله شقه بغنايه
 وقال غيره : غنى لنا نصر فقلنا له مصعب جرأك على السبع
 وحرك المود بأطرافه فكان يحتاج الى الصفع
 فقامت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمة مختل اليدين

ماراه أحد في دار قوم مرتين

صوته أقطع للذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعنا غناءً لا خلاق به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكلما انخفضت فيه مرزومة
لا تحمد عنه بأبواب مصبغة
وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقها
وقال الناجم : وقنية شتمها قنوت
مفقودة الكل غير بطون
وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي : ونحسب الندمان في حلقة
ماعجي منه ولكني
وقلت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ولا ناسي ؟ إذا جئتني
وقلت : تغنى لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام لها لحة
كل عرقٍ مثل يد الأَرْضه
أحسن أصواتها السكوت
مثقل فهي عنكبوت
يحاكى طاساً في عين شمس
كأن بضرسه ضربانِ ضرس
دجاجةً يخفقها ثعلب
من الذي يعجبه أعجب
ويضرب غير الذي نحسب
يقول المحدث والمكتب
ويقرأ غير الذي يكتب
فنحن إذا قلت لا نظرب
فاني إذا جئتني أذهب
عمائم تنزع جلد القفا
وتنف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
يا زهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان بريككم العبرا
ماذا لحاه الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حضرا

وقال سعيد بن حميد :

فَالآنَ حِينَ بَدَأْتُ بِخَدِّكَ لَحِيَةً ذَهَبْتَ بِمَلْحِكِ مِلءِ كَفِّ الْقَابِضِ

وقال ابن طباطبا : يَأْمَنُ بِزِيلِ خَلْقَةِ الرَّحْمَنِ عَمَّا خَلَقْتَ

تَبَّ وَخَفِيَ اللَّهُ عَلَى كَفِّكَ مِمَّا اجْتَرَحْتَ

هَلْ لَكَ عَذْرٌ عِنْدَهُ إِذَا الْوَحُوشُ حَشَرَتْ

بِلَحِيَةٍ إِنْ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ تَنَفَّتْ

وَقُلْتُ : حَصَلَتْ فِي سِيِّ ذَا غَلْظَةٍ كَأَنِّي مَشْطُ بْنُ مَنْصُورٍ

بِالْحِيَةِ هَتَكَ أَسْتَارَهَا بِأَصْبَعٍ مِنْهُ وَأَظْفُورٍ

فَخَدَّهُ مِنْ سَحَابَةٍ تَارَةٍ وَتَارَةٍ مِنْ قَشْرِ بَلُورٍ

فَتَارَةٍ كَالْمَسْكِ فِي لَوْنِهِ وَتَارَةٍ فِي لَوْنِ كَافُورٍ

يَعْجِبُهُ الْمَرْدُ فِي حِكْمِهِمْ حِكَايَةَ زُورٍ مِنَ الزُّورِ

يَقُولُ مَا أَحْسَنَ رَبُّ الْوَرَى إِذْ غَرَسَ الظَّالِمَةَ فِي النُّورِ

وَقُلْتُ : مِنْ شَقْوَةِ الْمَرْدِ أَنْ تَبْدُو شَوَارِبَهُمْ مَسْوَدَّةً قَبْلَ أَنْ تَبْدُوا عَوَارِضَهُمْ

يَا وَيْحَهُمْ مَنْ لَحَى جَدَّتْ مَنَافِشَهُمْ فِيهِمْ أَوْ لَعِبَتْ فِيهَا مَقَارِضُهُمْ

قَدْ أَتَيْتُ فِي هَذَا الْفَصْلِ عَلَى مَا فِيهِ مَقْنَعٌ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أَيْدِكَ اللَّهُ ذَلَّةً وَلَا بَدَّ مِنْهُ لِأَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الذَّنْبِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ

خَالِقِكَ هَلَكَةٌ وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَدِيقِكَ فِرْقَةٌ وَعِنْدَ سَائِرِ النَّاسِ مَثَلِبَةٌ وَهَجَنَةٌ فَعَلَيْكَ بِهِ

إِذَا وَقَعْتَ الذَّنْبَ وَقَارَفْتَ الْجُرْمَ وَلَا تَسْتَنكِفَ مِنْ خُضُوعِكَ وَتَذَلُّكَ فِيهِ فَرُبَّمَا

اسْتَشِيرَ الْعَزَّازُ تَحْتَ الذَّلَّةِ وَاجْتَنَى الشَّرَفُ مِنْ شَجَرَةِ النَّدَلَةِ وَرَبُّ مَحْبُوبٍ فِي مَكْرُوهٍ

وَالْمَجْدُ شَهِدٌ يَجْتَنِي مِنْ حَنْظَلٍ * وَمَا خَصَّ بِهِ الْعِذَارُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَثْبُتُ

لِبَاطِلِهِ وَالْحَقِيقَةُ لَا تَقُومُ مَعَ تَخْيِيلِهِ وَتَمْوِيهِهِ وَإِنْ رَدَّه لَا يَسْمَعُ مَعَ الْكُذْبِ اللَّائِحُ فِي

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذياني في الاعتذار شعريه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سمى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمست لمست أختم^(١) جأثما متحيزاً^(٢) بمكانه ملء اليد
وإذا طعنت طعنت في مستهدف رابي المجسة بالعبير مقرمد
وإذا نزع نزع عن مستحصف نزع الخزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوفر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة مازال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدهم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبق أخاً لائلته على شعث أي الرجال المهذب

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجم^(٣)

(١) في الأصل «أجثم» . (٢) في الأصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجم : موضع .

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاورَتْنِي ضَئِيلَةٌ^١ من الرُّقشِ في أنيابِها السَّمُّ نَاقِعٌ^٢
 أَنانِي أَيْتَ اللَّعَنَ ائِنَّكَ لَمَتْنِي وتلك الَّتِي تَسْتَكُ مِنْها المِسامِعُ^٣
 إلى أن قال :

فَإِنْ كُنْتَ لاذِوا الضَّغْنَ عَنِّي مَكْذِبٌ^٤ ولا حَافِي على البراءة نافعٌ^٥
 ولا أَنَا مَأْمُومٌ^٦ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرِ لا مَحْـالَّةَ^٧ وَاقِعٌ^٨
 فَانْكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرَكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعٌ^٩
 وَقَالَ : أَنَبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْ عَدَنِي ولا قَرارٌ^(١) على زَأْرِ مِنَ الأَسَدِ
 مَهْلاً فِدَاءً^{١٠} لَكَ الأَقْوامُ كُلُّهُمْ وما أَثْمَرُ^{١١} مِنْ مالٍ وَمِنْ وَلَدِ
 لا تَقْدَفَنِي بَرَكَنَ لا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتَفَكَ^{١٢} الأَعْداءُ بِالرَّفْدِ^(٢)
 ما قَلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ إِذاً فلا رَفْعَ سَوطِي إلى يَدِي
 ها إِنْ ذِي عَذْرَةٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفْعَتِ^{١٣} فَإِنَّ صَاحِبِها قَدْ تاهَ في البَلَدِ^(٣)

فخلع عاينه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر امطرقة بالجواهر، وقد ذكرنا الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لولم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها وقصيدته في صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليلى نحيبها * واعتذاراته في قصائده إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته في دينار التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر * وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها * لوت بالسلام بنانا خضيبا * فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولا مقام) . (٢) أى احتوشوك فصاروا حولك كالانثافي ، والرغد جمع رفدة وهي العصبه (٣) في ديوان النابغة (فإن صاحبها مشارك النكد) .

فدَّيْنَاكَ مِنْ أَيْ خُطْبِ عَرَا
وإن كان رأيك قد حالَ فيَّ
يريدني الشيء تَأْتِي بِهِ
واكرهُ أن أتمادى على
أَكْذِبُ نَفْسِي بِأَن قَدْ جَنَيْتَ^(١)
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
أصبحُ وردى في ساحتك
وما كان سخطك إلا الفراق
ولو كنتُ أعرف ذنباً لما
سأصبرُ حتى ألقى رضاك
أراقبُ رأيك حتى يصحَّ
وقوله : عذيري من الايام رنقن مشربي
واكسبني سخط امرئ بت موهناً
تبلغ عن بعض الرضا وانطوى على
إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدّها
وأصيد إن نازعته الطرف^(٢) رده
ثمّاء العدى عني فأصبح معرضاً
وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعَّرت
أمتخذُ عندى الاساءة محسن
ومكتسبٌ في الملامة ماجد
يخوفني من سوء رأيك معشر

ونائبة أوشكت أن تنوبا
فلقيتني^(١) بعد بشر قطوبا
وأكبر قدرك أن أستريبا
سبيل اغترار فألقى شغوبا
وما كنت أعهد ظني كذوبا
أدُمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا
طرقاً ومرعاً محلاً جديبا
أفاض الدُموعَ وأشجى القلوبا
تخالجني الشكُّ في أن أنوبا
إما بعيداً وإما قريباً
وأنظرُ عطفك حتى يشوبا
ولقيتني نحساً من الطير أشاما
أرى سخطه ليلاً مع الليل مظماً
بقية عتب شارفت أن تصرّما
تلبث في أعقابها وتلوّما
كليلاً وإن راجعته القول جمجماً
وأوهه الواشوت حتى توهما
رُباه وطلقاً ضاحكاً فتجهمما
ومنتقمٌ مني امرؤٌ كان منما
يرى الحمد غناً والملاحه مغرماً
ولا خوف إلا أن تجور وتظلمما

(١) في الاصل (فأوليتني) (٢) في ديوان البحتری (أ كذب ظني بأن قد سخطت) .

(٣) في ديوان البحتری (نازعته اللحظ) .

أعيتك أن أخشاك من غير حادث
 ألت الموالي فيك نظم^(١) قصائد
 أعد نظراً فيما تسخط هل ترى
 رأيت العراق نا كرتنى وأقسمت
 وكان رجائى أن أووب مملكا
 حياء فلم يذهب بى الغى مذهباً
 ولم اعرف الذنب الذى سؤتى له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذ كرك العهد الذى ليس سؤدداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنه متنصلاً
 لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال أعادة
 ونحن نقول ان لكل شىء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتى
 اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابى اليك وقد خفضت لك جناح الذل فى التنصل مما فرط
 فتفضل على بالقبول لئلا يلحقنى هجتان هجئة تذلى لك وأخرى ردك لى . وقد
 قيل : ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفى هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر على العذر جعلت معولى على فضلك أبلغ عذراً قدمه وأقوى سبباً أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل :
 ما حملك على بذلك وجهك فى حوائج الناس ؟ قال انى لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا فى لأبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندي بدون أنجاز الوعد ولا اكداء السائل بأغلاظ من الاجحاف بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحمله من لدى والعرب تقول ان مع الهبة الخبيثة والفرصة خاسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هَزَزْتُكَ لَا أَنِي ظَنَنْتُكَ نَاسِيًا لَوْ عَدَّ وَلَا أَنِي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا

ولكن رأيتُ السيفَ في حالِ سِلَهِ إلى الهزِّ محتاجاً وإن كان ماضياً

ومن مליح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك : ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذه بعض الحديثين فقال :

فَإِنْ عَاقَبْتَنِي فَبِسْوَ فَعَلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَةً مُسْتَفِيدِ

وَأَنْ تَغْفِرَ فَاَحْسَنُ جَدِيدٌ دَعَوْتُ بِهِ إِلَى شُكْرٍ جَدِيدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك ومتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك في نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحيابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل للهجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك فتعيش في ضمان الفرح وبيوء حاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العبيّ ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال ومدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما هديت اليك فيه فانه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمنك فيه ويكون جلاءً لناظر ك وشجداً لناظر ك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبب وأوصاف الحسان ومايجرى مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قاله العرب قول امرئ القيس :

وماذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مَقْتَلٍ
يقول ما بكيتِ إِلَّا لتجرحي قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة أعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعنى عينيها ، والمقتل
المذلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنةُ البكري عن فرع ضالة وهنَّ بنا خوص يخلنَ نعامنا
ولم نسمع للأعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قاله العرب :

ولما التقى الحيان ألقى العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قاله العرب قول الآخر :

إذا قلتُ إني مُشتفٍ بِلِقَائِهَا فمِ التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :
 ما يرجع الطرف عنها حين أبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا
 لم وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :
 أعانقها والنفس بعد مشوكة إليها وهل بعد العناق تداني
 وألثم فاهها كي تموت حزازي فيشتد ما ألقى من الهيجان
 وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشف الشفتان
 فان فؤادي ليس يشفي رسيه سوى أن ترى الروحان تمتزجان
 ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :
 هبت شمالا فقال من بلد أنت به طاب ذلك البلد
 وقبل الريح من صبابته ما قبل الريح قبله أحد
 وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
 قال انى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
 الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظلك أو كان تحتك لا قلك ، أخذه بشار فقال :
 انى لا أكرم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
 وببيت بين جوانحي وجد بها لو بات تحت فراشها لا قلها
 وقلت : أحبك يا شبيه الشمس حباً تفرد بالتمام فلا تمام
 فلو ألقته ما بين ماء ونار كان بينهما التمام
 وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :
 سالة نور ليس يدركها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
 به^(٢) أمست الأهواء بجمعهما هوى كأن نفوس الناس في حبه نفس
 وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من الأصل فاستدركنها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامُهُ بأذنى وإنْ غُيبتُ قرطاً معلقاً

ومن ظريف التثبب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يا من لحاني في مودِّته ما صورة البدر الأدون صورته
ياربِّ ان لم يكن في وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفونه
فاشف السقام الذي في لخط مقلته واستر ملاحه خدَّيه بلحيته

ومن الظريف قول كشاجم :

كانَّ الشفاء العس منها خواتم من النبر مختومهنَّ على الدرِّ

ولأعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأصدى :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)
أليس بيزن (٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا
واتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لم تر تع لم تر تع بأذنى المراتع
كانَّ لديها سائفاً يستحها كفى سائفاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صبَّ يَحْتُ مطاياهُ بذكركم وليس ينساكم أب حلَّ أوسارا
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدها ذكر
وقلت له ولقاء ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الأحرار أعناق الابل فهي تسير سيرة مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الاصل « بزن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر وقد الغز :

إنَّ لها لسائقاً خـدجاً لم يُدْجُجْ لليلةٍ فيمن أُدْجَا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتل شوقها زيارتي كأنما يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذكر على البعد فقول بعضهم :

أذكر أخانا تولى الله صحبته أنى وإن كنت لألقاه لقاء
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه
وقلت : ذكرتهم والنوى بيني وبينهم ذكرى الشباب الذى قد كان عاصاني
بل كيف أذكر عهداً لست ناسيه هل يعرض الذكر إلا بعد نسيان
ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى وأذكره وينسأ من ليلى وأسهره
وبجوره ماضٍ موركه حظى وحظ سواى مثمره
وكفى الهوى لو كان مكنتياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم فى العاشقين أسى إلا وحظى منه أوفره
فأصبح فى نفس أصدده وأعوم فى دمع أجده

ومن ملبح ذلك قول بشار :

ولست بناس من يكون كلامه بأذى وإن غبيت قرطاً معلقاً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرئ القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهيا سمو حباب الماء حالاً على حال

وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمن^(١) :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانا ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسمو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من أبيات ظريفة أولها :

قالت ألا لا تلجن دارنا	إن أبانا رجل غائر
أما رأيت الباب من دوننا	قلت فاني وائب ظافر
قالت فان القصر من دوننا	قلت فاني فوقه ظاهر
قالت فان الليث عاد به	قلت فسيني مرهف باتر
قالت فهذا البحر ما بيننا	قلت فاني سابح ماهر
قالت أليس الله من فوقنا	قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فاما كنت أعيننا	فأت إذا ما هجم السامر
واسقط علينا كسقوط الندى	ليلة لانه ولا زاجر

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً	والليل كالطيلسان معتكراً
فقلن جئنا إليك عن ثقة	من عند ضوء كأنها قمر
هل لك في عادة منعمية	يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طول إذا التفتت	وفي خطاها إذا مشت قصر
فهمت أسمى الى محجبة	تضيء منها البيوت والحجر
فقلت لما بدا تخفرها	جودي ولا يمنعك الخفر
قالت توقرو ودع مقالك ذا	أنت امرؤ بالقبيح مشتهر
والله لا نلت ما نطالب أو	ينبت في بطن راحتي شعر
لا أنت لي قيم فتخبرني	ولا أمير علي مؤتمر
قلت واسكن ضيف أذاك به	تحت الظلام القضاء والقدر
فاحتسي الأجر في إنائه	وباشري قد تطاول العسر
قالت فقد جئت تبتغي عملاً	تكاد منه السماء تنفطر

قلت لما رأيتها خرجت وغشيتها الهموم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبداً أنثى ولكن بعاقب الذكور
 قالت لقد جئتنا بمتدع وقد أتتنا بغيره التذمر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها تزر
 قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
 وجهك وجهه تمت محاسنه لا وأنى لا يمسه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء^(١) أفعالها
 وهي من أبيات قليلة النظير :

هل حاكم يعدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دائمة الأعراض غنى فما يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظمها حُبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء أفعالها
 لم أطعم العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
 تمضى بليل فاذا أقيمت أقيمت الشمس بأقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سر بالها
 لو لم يكن من برد ساقها لا احترقت من نار خلخالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لم يكن خلخال كاذب أساء الخلخال

يقول لا تخلخل الخلخال في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبت أسماؤها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبج) . (٢) في الديوان (جائزة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَّ الشمسَ نيط بها قمرٌ يَمْنَاهُ والقَدَحُ
صدَّ إذ مازحتهُ غضباً ما على الأُحبابِ إذ مزحوا
وهو لا يدرى لنخوته أننا في النوم نصطلح
ثمَّ لا أنسى مقالته « أطفيلي » ويقترح «

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظراً لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتُ لقد نلت ودَّه وما ضرَّني بخُلِّ فكيف أجودُ

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

ستبقى لها في مُضمِرِ القلبِ والحشا سريرةٌ وُدَّ يومَ تبلى السرائرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرَّجتُ غداةَ النحرِ أعرضَ الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ
فوالله ما أدرى أحسنًا رزقته أم الحبُّ يعنى مثل ما قيل في الحبِّ
وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمَى وَيُصَمُّ » ^(١) وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زَعَموها سألتُ جارِياتِها وتعرَّتْ يومَ حرٍّ تبتدرد
أكما ينعتني تبصرنني عمركنَّ الله أم لا يقتصد
فضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ
حسدًا حملنَهُ من أجابها وقديماً كان في الناسِ الحسدُ

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفتُ بصحراءِ الحجونِ وناقني لها بين قاعِ الأخشبينِ حنينُ
غموساً لقد فضلت في الحسنِ بطة على الناسِ أوبى من هواك جنونُ

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ^١ والله في عيـني وفي كلِّ العيون
قينةٌ^٢ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قط سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل الحسنِ وجمال قول حقٍّ ويقين
وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يَلُومُ عليه أنظر بعيني اليه
فلست تبرح حتى تصير ملك يديه
وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بَيضَ نَعَامٍ في مَلاحِفِها إذا اجتَلاهنَّ قَيظَ ليلِهِ ومد
وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :
تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمامَةٍ بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجب^(١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قَناعِها بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجب
وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :
كَانَ المَنى بِلِقائِها فَلَقيتُها وهوتُ من هو امرئ مكذوب
فرأيتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِندَ طُلوعِها في الحسنِ أو كدنوَّها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضئت بحاجب » .

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طبن^(٢) العدو لها فقير حالها
وسعى إلى بصيب^(٣) عزّة نسوة جعل الآه^(٤) خدودهن نعالها
ولو أن عزّة خاضت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها
قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما رأيتني وقلن امرؤ باغٍ أكل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي
كالشمس غابت في حمرة الشفق • وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تنية الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير

فان يك أشبه منه قليلا فقد أخطاها شبه كثير

لأن الشمس تغرب حين تمشي وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضوح الطريقة لا يحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أي فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزّة » . (٤) في الامالي (جعل المليك) .

(٥) في الامالي (موفق) . (٦) في الاغانى « أشرقت » .

يأبدر إنك قد كسيت مشابهاً
من وجه أم محمد ابنة صالح
وأراك تمصح في المحاق وحسنها
باق على الأيام ليس بماصح
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت
إن الذي قد أسي بالبيد قد ظلمها
البدر ليس له عين مكحلة
ولا محاسن لفظ يبعث السقما
وقال النظام : يامشرقاً ملأ العيو
نَ وطرفها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى
حتى كأن الليل ظل
وزاد آخر على هؤلاء كلمهم فقال :

إذا عبتا شبهتها البدر طالما
وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدتَه نظراً

فذكر أن حسنه يزاد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروى إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تنفني فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبُ بهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يماد حديثها فيزيد حسناً وقد يُستقبح الشيء المعاد

وقال الخاني :

إذا كنت لم أفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيداً
تباعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعاود

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيءَ حسناً فما أتمم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العود أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العبناء عن الأصبغى قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن السمعيل فإنه قال :

باتَ يعنى يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماء الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماء الشباب كأنها قضيبٌ من الریحان ريان أخضر

وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرَّبَ ماء النعيم فلو عصر الحسن منه انعصر

يمرُّ فأمثحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العين في نفسه فما جفلت بطلوع القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أثوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قمرا

وقال ابن الرومي : تمتات وجهك في بديتها جدد وفي أعقابها آخر

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء

إذا الاغباب جدد حسن شيء من الأشياء جددها اللقاء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعين منه اليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

ان اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قديجعم^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيالك من خد أسيل ومنطق رخم ومن خلق تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبدشي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفراري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أطرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمنني وإياهم مربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن ميا منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة زردار عليها ميا فقلت اى والله إن عندى
للجوذر قال على بها فر كبتها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف عرف النساء ذا الرمة فقمن إلى بيت أمى وجئن حتى
أنحنا وسدنا وقعدنا نتحدث واذامى جارية المود؟ وازدة الشعر صفراء فيها عمر
واذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله :

نظرتُ الى أظعان مَيِّ كَأَنَّهَا ذُرَى النخل أوائل^(٣) تميل ذوائبه
فأوشكت العينان^(٤) والصدركاتم بمنفَر ورقٍ نمت عليه سواكبه

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض

ألفاظ الخبر تصحيف صححتنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها .

(٣) في ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
فقلت ظريفة منهم لكن الآن فليجل فنظرت اليها مى ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
اذا سرحت من حب مى سوارح^م عن القلب اتته جميعاً عوازيه
فقلت الظريفة قتلتك قتلك الله فقالت مى ما أصحبه وهنيئاً له فتنفس ذوالرمة تنفسه
كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذى أقول بها إلا الذى أنا كاذبه
إذا فرماني الله من حيث لأرى ولا زال فى أرضى عدو أحرابه
فقلت الظريفة قتلتك قتلك الله فقالت مى خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعتك^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضالدرع سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق^م رخم ومن خلق^(٣) تمل جادبه
فقلت الظريفة للنساء ان لم يدين لساننا فقمى بنا فقمى وقمت معهم فجلست فى
بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت به ، فلبث
قليلاً ثم جاءنى ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتخفتنا به مى وهذه قلائد
للجوذر ولا والله لا أقلدن بعيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتانى فقال يا عصمة قدر حلت مى ولم
يبق إلا الآثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر فى ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحى
أتينا منزلها فوق ينظر ثم قال :

ألا فاسلمى يا دار مى على البلى ولا زال منهالاً بجرائك القطر

قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وإن كان منى ماترى .

ذى الرمة « فأبدت من عبنى » وفي المصارع والامالى (فأسبلت العينان والقلب

كأتم) . (١) فى ديوان ذى الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .

(٢) فى الديوان والمصارع (إذا نارعتك) . (٣) فى الامالى « ومن وجه » .

قال فما رأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا

وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبى ناره وما شعر دبت إليه عقرب دقت السحر
دبت الى ظبي بعينه حور ديب لو طي تواري وانتشر
فظفرت لا ظفرت أى ظفر وهكذا العقرب للقمر

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي

قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم ينجين قتالنا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً
وقال آخر قول ذى الرمة :

وعينان قال الله كونا فكائنا فعولان بالاباب ما تفعل الحجر
وقال آخر بل قوله :

يذكرني ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور
و(مراراً) حشوا لا يحتاج اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع^(١) :

وكانها بين النساء أمارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرقت في عينه سنة وليس بناسم
أخذ بعض المحدثين قول جرير وهن أضعف خلق الله أركاناً فقال :
كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشي :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جند جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصة بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عينٌ ميّ وجيدها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لان متن السيف والحدّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ انثنت عنه فكادَ يهيم

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنّ أليم

ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفتور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرون من خلل السجوف كأنما يمحطون أحشاء الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول نحمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر

أمضى وأنفذ في القلوب من الخناجر في الخناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحت حاشية الدجاجي شقائق وجنة مقيت مداما

إذا اكرت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهامها

وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب ؟ قال كذا يزعمون ، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده

بيتي جرير * أن العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كنه السفلة

بأسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الأعرابي :

نبارز أبطال الوغى فنيدها ويقتلنا في الكس لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تفتي نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب

فجن ثعلب استحساناً لها وقال اكتبوها ولو بالخناجر على الخناجر - كما في هامش الأصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف كخوط الخيزران مذكر^{هـ}
تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سقيت ريامن النوم تسهر^{هـ}
وقلت : راحت نيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ} كالبدري بين كواكب شهب^{هـ}
فلاّت طرفي من محاسنها ونسيت^{هـ} ما يجني على الصب^{هـ}
عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{هـ} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه^{هـ}
فسكرت^{هـ} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه^{هـ}
وغدا قتم^{هـ} عليه عند وسه ؟ أثر من التقبيل في شفثيه^{هـ}
وسقام عين لم تذوق طعم السكرى يدعو العوائد في الصباح اليه^{هـ}
وقلت : إذا ما جاءني إلا أخذ^{هـ} غنى تشاغل طرفه بالأخذ مني

وقال البحتري :

أجد النار تستعار^{هـ} من النا روينشا من سقم عينيك سقمي^{هـ}
وقلت : يسعى إلى مفرط^{هـ} في كفه كأس^{هـ} وبين جفونه كاسان^{هـ}
وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحة في عي--نيه وقفاً والسحر في أجفانه
لا أظمت^{هـ} العذول فيه وإن أس--رف في ظلمه وفي عدوانه
فدعا اللوم في التصابي فاني لا أرى في السلو ما تريانه
وقلت : ومقلة كحميا السكاس مسكرة وحاجب كهلal الشهر مقرون^{هـ}
وقلت أيضاً :

وتسقيك في ليل شبيه بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كنه » مكان (كأسه) .

فتسكر من عين وكأس ووجنة
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغر كأنه برّد تحدر من متون غمام
 وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة أبكة برداً أسف لثاته بالائتمد
 كالأقحوان غداً تغرب سمانه جفت أعاليه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يفلج الشفاء عن أقحوان^(١) جلاء غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحتري :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامى الدر منا ولاقطه
 فن برّد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحتري :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصي المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحتري أيضاً :

ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

نفره عند سرده كالغراب المزرد
 مثل در منظم بين در منضد^(٣)

وقد أحسن البحتري وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن الخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .
 (٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
 وشقيتاً يفضُّ من لؤلؤ النظم ويُرذى على شقيت الافاحي
 فأضاءت تحت الدُّجّة للشر ب وكادت تضيءُ للمصباح
 وأشارت إلى الغناء بالحا ظي مراض من التصابي صحاح
 فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا منهم قبل الراح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألباب مالا يدور في الاقتراح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههن عقيق
 دها في منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجس بالرجال رشوق
 ومبتسم عذب المذاقة موق تجمع فيه لؤلؤ ورحيق
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النسكة والريق وحسن

الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيع خمر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النسكة فقال :

وما تعثرها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتختر
 كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الأنام تغير
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :
 يارب ريق بات بدر الدجى يمجُّه بين ثناياها
 يروى ولا ينهك عن شربه والماء يرويك وينهاك
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
 سقته ابنة العمرى من خمر عينها ووجنتها كأساً يميست ويدنف

فقال امرجها بالرشاب لعله يسكن من خمر الهوى ويخفف
فصدت ملياً ثم جادت بريقة
فراح بضعف سكره من مزاجها
فهل من مزاج زاد في سكر شارب
وقال : مَزَجْتَ خمرة عينها بريقتها
فاشند إسكارها إياي إذ مَزَجْتَ
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلى بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى غاديه والمروح
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يزهر وينفح منها المسك والعنبر
وردية لمحمد ؟ كأنها من خده تعصر

مهفف لم يتسم ضاحكا مذكاً كان إلا كنبذ الجواهر ؟
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر
في فمها مسك ومشولة صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخمر للـ ريقة واللؤلؤ للثغر

جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمت أم نظم العقد من ثناياها
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أفاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
وقال : قلت للكأيس وهو يكرع منها
وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم
بأبي حبيب كنت أعهد
عقب الكلام بمسكة نفعت
وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقها فتعلم أنه
وهو من قول بشار :
يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
وقول بشار من قول قيس :

كانّ على أثوابها الخمر
وما ذقته إلا بعيني تفرّساً
ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج
وقال ابن الرومي :

بدالى وميض مؤذن أنّ صوبه
وما ذقته إلا أشيم ابتسامها
وقال عمار بن عقيل ^(١) :

كانّ على أنيابها مبيت الكرى
تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحبله
كشهادة الله خالصة
وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره
وقبعه يردى تهلل في نعب؟
وقلب وما أنباك أشعر من قلب
قبل المذاق بأنه عذب
قبل العيان بأنه ربّ
والليل يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه . أم وجهه أحسن من بدره
 قد مات الرقة في شطره . ومات الغلظة في شطره
 فأزره غصت بأردافه . ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وإن لم يكن . في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه . أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه . أم لفظه يؤخذ من دره
 وثغره ينظم من عقده . أم عقده ينظم من ثغره
 فمن عذير الصب من صده . ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له . عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهنَّ يذبذن من قولٍ يصبنَ به . مواقع الماء من ذى الغلة الصادي
 وقد أحسن القائل :

هي الدرُّ منشوراً إذا ما تكلمت . وكالدُّرُّ منظوماً إذا لم تكلم
 تعبدُ أحرار القلوب بذلها . وتملاً عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هواك سوى المتى . على وما ألقاك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها . جنى النحل لم يمجد حلاوتها النحل
 الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن .
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي :
 وحديثها السحر الحلال لوانه . لم يجن قتيل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يملل وإن هي أوجزت . ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفنته^(٢) مامثلها . للمطمئن وعقاة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) في الأمل (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت ما ربي فكأن أطيبها خبيث
إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بيت أرويه للرجال وتروى
وحديث الرجال روضة أنس بات يرحاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل
ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً
شريعاً في امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيء بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السجاية لاريث ولا عجل
قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي
قيس بن الأسلت (١) :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتقتل عن إتيانهن فتعتذر
أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة (٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكتاب الألفا
وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتاج له بأن يقال
الألف لاتعانق اللام إلا واللأم معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :
كأنني طانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا من جسد واحد
وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً
عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عقدان في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^ه مَضِينَ قطعها وطوالها بالقاصراتِ قصار^ه
أخلو النهار على النهار وإنني والشمسُ لى دونَ الشعارِ شعار^ه
خدا^ه ورد^ه والنواظرُ نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضابُ عُقار^ه
حتى إذا ما الليلُ أقبلَ ضمنا دونَ الأزارِ من العناقِ إزار^ه
فعلى النحورِ من النحورِ قلادة^ه وعلى الخدودِ من الخدودِ خمار^ه
وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما انتفت^ه الى الصبح لنا ساق^ه بساق

في قناع من^ه لثام وإزار من^ه عناق

وأنشد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتدٍ صاحبه^ه كارتداءِ السيف في يوم الوغى

بخدودِ شافيات من جوى وشفا^ه مُرويات من ظما

نتساقى الريقَ فيما بيننا زَا امات القطا زغب القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعرابي :

فأنضيت منها الى جنة تدلّت على^ه عناقيد^هها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل^ه (١) أسحم

وكانها فيه نهار^ه ساطع^ه وكأنه ليل^ه عليها مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والمدو المحنق
فكاننى وكأنها وكأنه صبحان باتا نحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول فى سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها ^(١) مصبوغة بدجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعت ^(٢) فى حملها فغرائب الورد الجنى ثمارها
طالت ليالى الحب بعد فراقها وأحبهن الى الحب قصارها
ولرب ليلاى بهن تفرجت أسدانها وتارجت أسعارها
ماكان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاقتها وحل خمارها
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها ^(٣) وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً فى أسود جمع الجال كوجهها فى شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة اذا مانأت عنك أحماله
فهل أنت باك على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثر من بعد ترحاله توجع صب وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشحه وضاق بما فيه خلخاله
يربك الحنادس إداره ويبدى لك الصبح أقباله
مليح الدلال قليل النوال جميل وان قل أجماله
وقلت : رخيم قاتر اللحظ رشيق مخطف الخصر

(١) فى ديوان السرى (جباها). (٢) فى الديوان (أغربت). (٣) فى الاصل (حداها).

وقد مُدِمَ بالليل وقد قنمَ بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصيبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خالخاله بضفائره
وبكاتم الأسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لاتعصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خالخاله بضفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
تعوم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفردة ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت ^(٣) وقفاً لا بي حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكى ظلمة الليل فوق ضوء الصباح

وقال السري :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأئام فيه رياض ومياه السرور فيه غمار
وجنات تحير الورد فيها ونور جرت عليها المقار
فضحاء من النوائب ليل ودجاء من الحدود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها حنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزة المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدُّحى
 وفيه ظلام بالصباح معمم
 يروق سليمى منك جعد مسلسل
 وفرعك من صبغ الشباب ممسك
 ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
 أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :
 له ظمرة كجناح الغداف
 وفي عطفة الصدغ خال له
 وقوله : وكأنَّ عقربَ صدغه وقفتْ
 وقوله : غلالة خدّه وردّه جنى
 وقلت : وكأنَّ دارة صدغه وعداره
 وقال ديك الجن :
 فقام مختلفاً كالبدر مطلقاً
 رقتْ غلالة خديه فلو رميا
 كأنَّ لآماً أديرت فوق وجنته
 وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
 وقلت : الغيمُ بين ممسك ومكفر
 فإذا شربت فمن رحيق سلسل
 من ريق أهيف كالقضيبي مخضرا
 فإذا جلالك غرة في طرة
 فانظر عناق ممسك لمكفر
 وإذا تعانق خدّه وعداره
 وقال آخر : عجي لخضرة زعفران عذاره
 ولكنها عن وجهه تنفّرج
 وفيه صباح بالظلام متوّج
 ويسليك منها أقحوان مفلج
 وخذك من ماء الجمال مضرج
 تمشطه أيدى الرياح فيهبج
 تلوح على غمرة مقمرة
 كما استلب الصولجان السكره
 لما دنت من نار وجنته
 ونون الصدغ منقوط بخال
 ألف تقوم تحت نون تمطف
 والخشفت ملتفتاً والغصن منقطفا
 باللحظ أو ماها بأن يكفا
 واختطّ كاتبها من تحتها ألفا
 رأيت تفاحة بها عضه
 والروض بين مجدد ومدبج
 وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
 أو كف أبلج كالصباح الأبلج
 ألوى بقلبك أبلج في أدعج
 يحلوه حسن مفلج ومضرج
 فانظر عناق عقائق وبنفسج
 ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم ثنى مناطقه على هضم الكشجينِ مشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
مسطر الخدَّ بالعدارِ ولا يحسنُ غصنٌ الا بتوريق
وقلت : له وجنتا ورَد وعينا غزاله وغرَّة اصباح وطُرة غيب
وصدغٌ يناجى الاذن وهو مُعقرب وطوراً يناغى الخدَّ غير مُعقرب
له من ظلام الليل أحسنُ ملبس وفوق ضياء الصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبرى :

تلك طرارٌ عليك أم حلقٌ زانك صدغانِ أم هما زرد
وقلت : يفتنُّ القلبَ بخدِّ لم يدعْ للوردِ قدرا
مثلهما تكتبُ بالمسك على الكافور سطرًا وعذار يسحرُ الصبَّ وما يعرفُ سحرا
وبصدغ دارَ فى الخدِّ كما تعقدُ عشرًا
كلما أظلم (ليلي) ^(١) كان (لى) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزرَّتْ بيوسفَ حبةٌ ولكنّه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من حبه فى التحائه فما يحسنُ الدينارُ إلا مسيفا
وقال فى خضرة الشارب :

تبسم إذ ما زحمتُه فكأنما تكشف عن دُرِّ حجاب زبرجد ^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومعذرين كأنَّ نبتَ خدودهم أقلامُ مسك تستمدُّ خلوقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموها تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

(١) ما بين القوسين غير موجود فى الأصل . (٢) فى ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعماقت خلف من صدغه خلفا كالعين في العينِ وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النور مضحكٌ يقق وعطفةُ الغصن شاربٌ خضر

وقلت : وترى النورَ مثلَ مضحكِ خود وترى الغصنَ مثلَ شاربٍ أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت في طارضيهِ على جهدٍ بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأت أنها قد أخطأت وجنت وئتَ تَعُودُ فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا وصار نونا إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتني إلا أخائقة لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول .

وقلت : قد التوى ضدَّه واختطَّ عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق إلى معناه :

ومغنج قال الكمال لوجه كن مجعاً للطيبات فكانه

زعم البنفسج أنه كمدارِه حسناً فسلوا من قفاه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه بنتى إلى حمرة من وجنته

فيجعل قلبي في كفه بسى إليه ويمسده عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فسوق المذار منكسر كصولجيات يرد ضربته

وقال • وصدغه كالصولجان المنكسر •

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم

قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمة ونصفاً نقاً يرتج أو يتمرمر
وأنشديت الأعشى :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(٢) إذا تمشت يكاد الخصر ينحول^(٣)

وأنشديت ذى الرمة :

عجزاء ممكورة^(٤) خصانة قلق^(٥) عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٦)

فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلمى تفوق المنى ؟ والوصف أنواعاً وألواناً

وشاحها يحسد خلخالها كجائع يحسد شبعاناً

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس :

وربان من ماء الشباب كأنه يظلم من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خربة) . (٢) في ديوان الأعشى (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها ، والقصب : العظام التي بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبي^١ كان^٢ بخصره من ضرره ظمأ وجوعا
وقلت : وقد بعصن اوفانا كشمايت كافور
وقد شددت زنا نيرا على مثل الزنا بير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنا نير شددن عقودها زنا نير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل رحبتي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد^(١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً^(٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه
يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبيه من طرفه
وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرقيق وطيبه ومزاج شاربِه ومشي نريبه
وقلت : لا والظباء الآنسات إذا رنت فاقتن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكبنا ونحن نحن لظائماً أو ملن ملن غصونا

ويدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خوونا

وقبل هذا مترجرج الارداف مضطمر الحشا لدن القوام بكاد يمقد لنا

داب النعيم له فائثر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حليفا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً ممطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأمل إلى خالد الكاتب. (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

وَأُولَؤْا مَنْظُومًا وَمَنْشُورًا بَلْ لَا بُصْرَ أَعْطَافِ الْغَنِيَانِ تَنْثَى تَنْثَى الْأَغْصَانِ فِي قِرَاطِ
 الْحَبِيرِ وَمِنْ رَرَاتِ الدِّيْبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَقَدْ أَطْلَعَتْ أَزْرَارُهُمْ يَوَاهِرُ الْأَقْطَارِ مَطْرَفَةً
 بِمَقَارِبِ الْأَصْدَاغِ وَحَلَقِ الْأَطْرَارِ فَأَقْبَلُوا بِسُفْرُونَ عَنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ وَيَسْمُونَ
 عَنْ حَبَابِ الرِّاحِ وَيَمْزِجُونَ الدَّلَالَ بِخَجَلِ أَسَارِهِ فِيهِمُ الْوَصَالَ فَإِذَا حَضَرُوا وَكَلُوا
 الْأَبْصَارُ وَإِذَا غَابُوا اسْتَوْهَبُوا الْقُلُوبَ وَالْأَفْكَارَ فَهَمَّ الدَّاءُ وَالِدَوَاءُ وَمِنْهُمْ السَّقَمُ وَالشِّفَاءُ .
 وَمِنْ الْأَفْرَاطِ فِي ذِكْرِ الْغَيْدِ وَهُوَ لَيْنُ الْقَامَةِ قَوْلُ مَانِي ^(١) :

أَتَمْنَى الَّذِي إِذَا أَنَا أَوْمَأْتُ إِلَيْهِ بِطَرْفٍ عَيْنِي تَجَنَّى
 أَهَيْفٌ كَالْقَضِيبِ لَوْ أَنَّ رِيحًا حَرًّا كَتَّ هَدَبَ ثَوْبِهِ لَتَنَثَّى
 وَأَجُودُ مَا قِيلَ فِي النُّهُودِ وَعَظَمُ الْمَجِيزَةِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : بِيضَاءُ جَعْدَةٍ لَا يَمَسُّ
 الثَّوْبَ مِنْهَا إِلَّا مِشَاسُهُ كَتَفِيهَا وَحَلَمَتِي تَدْيِيهَا . أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ أَوْ أَخَذَهُ الْأَعْرَابِيُّ
 مِنَ الشَّاعِرِ :

أَبْتُ الرَّوَّادِفُ وَالْتَدَى لَقَمَصَهَا مَسَّ الْبَطُونِ وَإِنْ تَمَسَّ ظَهْرُهَا
 وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشَى تَنَافَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا
 وَقُلْتُ : تَمَشَّى بِأَرْدَافِ أَبِيْن قَعُودَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ كَمَا أُبَيِّنُ قِيَامَهَا
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي النُّهُودِ :

يَا مُغْصَنًا إِنْ هَزَّ مَشِيهُ خَشِيتُ أَنْ يَسْقُطَ رُمَامُهُ
 إِرْحَمْ مَلِيكًَا صَارَ مُسْتَعِيدًا قَدْ ذَلَّ فِي حَبْكٍ سُلْطَانُهُ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ عَنِ الْمَكْلِيِّ عَنْ ابْنِ خَالِدٍ عَنِ الْهَيْمِيِّ
 ابْنِ عَدَى قَالَ قَعَدَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى جَانِبِ دَارِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ
 فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا نَظَرُكَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِكَ أَقْبَلَ عَلَى شَأْنِكَ
 وَاصْبِرْ ، وَالْجَارِيَةُ تَسْمَعُ - فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ رَبَلَاتِ تَصْطُوكَ وَغَصْنَ يَهْتَزُّ وَتَدَى يَحْرِقُ
 أَهَابُهُ وَتَقُولُ اصْطَبِرْ ، فَضَحِكَتِ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا مَدَحَنِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا مَدَحَنِي

(١) هُوَ مَانُ الْمَوْسُوسِ الشَّاعِرِ الْمَصْرِيِّ الْمَشْهُورِ .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وانك لما يما يكنى عنه الربلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أبا ورداً على غصن بكرٍ اللحظ يلقطه
ورماناً على قنن يكادُ المشي يسقطه
آتى والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدُّجن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضه وحبُّ الوصل يبسطه
وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكَ أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أقَاتلتى بفتورِ الجفونِ ورُمَاتينِ على منبر
كحقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسي الدأعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فقطت بكفيتها ^(١) ثمارَ نخورها كأيدى الأسارى أثقلتها ^(٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعميرُ كيفَ بحاجةٍ طلبت إلى صمِّ الصخور
لله درُّ عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أناملِي تَجْنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قيب البطن وطى العكن
يملاُ الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أُنْيته لا ينثني
وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهنَّ حقائق عاج وحلى زانه حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فقطت بأيديها » ، (٢) في الأصل « أقفلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الخلى من هذى الحقائق
أجود ما قبل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :
يسمى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قتأت أنا مله من الفرصاد
فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
يا قدراً أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
وقال ديك الجن :

ودعتها لفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعض من غيظها العناب بالبرد
فكان أول عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأسرعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
فاخضر موضع كفها فكأنما غرست بأرض بنفسج عنابا
وقال النّاشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عنابا
وكأنّ يمناها إذا نطقت به يلقي على يدها الشمال حسابا
وقال أيضاً : لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمين
تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
وقال : متعاشقان مكأتمان هواهما قد نام بينهما العناب فطابا
يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا
وإذا هدّت عين الرّقيب تخالست كفها حلس السلام سلابا
بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عذاباً
 يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقالت :
 انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج منشوراً على فضه
 أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه
 ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تواب :
 كهاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كاجوان الجراد مفصل
 قوله « كاجوان الجراد » غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .
 ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعاث
 وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث
 أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيص :
 لهوت عن الأحران إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرهن حريق
 مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
 وقول أبي تمام : نثرت فريد مداس لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
 وصلت نجيماً بالدموع^(٢) فنخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
 وقال : أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراءونها بعدى
 ودمع نثرت دُرّه وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد
 ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
 لو كنت يوم الوداع حاضراً وهن يطفئن لوعة الوجد
 لم ترَ إلا الدموعَ جاريةً تسقط من مقلة على خد
 كأن تلك الدموعَ قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
 ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجر المغرم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجيم)

لَا دَنَا الْبَيْنُ وَرَّاحَ الدَّلُّ وَدُعَتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَحَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ طَلٌّ

وَمَنْ أَجْمَعَ بَيْتَ قِيلَ قَوْلَ الْمُحَدِّثِينَ :

فَأَسْلَبْتُ لَوْلَا أَمِنْ فَرْجِي وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ
لَيْسَ لِهَذَا الْبَيْتِ نَظِيرٌ . وَقُلْتُ :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجَنَّتْهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرْدَةَ غَضِهِ ؟

وَمِنْ الْمَشْهُورِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ وَهُوَ حَسَنٌ :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى حَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جَلَنَارِ

وَنَحْوُهُ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي الْعَرَقِ :

يَحْدَرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْفَمِ سَحَابٌ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فَرَادَى وَمِثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِطُ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ

وَمِثْلُهُ مَا قُلْتُ :

أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْفَضِّ يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ
كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جَسَدِهِ طَلٌّ عَلَى سَنُوسَنَةٍ غَضِهِ

وَفِي صِفَةِ الدَّمْعِ :

تَوْرِيدُ دَمْعِي مِنْ حَدِّكَ مُخْتَلَسٌ وَسَقَمُ جَسَمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٌ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو هَوَاكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي امْتِلَاءِ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَظْنَهُ :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي مَعْنَاهُ :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتُ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ يَمَاجُ دَمْعُهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ ^(١)

(١) فِي أَمَالِي الْقَالِي (يُنَالِبُ دَمْعَهَا نَظَرَ كَلِيلٍ) .

نَهْتُهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَجَدَدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغَرَامُ سِرَّائِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَّالِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ يَدْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَ فِي طَوْلِ الْبُكَاءِ رَاحَةٌ وَعِنَانُ سِرِّي فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَاءَ رَقَاتُ دُمُوعِي خَشِيَّةَ الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَمَلُّ سَمْعَتِي بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادَهَا قَلْقُ حَتَّى عَلِقَنَ بِجَنَنِ رَدِّهَا الْفَرْقُ
فَنِي فَوَادِي سَبِيلٍ لِلْأَسَى جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلْقُ
لَهَيْبُ قَلْبِي أَفَاضَ الدَّمْعَ مِنْ بَصَرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ
ولا أظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَلَطْمَةُ خَدٍّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ خَرَّامًا وَتَذَرُّ دَمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ
ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرَا
لَأُحَادَ تَفَاجَ الْخُدُودِ بِنَفْسَجَا لُثْمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْدَرَا
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوم أيدت ذى الرمة :
لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقَبُ رَاحَةٌ مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفَى نَجَى الْبَلَابِلِ
وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى ففيه مسلاةٌ وتسهيل
وهو إذا أنت تأملتُه حزنٌ على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرُّه والدَّمعُ معترفٌ به لم يجحد
والدَّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لأجوابَ لمفحم متحير إلا الدُّموعُ تصانُ بالاطراف
قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك الكبدُ الحرَّى فسر ولك الصبر
وقد سبقتها عبرةٌ فدموعها على خدَّها يبضُّ وفي نحرها حمر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

عَدَّتْ بأحبتى طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدَّمعُ لي ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذَّخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن
متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو
المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل
ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزنِ معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
يضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ مؤزرٌ بعيمِ النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لما الطلاوة :
وما ربحُ قاع ذى خزامى وحنوة له أرجُ من طيبِ النبتِ عازب
بأطيب من مَيِّ إذا ما تقلبتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب^(١)
إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين . ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية :
خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقاً يطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إن القبيحة جلدها لا يشكر
قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن . أخذه ابن الرومى فقال :
ألف عطر تذكي وهى ذاكية إذا أسامت جوارَ العطر أبدان
نعيم كل نهار من مجامرها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان
كأنها وعشان الندى يشملها شمسٌ عليها ضباباتٌ وادخان
وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بألفاظ
بدیعة وهو قوله :

وما ربحُ قاع زاهرٍ مست الندى	وروض من الریحان سحت سحائبه
فجاء سحيراً بين يوم وليلة	كما جرَّ من ذيل الغلالة ساحبه
بأطيب من أثوابِ شمر موهبا	إذا الليلُ أدجى دابري كتائبه
إذا رغبتُ عن جانب من فراشها	تضوَّع مسكاً أين مالت جوانبه
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :	
ذ كرتك بالرَّيحان لما شمته	وبالريحان لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وما ربحُ رَوْضِ ذى أفاح وحنوة	وذى نفل من قلة الحزن عازب
بأطيب من ليلى إذا ما تمايلتُ	من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرمح^(١) منك روائح^(٢) وبالراح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه يذكرك في منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ربيع طيب الاولاد * وقلت :
 يمر بي وفد الصبا والليل يقضي نجه
 مر بروض زاهر ذرة عليه عشبه
 فخلته من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نيمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أبها الربع الذي غير البلى عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوب ريح المسك فيه وإنما به المسك إذ جرّت به ذيلها جل
 وقوله : وأنت الذي حببت سعي إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواهما
 حلت بهذي مرّة ثم مرة بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلوا الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميري » ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه « عطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يمتنها^(١) وإن مضت لها حجب يزداد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الأحنف في قوله :

وجد الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيبا
فهم ينكرون ذلك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحترى : فكان^(٢) العبير بها وأشيا
وقلت : تأملت منها غزالاً ريبا
جلت لك عن خضل واضح
وهزت لنا بسراة الكثيب
عشية راحت وأترابها
كواكب ليل إذا ما رأت
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول
إذا زدتها نظراً زدتنى
رحلن العشيّة من ذى الغضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيّب من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حليها والحلى فيها الدرّ والجوهر
ولو قيل أن هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمريء القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمنتها) . (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ما عليه
لو قال « علقن العقول » لطابق الجناس كما قال « قلبن القلوب » فكان أوقع في النفوس .

أناها بمطرٍ أهلها فتضاكت^١ وقالت وهل يحتاج عطر^٢ إلى عطر
وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه زيجان
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضت^٣ وكان معدها حلوم
أيام يقى لى ويفنى رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١) :
ولولا أن يقال صبا نصيب^٤ لقلت بنفسى النشء الصغار
بروحى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار^٥
إذا ما للذل ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاث لها الازار^٦
ومن مليح ذلك قول عوف بن محلم^(٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من الفتن الكبار
كالبدير إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعب عما يقاسى الهائم^٧ الصب^٨
شكوت ما ألقاه من حبها فأقبلت تسأل ما الحب^٩
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير المطي لدى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحية لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) .

فقال الجارية: إن المطايا لا يلدن ركوبها ما لم تذكّل بالزمام وتركب
والدرّ ليس بنافع أربابه ما لم يؤلف في النظام ويشقّب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يشقّب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحب أم لك للفؤاد بقره من أن يرى للسرّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرّ من جفو ن دوام دواع

كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الهوامع
مارأينا أخا هوى سرّه غير ذائع
أن نيران محبه باديات الطوابع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيتُ وكنت لأجفئ وعلامة الهجران لا تخفى
وأراك تمزجني وتشربنى ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يافور لم أهجركم لملاة منى ولالمقال واش حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم لاتصبرون على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها محبة ولا ألفا محبة كل عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كافي ذبالة نصبت تضیی للناس وهي تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كليله ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحترى :

قصائد ماتنك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل^ه إلى غير من يحبي بها وذرائع
ومما سبقت إليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فأنثى غصن^ه بان يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصله اللذيد جناه
فلو أنى كنت في بعض شعري فاذا ما شداه قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه :

وما نطفة^ه كانت سلاله بارق^ه عمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلتم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أنى سألتها قذى العين من ضاحى التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظني له من قلوب الناس نابتة^ه من المودة تجنى أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دما فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلا
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متناه بجماله صلف لا استطاع كلامه تيه
 لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيه؟
 وقال: ألاحظ حسن وجهته فتجر حنى وأجر حها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلى هو لك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كانت إشراقاً وحسناً وقلة رحمة المستكين
 أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب :

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي :

ماساء في إعراضه عني ولكن سرّني
 سالفاته عوّض عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن :

صدّ عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد
 صدّ عني من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبهة له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنيبه عليه قول بعضهم :

شكوت فقات كل هذا تهرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطيء عذري وجه جرمي عندها
إذا أذنبت أعددت عذراً لذنبها
بذكرك مات اليأس في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلت على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنت أملُ باخلا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرته
على أنني أناي فأدنو تذكراً
ويعجبني حبي له وصبابتي
فلو ظنني أسلوه لم أك هاجراً
ولكن عشقي في ضمان جفونه

ومن أصاب وصف العاشق الصادق المشق على حقيقته الذي يقول :
إذا قربت دارك كلفت وإن نأت
وإن وعدت زاد الهوى لا تتظارها
ففي كل حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما في الأرض أشقى من محبٍ
تراه باكباً في كل حين
فبيكي أن نأوا شوقاً إليهم
وان وجد الهوى حلوا المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
وبيكي أن دنوا خوف الفراق

فتسخر عينه عند الثنائي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :

إذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيتبعه عتب^(٢)
وأبكي إذا ما أذنت خوف عتبها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
وصالكم صرم وحبكم قلى وعطفكم صد وسلمكم حرب

ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد ويروى لفضل الشاعرة :

ما كنت أيام كنت راضية عنى بذاك الرضا بمقتبط
علماً بأن الرضا سيتبعه منك التجنى وكثرة السخط
فكل ما ساءنى فمن خلق منك وما سررتى فمن غلط

ومن البديع فى طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
وإلا فابذل من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد

وقلت فى نحو ذلك :

نسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
كثير سرورى فى قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد
ومن أبلغ ما قيل فى الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى فى السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر
ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإبانا فذاك لنا تدان
بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الأنبارى لجميل^(٤) :

(١) فى الأصل (تسخن). (٢) فى ديوان ابن الاحنف (لعملى به أن سوف يتبعه العتب)
(٣) فى ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر العذرى

وَأَنى لَأَرْضى من بَشِينَةٍ بالذى لو استيقنَ الوأشى لقرتُ بِلأبله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قدخاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أوأخره لا نلتقى وأوائله
 وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلتُ منها محرماً غير أنى إذا هى بآلتُ بآلتُ حيث تبول
 وعفة هذا كمفة المتنبي فى قوله :

انى على شغفى بمافى خرها لأعفُ عما فى مراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثنى
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريدُ لأنسى ذكراها فكأنما تمثلُ لى ليلى بكلِّ سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمرو داؤه ودواؤه لديها وريأها الطبيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأنَّ يمسى سقيماً لعلها إذا سمعتُ منه بشكوى ترأسله
 ويهترئ للمعروف فى طلب العلى لتحمدَ يوماً عندَ سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلتُ عساها إن مرضتُ تعودنى فأحببتُ لو آتى غدوتُ مريضاً
 وزدتُ اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبحَ جأهى عندهنَّ عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبى المطاع :

كان كثير رواية جميل وجميل رواية هدية وهدية رواية الخطيئة والخطيئة رواية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الأعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرتة والسيفُ يخفرنى ولحظُ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجاداً في العناقِ لهُ حتى لبستُ نجاداً من ذوائبه
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبه من كان في الحب أشقانا لصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدر الصباية عند المغيب تكونُ المسرةُ عندَ الحضور
وأطيب ما كان برؤ الثغور إذا هو صادفَ حرَّ الصدور
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى سوادَ عذاره بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهاك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ماتصنعُ الشمسُ لهُ فينا
بأى وجهٍ أتلقاهمُ إذا رأونى بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أأماءُ أىُّ الواعدينَ تربتهُ أشدَّ كما مطلقاً فانى لأدرى
أأنتِ بنيل منك يبردُ غلتى أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبر

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى
عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء فعزُّ الفؤادِ عزاءُ جميلاً
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولن تستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد سحب الناس أذيالَ الظنُونِ بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق^٢ ليس يدري أنه صدقا
وهذا معنى غريب بديع ما ظنه سبق اليه .
ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :
شكوت^٣ إلى بدر^٤ هوأي فقال لي ألت ترى بدر السماء الذي يسرى
فقلت^٥ بلى قال^٦ التمس^٧ فأنه نظيري ومثلي في علو وفي قدر
فان^٨ نلت^٩ فاعلم^{١٠} بأنك نائلي وإن لم تنله فابغ^{١١} أمرا سوى أمري
فكان^{١٢} كلا البدرين صعبا^{١٣} مرامه^(٢) فويلي من بدر السماء ومن بدري
ومن الغريب البديع في مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن
عبد الله بن طاهر :

ليس^{١٤} عندي شحط^{١٥} النوى بعظيم فيه غم وفيه كشف غوم
من يكن^{١٦} بكرة^{١٧} الفراق فاني أشتيه لموضع التسليم
إن^{١٨} فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقه لقدوم
فلكم قبلة^{١٩} وغيبة شهر (هي) خير^{٢٠} من امتناع مقيم
وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :
فاذا كان^{٢١} في الفراق عناق^{٢٢} جعل الله كل يوم فراقا
أجود ما قيل في خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :
كان^{٢٣} القلب ليلة قيل^{٢٤} عندي بليلى العامرية أو يراح^{٢٥}
قطاة^{٢٦} عزها^(٤) شرك^{٢٧} فباتت تجاذبه وقد علق^{٢٨} الجناح
فلولا التضمين الذي فيه لكان غاية . ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :
ومملوء من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل^{٢٩} » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .
(٣) الكناني من شعراء العصر الأموي من سكان المدينة شعره عالي الطبقة في التشبيب
والحنين . (٤) كذا في الأماي ، وفي الأصل « غزها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبٌ مُقْلَنَةً تَمُّ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

عَلِمْتُ قَلْبِي وَجِيئًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ مَا أَنْكَرَ الْقَلْبَ إِلَّا كَمَا خَفَقَا
بِاشْوَقِ الْفَيْنِ حَالِ الْبَيْنِ يُدْنِيهِمَا فَمَا فَصَّاهُ عَلَى التَّوْدِيعِ فَاغْتَنَقَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا تَطِيرًا مِنْ بَكَائِي بَعْدَهُمْ شَفَقَا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

وَلَوْ دَاوَاكَ كُلُّ طَيِّبٍ (رَكَب) بَغِيرِ كَلَامٍ لَيْلِي مَا شَفَاكَ
وَلَوْ أَصْبَحْتَ تَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ سَوَى لَيْلِي عَتَبْتَ عَلَى غَنَاكَ
وَمَنْ أَعْجَبَ مَا قِيلَ فِي الشَّفِيقَةِ عَلَى الْمَشْوُوقِ قَوْلُ أَبِي دَلْفِ الْعَجَلِي :
أَحْبَبْتُكَ يَا بَحْبَحَ وَأَنْتَ مَنِي مِمَّا كَانَ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ نَفْسِي لَخَفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعْمَانِ
لَا قَدَامِي إِذَا مَا الْخَلِيلُ جَالَتْ وَهَابَ شَجَاعُهَا وَقَعَ الطَّعْمَانِ

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.

ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل

قول مجنون ليلي أو غيره :

خَرَجْتُ فَلَمْ أَظْفِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَفْزِ بَنِيْلُ كَلَا الْيَوْمَيْنِ يَوْمَ بِلَاءِ
فِيَا حَسْرَتِي مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بِالْأَفْتَى وَإِنْ لَمْ يَكُونَا عِنْدَنَا بِسَوَاءِ
وَقَالَ : وَقَدْ أَقْنَتْ نَفْسِي بِأَنْ حِيلَ بَيْنَهَا وَيُنْكَ لَوْ يَأْتِي بِيَأْسُ يَقِينَهَا
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلِي تَعَانِي بِلَاعِنَا وَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بَلِيلِي جُنُونَهَا
وَمِثْلُ ذَلِكَ : فَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلِي غَنَى وَتَجَلَّدُ فَرُبَّ غَنَى نَفْسٍ قَرِيبٌ مِنَ الْفَقْرِ

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيهِ أَبُو أَحْمَد :

إِذَا (يَوْمًا) بَلَيْتُ وَذَابَ جَسْمِي لَعَلَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْهِ

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف بشوك طول سقمه
أضيقته فما يطيق ضعفه^(١) حمل اسمه
فلا يراك طائداً إلا بمين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظمَ الجسم حبها وينقصها حتى لطفنَ عن النقص
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي
وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلَّ الوجدُ جسمهُ والحنين وبرَّاهُ الهوى فما يستبين
لم نعبس أنه جليدٌ ولا كن دقَّ جداً فما تراه العيون
وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فما مضى خاتم فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجَّي في مُقلَّةِ النَّائمِ لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسمي من بعد جدته فما تكادُ العيونُ تبصره
كأنه رسمُ منزل خلق تعرفهُ العينُ ثم تنكره

وما لأظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بحبها على حَوْلٍ يغنى عن النظرِ الشرز
نظرتُ إليها والرقيبُ يظنني نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الاعراب :
ألا قاتلَ اللهُ الهوى ما أشدهُ وأصرعهُ للمرء وهو جليدُ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحرى لمات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتُهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
 وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :
 أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرِّجْ
 في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج
 ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :
 لم أسدِّمْ عناقهُ لقدومه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
 فضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه
 وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني
 الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفتُ له فتنفستُ عليه الصعدا
 بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كمدا
 وأنشدنا عنه لأبي العميث (١) :
 لقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مُسيَ عاشرَ العشر (٢)
 فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الجِر
 الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .
 ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :
 ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياق طريقها
 وما ينفع الحرَّ أنْ ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها
 ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان
 مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت نصحيح صحيحناه
 من الأمل ، وفيه : عن عفر : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرمون ،
 ومسيَ عاشرَ العشر يعني أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مُسيَ عاشرَ العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفتُ كبدٌ مما يقانُ صديع
وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها يؤرِّقني والعاذلاتُ هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشدته أبو اسحق الموصلي :
وإني لأستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودةَ بالهجر
وأندرُ بالهجرانِ نفسي أروضا لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما بي لك الهجرُ
ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتُ يوماً أحبَّتها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :
أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حينَ تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجرانَ يوماً وتغدر
وما عرَّضتْ لي نظرةٌ مذعرفتها فأنظر إلا مثلتُ حينَ أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثُلُ لي ليلي بكلِّ سبيل
وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كان هجراني لها من ملالةٍ ولكنتي جرَّبت نفسي على الصبر
ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالاً أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :
يمرُّ الصبا صفحاً بساكن ذى الفضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةٌ عهدٍ بالحبيب وإما هوى كلِّ نفس أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسي اليك طوالع عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول :
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب ^(١) به أهل مي زاد شوقي ^(٢) هبوبها
 هوى تذرّف العينان منه وإنما هوى كل نفس أين ^(٣) حلّ جيبها
 وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرني يا ظلوم تبيني شمائل بادي البث منصدع القلب
 بريثاً تمنى الذنب لما هجرته ^(٤) لكما يقال الهجر ^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبتها وعتابها فقد فجعتني بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نبك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكي وذكرك الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشف ويشفق
 وقلت : قد عريت أمما حين اكدت أردية الريح عشياً وضحى
 لم يبق فيها غير ما يذكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

الاحى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن الالباليا
 ولا عرابي : طللان طال عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نضد
 لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأوبة مثل ما أجد

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقي)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمة)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبيه على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟. ومن أجود ما قيل في حب السودان : أحب النساء السود من حب تكتم ومن أجملها أحبيت من كان أسودا فجميتي بمثل المسك أطيب نفحة وجمتي بمثل الليل أطيب مرقد البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفت ودّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
أصبحت أعشق من وجهه ومن بدن ما يعشق الناس من عين ومن شعر
فإن حسبت سواد الجليل منقصة فانظر الى سعة في وجنة القمر
وروى للجاحظ :

يكون الخال في وجهه ملبح فيكسوه الملاحاة والجمالا
ولست تمل من نظره اليه فكيف إذا رأيت الوجه خالا
وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
إن الذي يعشق من لا
وإن من يعشق زنجية كالذي ذلك في الظلمة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
أنى سريت وكنت غير سرور وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنى يقضى فقد تؤتينه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوت من هو امرىء مكذوب
وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرىء القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتِكَ أُمَامَةً إِلَّا سَوَالَا وَإِلَّا خِيَالًا بَوَافِي خِيَالَا
 خِيَالِي يُخَيِّلُ لِي نَيْلَهَا وَلَوْ قَدَرْتُ لَمْ يُخَيِّلْ لِي نَوَالَا
 وَهَذَا مِنْ مَعَانِي الْقَدَمَاءِ غَرِيبٌ وَهُوَ أَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي بَحْلِ الْمَعشُوقِ ، وَمِنْ هَاتَيْنِ الْقَطْعَتَيْنِ
 أَخَذَ الْمُحَدِّثُونَ أَكْثَرَ مَعَانِيهِمْ فِي الْخِيَالِ ، وَمِنْ الْبَارِعِ الْفَصِيحِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْبَعِيثِ ^(١) :
 أَزَارَتْكَ لَيْلِي وَالرُّكَّابُ خَوَاطِعُ وَقَدْ بِهِزَ اللَّيْلِ النَّجْمُ الطَّوَالِغُ
 فَأَعْطَتْكَ آيَاتِ الْمَنَى غَيْرَ أَنَّهَُا كَوَازِبُ إِنْ حَصَلَتْهَا وَخَوَادِعُ
 عَلَى حِينٍ ضَمَّ اللَّيْلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جَنَاحِيهِ وَانْقَضَتْ نَجْمُومُ ضَوَاجِعُ
 وَأَعْجَلَهَا عَنْ زُورَةٍ لَمْ أَفْرِجْهَا مِنَ الصَّبْحِ حَادِرِ يَزْعِجُ اللَّيْلُ سَطَاطِعُ
 وَأَحْسَنُ النَّمِيرِيِّ عَيْثُ يَقُولُ :

عَجَبًا لَطِيفِكَ أَنَّهُ يَشْكُو الْجَوَى وَهُوَ الْجَوَى

أَخَذَهُ مُسْلِمٌ فَقَالَ :

طِيفَ الْخِيَالُ عَهْدًا مَلِكُ الْإِنْسَانِ دَاوَيْتَ سَقْمًا وَقَدْ هَيْبَجْتَ أَسْقَامَا
 وَمِنْ اللَّفْظِ الْغَرِيبِ قَوْلُهُ : « ز » الْكَرَى طِيفَهَا وَهِيَ الْخِيَالُ .
 لِأَعْرِفَ أَنَّهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا اللَّفْظِ . وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

اسْتَعَزَّازَتْهُ فَكَّرَتِي فِي الْمَنَامِ فَأَتَانَاهَا فِي خَفِيَّةٍ ^(٢) وَاسْتَتَامِ
 يَالَهَا لَيْلَةً تَزَاوَرَتْ ^(٣) الْأَرْوَاحُ وَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ
 مَجْلَسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ
 وَهَذِهِ مَعَانٍ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا ظَاهِرٌ طَلَاوَةٌ . وَمِنْ غَرِيبِ الْمَعَانِي فِي هَذَا قَوْلُ دَعْبِلِ :
 سَرَى طِيفُ لَيْلِي حِينَ كَانَ مُهْبُوبٌ وَقَضَيْتُ شَوْقِي حِينَ كَانَ بِؤُوبٌ
 وَلَمْ أَرِ مُطَرِّقًا يَحْسِلُ بِطَارِقِي وَلَا طَارِقًا يَقْرِي الْمَنَى وَيُثِيبُ

(١) هُوَ خَدَاشُ بْنُ بَشْرٍ مِنْ بَنِي مَجَاشِعٍ ، كَانَ أَخْطَبُ بَنِي تَمِيمٍ وَتَمْنَى الْبَعِيثُ بِقَوْلِهِ :

تَبَعْتُ مَنَى مَا تَبَعْتُ بَعْدَهَا اسْتَمَرَّ فَوَادِي وَاسْتَمَرَّ عَزِيمِي

(٢) فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ « فَأَتَانِي فِي خَفِيَّةٍ » . (٣) فِي الدِّيْوَانِ (تَنْزَهَتْ) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقنا فأنالت نائلاً شكره لو كان في النبة الجحود

ثم قالت وأحست عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود

لا تعجب من سرّ أنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود

فرايت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار

فتمجبت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار

ثم مالت بكأسها فسقتنى جلتارية على جلتار

آخر : فباليت طيفاً خيلته لى المنى وإن زادنى شوقاً اليك يعود

أكلف نفسى عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطاع شديد

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطاع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف

وانما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحدوني :

لم انله فنلت به بالامانى فى منامى سرّاً من الهجران

واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان

وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرّها عن الأبدان

منظره كان نزهة العين إلا أنّه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برويته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسناً

إلا خيالاً عسى ان نمت يطرقنى وكيف يحلم من لا يعرف الوسناً

وقال : كلامه أخذع من لحظه ووعدته أ كذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعبنيك اعوالى وطول شهيقي وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض أطى^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يعطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريق
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عبير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناى غير صدوق
وما كن من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل فى الرقاد غزالاً
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
فقد المتيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
وما قبل فى الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريمى^(٢):

ليالى أرى فى جنابك روضة وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذا أنت لى كالحمر والشهد ضعفا بماء لصاف ضعفته جنائبه
وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربح المسك والعنبر الورد
أجود ما قيل فى صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبى النجم ويتعجبون من حسنه:
كان تحت درعها المنعطف ضخم القذال حسن المخط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قطعاً على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كرامة الشيخ اليماني الشط
لم يمل فى البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) فى الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن
زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ، عمى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من مبر بني مالك لها حر من بطنها أرفع
 زين أعلاه بأشرافه وانضم من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدف راي المجسة بالعبير مقرر مد
 وإذا نزع نزع عن مستحصف نزع الحزور بالرشاء المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزع كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر :

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها من تستعير وقيدته من قاب صب وصير ذي حنق
 كأنما حره طحاره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سجنه :

يسع السبعة الأقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهم الدنيا وتجو به دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنة خبا ز وقد أمها من الأدم جينه
 وقال المفضل بن غيلان ^(١) :

ومركب كبيضة الأذجي كأن نبت الشعر المطلي
 عليه شونيز على فرني

ومما يجري مع ذلك قول بعضهم :

أقول والقوم تعادي بهم إلى الوغى مضمرة قرح
 استحمل الله على مركب يحث بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المفضل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما مركب من ركوب الخيل يعجني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجمعهم لاسلاح له
كان رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء ، لأن نهودئديها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجاءاً^(١) شديداً أبهره يدارك المص ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد ترد علينا بالعشي المراميا
فشب بنو ابلي وشب بنوا بنها وأعلاق ليلى في الفؤاد كاهيا
ابن المعتز : من معني على السور وعلى الهم والفكر
وابلائي من شادن كبر الحب إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون بأن القلوب نحاذي القلوبا
ولو كان حقاً كما يزعمون لما كان يشكو محب حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فقلت له هذا يأتمر المؤمنين أحسن من قول هروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماماً) (٢) شاعر اسلامي من التميمين .

أبياته التي أنشدها :

أراني تعروني لذكرالك رعدة^(١) لها بين جلدى والمظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأيت الذي كنت أرتى ويعزب عني ذكره ويغيب^(٣)
وبضمر قلبي عذرها ويعينها علي فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

بؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي بؤازره
وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكننت غراً بما تجنى علي يدي لا علم لي أن بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحترى :
واست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :
يقولون هذي أم عمرو قريبة دانت بك أرض نحوها وسما
الإنسا بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافه : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في وده بمريب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقريب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكرك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى ومُخذ قلبي إليك بغيرِ حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودٌ
وقد أصفيتهُ ودّى بجهدى فمارضَ في الجفاءِ بمثلِ جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعماراة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فإنه أرانا على علاته أم ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين بمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
أن تسخن يبعدك فلي عند الاجتماع كبد ترجف وعند التناؤى مقلة تكف . ومثله :
لا والذي بيده السلامة بروح دارك وبعدمزارك ما زادنى اللقاء إلا صباباً وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحاً وكلفاً لأننى منقسم القلب بين رجاء يعدنى بقربك وحذر يوعدنى ببعده وإذا
قربت دارك كلفت وإن نأت أسفت فلا في القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لمائى الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداةَ البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
فعاقتُ التى بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردى جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذهُ ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بليلاً جعلت لنا حتى الصباح نظاماً
نجزى العيون جزاءهنَّ عن البكى وعن السهادِ فلا نصيبُ اثناً
فنبيحهنَّ مُرادهنَّ يردنه فـيا أدعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة^١ اذ لا تزال تكابد اللواما
 فثيبهن من الحديث مشوبة تشفى الغليل وتكشف الأسقاما
 ونكافي الأفواه عن كتمانها إذ لا يزال لها الصمات لجاما
 فنبههن ملائماً ومراشفاً ماضرها أن لا تكون مداما
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة مقسومة آناؤها أقساما

ونخلد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيت دماً حتى بكيت بلا دم بكاء فتى فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقت بالدمع وحده^٢ لقد جل قدر الدمع فيه إذا عندي
 وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه درأ يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتحالاه شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد^(١) :

وما كان حبيبها لأول نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
 ولكنها الدنيا تولت فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتت
 وقال أعرابي :

أعلل أصحابي بجدي وباطلي وأسماء جد القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :
 أدميت بالألحاظ وجنته^٣ فاقتص ناظره من القلب
 أخذه على بن عاصم فقال :

ضربت الغنى يدي خان يميني جلدي
 فاقتص لما اغرورقت^٤ مقلته من كبدي
 فلا أقلت بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هضَّ يدفعُ منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بدع المعاني قول بعض الشعراء :

قصارك منى الودّ ما دمت حيةً وودّك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأوّل شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفتُ وشكّ البين حتى رأيتهم معضّ ؟ أمّا ط لهم وقطوع
 لعمرك ما شيءٍ مرّيتُ بذكره كآخر يأتي بفتنة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بينَ بابِ الوزير والمسجد الجا مع ظيٍّ كالظباء في جيسده
 أطماره رَئِيَّةٌ فقد ضاعَ لا ضاعَ وضاعَ التمييزُ في بلده
 ليسَ له ناقدٌ فيعرفه وآفةُ التبرِ ضعفُ منتفده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضه لأهـ واءِ الرّجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث اللبالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواهُ فقلتُ لها إذا فنى المـ -- لاح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارَةُ تسليمي عليك فسلمى
 آخر التشبّه والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل وبذل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الْعَالِيَّاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجري مع ذلك - ثلاثة فضول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى
قوله (لَنَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَوَعْدًا لِلْمُقْوِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهاة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليهما شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
 المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
 جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنهار،
 روى على عهد كسرى رجل يقتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
 تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغدرو وينقض العهد بجرمان منافعهما . وقد أحكمتنا
 ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاها بَنَائِقَ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجوان
 وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضر من اللهب^٢ يشبعنه من فحم ومن حطب^٣
 يرفعن نيراناً كأشجار الذهب^٤

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعته^٥ مصبغات على أرسان قصار
 وقول أبي تمام في إحراق الأفشين :

نارٌ يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شوقُ إزار
 صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
 الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو السماء^(٢) ترتمي بالنفط والقار
 كأن نيراننا في جنب قلعته^(٣) مصبغات^(٣) على أرسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته إلى في حرق القادر أفشين شيئاً من
 هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
 الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة . (٢) في الأصل (جوائداً) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً بساور جسمه من حرها لهب كما عصفت شق إزار
 طارت لها شرر^(١) بهدم لفحها أركانه هدماً بغير منار^(٢)
 ففصلن منه كل مجمع مفصل وفعلن فاقرة بكل فقار
 رمقوا أطلى جذعه فكأتما رمقوا هلال عشية الافطار
 كروا وراحوا في متون ضوامر قيدت لهم من مرتبط النجار
 لا ينزلون^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار
 فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
 بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طالب ولا أمل
 قال فلم يبق في المسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدت بعد الهدوء نارا لها على الطارقين عين
 شرارها إن علا نضار لكنه إن هوى لجين
 دعتهم فأنثنى اليها محبهم قرة أين ؟
 إلى كريم الفعال سمح عطاؤه للكريم زين
 يقضى ديون الملا يذل إذ ليس يقضى لهم دين

وقال ابن المعتز :

وقد تولى شرر الكانون كأنه نثار ياسمين
 وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها محلل مشقة على حبسان
 ردت عليهم الريح فضل دخانها فأتت به سيجاً على عصان
 فالجوى ضحك في ايضاض شرائر منها ويعبس في اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشرب على النار في السكوانين إذ ذهبت دولة الرياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بَدَتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَحْجِبُهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وقلت في معناه :

قَصُرَتْ يَدَ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَرٍ وَأَخْتِ الْجَرِّ صَافِيَةُ الرَّحِيقِ
تَرَى نَبْذَ الرَّمَادِ بِوَجْنَتَيْهِ كَكَاغُورٍ يَنْزُرُ عَلَى خُلُوقِ
وقلت : تَحَرَّكَ الشَّمَالُ فَقَرَّ إِلَى فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَايحِ
جَرَادِ الْجَرِّ يَسْتَرُهُ رَمَادُ كَمَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَقَايحِ
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعْطَرَاتُ أَطْيَرُ بِهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَمْسَكَتُ مَطَرَزَةُ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ
وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط :

فَتَرَكُ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَدِّ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وقال أيضا * وصيرت جبابهم مناخلا * وقلت :

كَأَنَّمَا النَّارُ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَرُّ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمَنْ بَدِيعَ مَا قِيلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلَ بَعْضِ الْعَرَبِ :
كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمُسْتَعْجِلِ قَصْدَ الشَّبُوحِ لِلشَّيْخِ الْجَهْلِ
وقال ابن المعتز :

وَالسَّيْفُ رَاغِي إِلَى الْحُلِيِّ يَسْلُمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورٍ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلُ أَرْقَاهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وقالوا أحسن ما قيل في الاثنائي والرماد قول ابن هرمة ^(٢) :

نَبْكَى عَلَى زَمَنِ وَتَوَى هَامِدُ وَجَوَالِمُ سَقَعِ الْخُدُودِ رَوَاكِدُ
عَرِينٍ مِنْ عَقْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَسَكَنَ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَا بَدِ
فَوْقَيْنِهِ عِبَتْ الصَّبَا فَسَكَتُ دَنَفُ بَرْنِ الدَّمْعِ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) في ديوان ابن المعتز (بسوقها) . (٢) إبراهيم بن علي الكزائي

القرشي ، من سكان المدينة ، مدح الوايد الأموي بدمشق فأجازه .

وقال أبو تمام : أثاف كالخودِ لظمنَ حزناً ونؤى مثل ما انفصم السوار
ومما يجري مع ذلك القول في الشععة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
« شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهو من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بلل أعطاها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداعٍ وأطرار
وشققت عنها ستور الدُّجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج :

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجه الدُّجى غرَّةً
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهدت ستره وصيرته في الورى شهره
يردفها أصفرٌ في أصفر يقدمها أسودٌ في حمرة

وقال السرى في الكانون :

وكأنما الكانونُ ألهبَ جمره أحداق أسدٍ يدَّرينَ أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا
وقلت في الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
يفسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسمهم تصبغ بالحناء فيها كها ريحانة الشتاء
واشرب عليها حلب الصهباء فشربُ صهباءٍ على شقراء
يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
فحمٌ كيومِ الفراقِ تشعله نَارُ كَنَارِ الفراقِ في السكبد
أسود قد صارَ تحتَ حمرةِها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرَّمَدِ

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناكير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناكير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الجر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشو صفار الابل ، والصفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودي عن عبد الله بن محمد القرشي عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودي حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أدن فكل فقال أصليح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت ؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجري عليه سبائك الذهب ثم أتيت بينائي بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صفار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

(١) في الأصل (نفرة) .

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجالس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة ليثة وخلأ حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض بالابن الخائب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقة وشك للمح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كرة وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدى الخابزين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاءَ من أرداحين يريد
وضمتُ إلى الحلواء فيه فواكه عليهنَّ أهواءُ النفوس وفود
وقال الصنوبري في رقاق ورؤوس :

غير ما راج من رقاق رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كالماء ذى الجباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقيالهنَّ وما يبـدين من مضر شديد الضرام
كأناس يُوشحون مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي وليكني أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هَامٌ وَأَرْغَفَةٌ وَضَاءٌ فَخْمَةٌ قد أخرجت من جاحم فوّارٍ
كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةً بوجوه أهل النار
وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوّارٍ يخلل الشقشق والأنوار
ملبساً حُلَّةَ جِلْمَنَارٍ يقسر منه جلده النضار
عن بدن أبيض كالخار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقتل له إناها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيبه وأنخص عينيه وأفص أذنيه وأخديه وأرمنى بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه فقبل له إنك لا أحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويرأوح بين الأطباء فاحمقه ياهو^(١) لا . وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما الياوس فالقديد . وقلت في صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحم يبيضُ بفضه ويحمرُّ بعض خلطك الدرَّ بالتبر
وأعرضتُ عن حلواء شق فنونها فبيضٌ إلى حمرةٍ وحمرةٌ إلى صفر
إلى ثردةٍ رقطاء قطع فوقها مقفعة خضراء في ورق خضر

وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديباج بالديباج فاذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديباج بالكرباس، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويرأوح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حمقه) .

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جمل مشوى قول السرى :

أنعمته معصفر البردين	أبيض صافي حمرة الجنين
خلف شهرين على خلفين	ثم رعى بعدهما شهرين
فجسه شبران في شبرين	ياحسنة وهو صريع الحين
بعرفة مرهفة الحدين	بكف شاة وطير الكفّين
كسارق حدّ من اليدّين	ذو طرف يستوقف العينين
يريك مرآة من اللجين	مذهبة المقبض والوجهين
شقّ حشاه عن شقيقتين	أختين في القدّ شبيهتين
كما قرنت بين كأتين	أو كرتى مسك لطيفتين ^(١)
ان شين ذورقين ناجين	فانه زين به غير شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية	ثمناً ولونا زفها لك حزور
طفقت تجول بذربها حوذاية	فأتى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها	فكان تبراً عن لجين يقشر
يا حسنهما فوق الخوان وبنتها	قدّامها بصهرها تتفرغر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد	مثل الرياض بمثلهنّ يصدّر
ومدقات كلهنّ مزخرف	بالبيض منها ملبس ومدنّر
وأنت قطائف بعد ذاك اطائف	ترضى الهاء بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجوه من الطبر زدي فوقها	دمع العيون من الدهان تعصر

وقلت فى سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود على محمر

(١) سقط هذا المعجز من الاصل فاستدر كناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلت وهي تحاكي سفظَ الجواهر
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها كغرة في فرسٍ أشقر
يا حسن باذنجانها إذ بدا أسمر وسط المرق الأحمر
كأنه ماء خـلـوق جرى وجال فيه قطع الغنـبر
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزور بصدر نهـد أجريت منها في مجال العقـد
مرهفة ذات شباً وحدً لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل النـدامى والنارُ تستعجل القـدورا
وقد أتاني الغـلامُ يسمي بأرغف تشبه البـدورا
وعندنا قهوة شـمولٌ لو قطعتُ صيرتُ شـدورا
تكونُ قبلَ المزاج ناراً فانقلبـتُ بالمـزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربلَ رائباً وخيلاً من البرني فرسانها زبد

ومن عجب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على مجـومة وصحفة مكتومة
بالدسم مؤسـومة واللحم مغـومة
قد كمت عـراقا وألحفت رقاقا
منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بغلفـلـ وحص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي بآبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسي وقال بآبي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضي ، ثم قال أي والثردة والله ما دخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرغفَ ولا المزدرا

حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاي في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبر

رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آثارُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالخبز

ومن سسم قد زعفرُوهُ كأنه قراضةُ تبرٍ في لجينية غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضلَ الباقلاءِ فإنه من المرق قدوافي به الفضل في الزبر

إذا جعلوا فيه سذاباً ونعماً وجزءاً من الزيت المقدس في الذِّكر

فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشي أفرندٍ معقدة الخصر

بأحسن من مخضرة الفصن إذ بدت بواكرُ منها في الجاسد والازر

ثم قال : ويالك بأذنجانة سابرية جلاها نسيمُ الليل نائرة الفجر

فجاءتْ بأثواب الحداد مدلهما بأذناها العم المعلقة الخضر

وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لناعن واضح الكشح والصدر

فنجعلها شطرين نلقمُ شطرها وتبعه قبل الاساعة بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أيا هنتاه هل لك في هريس بلحمان الفراخ أو البطوط
أمل الليل صانعها بضرب فجاء بها تمدد كالخبط
وبين يديك من مري عتيق توارثه النبط عن النبط
أرانا حول صحفتها ^(١) بروكا كما برك البعير على الخبط
فيا لله من لقم هنا كم تجاذب بالشجيج وبالغيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كان قدور قومي كل يوم قدور البرك ملبسة الجلال
كان الموقدين لها جمال طلائها الزفت والقطران طالى
بأيديهم مغارف من حديد نشبها مغيرة الدوالي
وقلت في هريسة :

هريسة بيضاء كافورية في قصعة صفراء دينارية
للدرة فيها حمة مسكية وللسلاء لمعة تبرية
تدور في مبيضة فضية مثل السوار في بدر الرومية
ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني
نصر بن أحمد نفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني لشقائي فليتبه مادعاني
غراني منه منظر وإلباس وأثاث ومجلس وأوان
مجلس كالجنان حسناً ولكن قبح الجوع حسن تلك الجنان
فلعمري كان الخوان ولكن لم يكن ما يكون فرق الخوان
وجفان مثل الجوابي ولكن ليس فيهن ما يرى بالعيان
وغضار الألوان جاءت ولكن ليس فيها روائح الألوان
فاذا ما أدركت فيها بندي لم أجد ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إننى ماضعٌ على غيرِ شيءٍ غير صكِّ الأسنانِ بالأسنانِ
 ترجعُ الكفُّ وهى أفرغُ منها عندَ مدِّ لها فدانى وشانى
 لو ترانى والجوعُ يضحكُ منى عندَ غسلِ يديَّ بالاشنانِ
 زادَ فى السفرِ مسرفاً مثلاً أسـرفَ عندَ الطعامِ بالنقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتٌ أنتنا وسقانا بالمترعِ المـلآنِ
 سكرةٌ فوقَ جوعٍ تركنى راحماً كلَّ جائعٍ سكرانِ
 وقلتُ فى قريبٍ منه :

أندعوني ونطعمنى يسيراً وتسقبنى الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبحَ منك فى يومٍ عسيرِ فلا ينفكُ فى يومٍ عسيرِ
 هما حرَّانِ من جُوعٍ وسكرٍ فيالك من سـعيرِ فى سـعيرِ
 أقولُ وفى غضارِهِ عظامٌ أعرق من قدورِ أم قبورِ

ومن جيد ما قيل أيضاً فى ذم الدعوة قول أبى الحسن بن طباطبا ^(١) وقد
 دعاه السكرار بسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم
 يصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها اشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
 عارية فساها شطار نجية ، ثم قدم مضيرة فى غضارة بيضاء فساها معقدة ^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهى لا تمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 قليلة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محلولة فساها
 قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
 حسكية لتشجج لحها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
 الزعفران والملاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابته عليل فحولهم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة مثقلة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر المفلق العالم المحقق ، من أهل خراسان .

(٢) فى معجم الأذباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغبرة قائمة	كانها من سفر قادمة
قد قدموا فيها مسيحية	أضحت على أسلافها ^(٢) نادمة
ثم بشر نجيحة لم تزل	أيد وأيد حولها حائمة
فلم تزل في لعبها ساعة	ثم نفضناها ^(٣) على قائمه
وبعدها معتدة ^(٤) أختها	عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة	قد قتلتها أمها ظالمة
والقنبيات فلا تنسها	فحيرتني في وصفها دائمة
أقرب ما امتد في أصبعي	أم حية في وسطها نائمة
والحسكيات فلا تنس في	خندقها أوتادها قائمه
والموكبات سلطانها	قد تركت آنافا راغمة
والسلحة الصفراء فاعجب بها	إذ سلحتها أنفها هائمة
وجام صابونية بعدها	فانخر بها إذ كانت الخائمة
ظل الكراريسي مستعبراً	من عصبة في داره طاعمة
وقال إن ابني عليل ولي	قيامة من أجله قائمه
وولدت داياته حوله	فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة	تكسر ما زالت له سالمة
وقد أكلناها فكم هيجت	من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه	خوفاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراث نلهوبه	فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث . (٢) كذا في الاصل ومعجم الأدباء لياقوت ، وفي نسخة

(إسلامها) . (٣) في الاصل (ثم تقضيها) . (٤) في الاصل (مقيدة) .

وغاية اللطفِ ففي حرّةٍ محطومةٍ صارت لنا حاطمة
نبولُ فيها ثم نسقى بها بالك من عارضةٍ لأنمه
وعجلة تشدو بالحنانها وكانت الكية الخازمه
فكان فيما أنشدت أذشدت من لى من بعدك يا فاطمه
نشتم من أسمنا صوتها وهى لنا من بعده شامه
ظلت تبكي شجوناً فما أبصرت من أربابه عالمه
فلو ترانا وترى زادنا حياً وفات منا نعماً سائمه ؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبداً من أصحابه داره واتخذ
دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
التي كنا نفضناها على قائمته هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أيانا منها :
طمنت يا أحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها
ثم كتب إليه أبو الحسن :

يا من دعاني أطال الله عمرك لى ولا عمتك من داع ومحتفل
ما أنسَ لأنسَ حتى الحشر مائدةً ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه كأنه متعطّ دائم الكسل
قد مدّ كلنا يديه لى فذكرنى بيتاً تمثلته من أحسن المثل
كأنه عاشق قد مدّ بسطته يومَ الفراق الى توديع مرتحل
وقد تمدى بأطمار الرقاق لنا مثل الفقير اذا ملاح في سمل
فليت شعري ماذا كان أنحله فصار إيمانه قولاً بلا عمل
مددت كفى فلم ترجع بفائدة كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدّم لى أعظم حولية قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ ألبُ بالشرنج في قصته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعاتُ تلفيفَ شطريه باهتدمة
فمن صدر فائقة قد نوت ومن عجز ناهضة ملقمة
ودنر بالجوز أجوازه ودَرهمَ باللوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضة مدغمة
فمن أسطر فيه مشكولة بملح ومن أسطر معجمه
وطرّز بالبقل أعطافه فوافي كحاشية معلّمة
مرشا تخل به مطرفا بدبع التغاوير والنمنمة
وأنشد في الشواريز ^(١) :

مامتعة العين من خدّ تورّده يزهى عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يرقى على القمر الموفى إذا اتصلت يسراه بالكأس أو يمناه بالكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضحت في صحن وجنته خيلان شونيز ^(٢)
وقد جرى الزبّت في مثنى أسرته فضارعت فضة تعلّى بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوف بزورك شيرازها فتقسم بالله أن تكرمه
يميس بشونيز كالعروس تخطر في الحلقة المسهمه
وتعشى موائد قد عوليت أطايب كالبردة المعلّمة
تباهى بجاماتها والفضار كواكب في الليلة المظلمه
وأول من ذكر الفالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدهان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج مأوّه . (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٌ بِمِصْكَةٍ مَّشْمُولَةٍ^(١) وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُوحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَا^(٤) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أَسْتَظِلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي الْهُوَاجِرِ .
 وَمِنَ النُّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رَحَالَةَ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِي عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْغَالُودِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِغَالُودٍ لَأَمَّنَ بِهِ وَلَسَكُنَّ أَتَانُهُ بَعْصَاهُ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهْدِ الْمَخْلُوقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِالْإِطَافِ غَيْرَ خَلِيقٍ
 كَأَنَّ أَصْفَرَ الرَّالُوزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَا كَبُّ تَبْرِ فِي سَمَاءٍ عَقِيقٍ
 وَقُلْتُ : حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخَلُوقِ
 يَطُوفُ الدُّهْنُ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ
 كَأَنَّمَا الرَّالُوزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقٍ
 وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي الرَّالُوزِ يَنْجُ :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ جَلَابِيْبُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيا
 مَسْتَكْثَفُ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسَماً مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْعَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرٌ لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْنَابَا
 وَقُلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحَشْوِ وَلَسَكُنَّهَا رَقِيقَةُ الْجَلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنَشُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحٍ) (٣) اِشْمَعْلُ : أَشْرَفُ الْقَوْمِ فِي
 الْطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كَأَنَّهُا مِنْ طَيِّبِ أَنْفَاسِهَا قَدْ سَرَقَتْ مِنْ نَشْرِ مَارِيهِ
جَاءَتْ مِنَ السَّكْرِ فَضِيَّةً وَهِيَ مِنَ الْأُدْهَانِ تَبْرِيهِ
قَدْ وَهَبَ اللَّيْلُ لَهَا بُرْدَهُ وَوَهَبَ الْخَصْبُ لَهَا زِيهِ

وقلت في ذم الباذنجان :

قَرَانَا بِقَوْلَا إِذْ أَنْخَسَا بِيَابِهِ فَأَصْبَحَ فِينَا ظَالِمًا لِلْبَهَائِمِ
وَقَفْنَا عَلَيْهِ الرَّكْبَ نَسْأَلُهُ الْقَرَى وَنَحْنُ عَلَى أَعْنَاقِ أَغْبَرِ قَاتِمِ
قَصَامَ وَصَوْمِ اللَّيْلِ لَيْسَ بِجَائِزِ وَإِنْ جَازَ فِي فَقِهِ اللَّثَامُ الْأَشَائِمِ
أَجَازَ صِيَامَ اللَّيْلِ حِينَ اسْتَفْرَزَهُ تَعَاوَرُ ضَيْفٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ عَائِمِ
فَبَتْنَا أَدِيمَ اللَّيْلِ نَطْوِي عَلَى الطَّوَى كَأَنَّا عَلَى غِبْرَاءَ مِنْ ظَهْرِ وَاشِمِ
وَأَطْعَمْنَا لَمَّا مَرَقْنَا مِنَ الدُّجَى دَحَارِيجَ لَا تَنَسَاقُ فِي حَلَقِ طَاعِمِ
مُدَوَّرَةً سُودَ الْمَتُونِ كَأَنَّهَُا خَصِي الزَّنَجِ لَاحَتْ تَحْتَ فَيْشِ قَوَائِمِ
فَابْشَارَهَا تَحْكِي بَطُونِ عَقَارِبِ وَأَرُوسَهَا نَحْكِي أَنْوْفَ مُحَاجِمِ^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال
الأصمعي قيل للفاخرى أي التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذي كأن نواه السن
الطير تضع الواحدة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك يعني الصيحاني تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبي أويس حدثني أبي حدثني عبد الله بن
دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروري ونجدى وحجازي وشامي
فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامي إن أطيب الطعام ثريدة
موسعة زيتاً تأخذ أدناها فيضطر عليك أقصاها تسمع لها وقياً في الحنجرة كتقحم
بنات الخاض في الخرف ، قال السروري إن أطيب الطعام خبز بر في يوم قر على
حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازي أطيب الطعام خنس فطس باهالة
حمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سمنة مقتبطة نفسها

غير ضمه في غداة شبة بشفار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك
وعظم لقمك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدتُ عصيدةً شقراءَ تحكي طرارَ الصبح في ثوبِ الظلام
تراها حينَ تَبْرُزُ في ظلام كمرفِ الطرفِ في زمنٍ قتام
كذي دَلٍّ عليهِ معصفراتُ يدلُّ على المشوقِ المستهام
فلما ان صبا قلبي إليها ومدتْ نحوها عين اهتامى
تقاصرَ دونها كفاى حتى كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمام
فدون السجَن أطرافُ العوالى ودونَ النارِ بادرةُ الحسام
أنتك عصيدةٌ أم طرفُ سلمى فليسَ يزورُ إلا في المنام
وقلت في سمكة طرية :

يقبضُ للمكتوبِ ماجرٌ حتفه فجازَ بنا في الغيظِ شرَّ مجاز
بعثنا اليه ينسر الباز فأنثنى إلينا بظهِرٍ مثل جَوْجُو باز
فأطفأ نيرانَ الطهارةِ كأنها سحابٌ يسح الودق فوق عزاز
العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحر عن كلِّ ناظرٍ ولكنها في حجبتها تتخطفُ
أخذنا عليهم السبيلَ بأعينٍ رواددٍ إلا أنها ليسَ نظرفُ
فجاء بها بيض المتونِ كأنها خناجرُ في أيما تتمعطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُزَرَّد (١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدتُ أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عَجْوَةٍ إلى صاعِ سمنٍ فوقها بتربع
ودبلتُ ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعت يومَ تجمع ^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انهُ حى آمناً مما تفيدُ وتجمع
فانْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤهُ وانْ تكُ جوعاناً فذا يومَ تشبع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعالم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .

ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ما قبل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرةٍ لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبة تَمسى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيتِ مشرقا ومالم تكن فيه من البيتِ مغربا

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصد والأهم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل « ماتجمع » .

إذا عب فيها شارب القوم خلته
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومنهف تمت محاسنه
وكانه والكأس في فيه
فجعل الشارب قمرأ وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذ كر صفاء
الخمير ورقتهما وحبابها :

فاذا ما اجتليتها فهباء
ثم شجت فاستضحكت عن جمان ^(١)
في كؤوس كأنهن نجوم
طلعات مع السقاة علينا
لوترى الشرب حولها من بعيد
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلت والراح في أكف الندامى
أمداماً فرطم لدام
وكان النجوم والليل داج
ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول الناشي * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت: ومشمولة دارت على كؤوسها
أنازعها بدرأ مع الليل طالماً
وقد شاب لنا بالشماس وإنما
وأنشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها
فصار في البيت للمصباح مصباح

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضنينا) .

(٣) في الأصل « طلعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبنا أراحنا دارنا أم دارنا الرّاح
ومثله قول البحري :

فأضأت تحت الدّجنة للشر بـ وكادت نضى للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على قم قول ابن المعتز :
ظبي خلى من الأحران أو دغى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كانما الكأس على ثغرها موصولة بالأمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبت نفسي على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عقيق خليك أن يشبهه بالخلق
كان الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق عقيق
الكأس الحمراء مثل العقيق والبدا المخضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت:
ودار الكأس في يد ذي دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم در ثغر تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
باللؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللآلئ الفائق
فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بنانها من أرجوان

أَنَاذِعَهَا عَلَى الْعَلَاتِ شَرِبًا لَهَا مُضَاحِكٌ مِنْ أَفْجَوَانِ
 يَلُوحُ عَلَى مَفَارِقِهَا حِجَابٌ كَأَنْصَافِ الْفَرَائِدِ وَالْجَمَانِ
 وَفِي هَذَا زِيَادَةٌ لِأَنَّ فِي الْحِجَابِ مَا هُوَ كَبِيرٌ يَشْبَهُ بِأَنْصَافِ الْفَرَائِدِ وَهِيَ كِبَارُ
 اللَّوْلُؤِ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ صَغِيرٌ يَشْبَهُ بِأَنْصَافِ الْجَمَانِ وَهِيَ صَغَارُ اللَّوْلُؤِ :
 وَطَالَعَنِي الْفَلَاحُ بِهَا سَحِيرًا فَزَادَ عَلَى الْكُفَا كِبَرَ كُوكِبَانِ
 وَوَأَقْبَعَهَا بِخَدِّ أَرْجَوَانٍ وَخَالَفَهَا بِفَرْعِ أَرْجَوَانِ
 وَأَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي الْحِجَابِ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :
 فَإِذَا عَلَاهَا الْمَاءُ أَلْبَسَهَا حَبِيبًا كَمَثَلِ^(١) جَلَّاجِلِ الْحَبْلِ
 حَتَّى إِذَا سَكَنْتُ خَوَاصِمَهَا كَتَبْتُ بِمَثَلِ الْكَارِعِ النَّمْلِ
 وَمَنْ غَرِبَ ذَلِكَ وَبَدِيحُهُ قَوْلُ الْأَوَّلِ وَيُقَالُ إِنَّهُ لِيَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ :
 وَكَأْسُ سِبَاهَا الْبَحْرُ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ كَرَقَةٍ مَاءِ الْمَرْزِ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
 إِذَا شَجَعَهَا السَّاقِي حَسَبَتْ حَبَابَهَا عَيُونَ الدِّبَا مِنْ تَحْتِ أَجْنَحَةِ النَّمْلِ
 وَأَبْدَعَ مَا قِيلَ فِي الْحِجَابِ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :
 قَامَتْ تَرِينِي وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْتَمِعٌ صَبْحًا تُولَدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهَبِ^(٢)
 كَأَنَّ صَغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
 وَخَطَاةُ النَّحْوِيُونَ فِي قَوْلِهِ « كَبْرَى وَصَغْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا » ، أَخَذَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فَقَالَ :
 يَا خَابِلِي^(٣) سَقِيَانِي فَقَدْ لَا حَ صَبَاحٌ وَأُذُنَ النَّاقُوسِ
 مِنْ كَيْتٍ كَأَنَّهَا أَرْضُ تَبْرِ فِي نَوَاحِيهِ لَوْلُؤٌ مَغْرُوسِ
 وَقُلْتُ : رَاحَ إِذَا مَا اللَّيْلِ مَدَّ رَوَاقَهُ لَاحَتَ تَطَرُّزُ حُلَّةِ الظُّلَمَاءِ
 حَتَّى إِذَا مَسْرَجَتِ أَرَاكَ حَبَابَهَا زَهْرَاتِ أَرْضٍ أَوْ نَجُومِ سَمَاءِ
 وَقُلْتُ فِي الْمَعْنَى الْأَوَّلِ :

(١) فِي الْأَصْلِ « نَمَشًا كَمَثَلِ » وَفِي دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ « حَبِيبًا شَبِيهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ « وَالْعَنْبِ » . (٣) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ « يَا نَدِيمِي »

تَبَيَّتْ لِي اللَّذَاتُ مُعْقُودَةَ الْعَرَى إِذَا مَا أَدَارَ الْكَأْسَ أَحْوَرُ عَاوِدُ
يَدْبُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ نَارٍ تَحُلُهُ كُؤُوسٌ لَا عُنَاقَ اللَّيَالَى قَلَائِدُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَدْ حُثِنِي بِالْكَأْسِ أَوَّلَ فُجْرِهِ سَاقُ عِلَامَةٍ دِينِهِ فِي خَصْرِهِ
فَكَأَنَّ مُحْمَرَةَ لَوْنُهَا مِنْ خَدِّهِ وَكَأَنَّ طَيْبَ نَسِيمِهَا مِنْ نَشْرِهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ تَبَسَّمتْ عَنْ ثَفَرِهَا فُحْسِبَتُهُ مِنْ ثَفَرِهِ
وَقَالَ : لَمَّا فِيهَا كِتَابَةٌ عَجَبُ كَذَلِ نَقْشٍ فِي فَصٍّ يَاقُوتُ
وَقُلْتُ : دَارَ فِي الْكَأْسِ عَفِيقُ فُجْرِي وَاطْفَأَ الدَّرُّ عَلَيْهِ فُطْفُوحُ
نَصَبَ السَّاقِي عَلَى أَقْدَاحِهَا شَبَكَ الْفَضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرَحُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي لُطَافَتِهَا :

لَطِفْتُ فَقَدْ كَادَتْ تَكُونُ مُشَاعَةً فِي الْجَوْثِمِ مِثْلَ شِعَاعِهَا وَنَسِيمِهَا
وَمِنْ الْأَسْتَعَارَةِ لِلْبَدِيعَةِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ : فَأَضْحَكَ عَنْ ثَفَرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَأْسِ
وَقُلْتُ : وَشَرَابُ طَوَى الزَّمَانِ فَاكِئِي نَفْسَ الْوَرْدِ رَقَّةً وَنَسِيمَا
إِنْ يَكُنْ بِالْمَقُولِ غَيْرُ رَحِيمٍ فَهُوَ بِالرُّوحِ لَا يَزَالُ رَحِيمَا
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي خِيَالِ الْكَأْسِ عَلَى الْيَدِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :
كَأَنَّ الْمُدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا قَامَ لِلسَّقَى أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ لَهُ فَرْدٌ كَمِنْ الْجَلَنَارِ
وَقَالَ السَّرِيُّ فِي مَعْنَاهُ :

وَبَكَرَ شَرِبْنَاهَا عَلَى الْوَرْدِ بِكَرَّةٍ فَكَانَتْ لَنَا وَرْدًا عَلَى خَيْرِ مُوَرِّدِ
إِذَا قَامَ مَبِیْضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا تَوَهَّمَتْهُ يَسْمَى بِكُمُ مُوَرِّدِ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ : أَلَا رُبَّمَا كَأْسُ سَقَانِي سَلَا فِهَا رَهِيفُ الثَّنْيِ وَاضِحُ الثَّفَرِ أَشَدُّ
إِذَا أَخَذَتْ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنَوِهَا (١) رَأَيْتُ اللَّجِينَ بِإِنْدَامَةِ يَذْهَبُ

(١) فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ (إِذَا ذَكَرَتْ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنَوِهَا) .

وقلت : وقد شغلت كلنا يديه بقهوة
 كأن خيال الكأس فوق ذراعه
 غشاء من العيان فوق لجين
 وقلت أيضاً :

يسعى إلى مُقرطق في كفه كأس و بين جفونه كأسان
 وتناصبت فيها بغير قرابة كف المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقتها وصفائها قول بعضهم :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتقارب الأمر
 فكانها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها :

وكأس تحجب الأبصار عنها فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة بيضاء بيني وبين الراح تهرقها البروق
 وقلت : وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوف
 صفت وصفت زجاجة عليها لمع دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالخيال ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر (١) . وقال بعضهم :

خفيت على شرايها فكانهم يجدون ربا من إناء فارغ
 وقال غيره : وزنا الكأس فارغة وملأى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شعاعها ونسيمها (٢)
 وقلت : حملت بخصرها إناء مدامة صفراء تلع في زجاج أقر
 فكانها واللحظ ليس يحورها شمس النهار تختمت بالمشتري

ومن أجود ما قيل في الأبريق وفضول الكأس وأنشده إسحق :

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقد ليس من قول المصنف . (٢) تقدم قريباً .

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ ظَبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَأَنَّ رِقَابَهُمْ مِنْ اللَّيْنِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عِظَامُ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ :

إِبْرِيقُنَا سَلَبَ الْغَزَالَةِ جِيدَهَا وَحَكَى الْمَدِيرُ بِمَقْلَتَيْهِ غَزَالَا
وَأَحْسَنَ الْآخَرُ وَيَنْسَبُ إِلَى بَشَارِ :

كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا وَالْقَطْرُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَنَاوَلُ يَاقُوتًا بِمَنْقَارِ
إِلَّا أَنْ قَوْلَهُ « طَيْرٌ » رَدِيءٌ وَالْجِيدُ طَائِرٌ ، وَأَجَاذَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يَجْزِهِ غَيْرُهُ .
وَقُلْتُ : تَضَحَّكَ فِي الْكَأْسِ أَبَارِيقُنَا وَحَسَبَ مَا يَضْحَكُنْ يَبْكِينَا
كَأَنَّ أَعْلَاهَا إِذَا أَسْفَرَتْ تَعْقَدُ فِي الْكَأْسِ ثَلَاثِينَ
وَأَوَّلُ مَنْ شَبِهَ الْأَبْرِيقَ بِالْأَوْزِ لَبِيدٌ ^(١) فِي قَوْلِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَمْرَ :
تَضَمَّنُ يَنْضًا كَالْأَوْزِ ظُرُوفُهَا إِذَا تَأَقَّوْا أَعْنَاقَهَا وَالْحَوَاصِلَا
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَ كَظَلَّ الرَّشْحُ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الزُّقْعَانَا وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرُ
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ عَشِيَّةً إَوْزٌ بِأَعْلَى الطَّفِّ عَوْجُ الْحَنَاجِرِ
وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ ^(٢) :

سَيَفْنِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَلْقَ بِهَا وَضْرُ الزَّبْدِ
مَقْدَمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
وَقَوْلُهُ (تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ) زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَقْدَمُ .

وَأَمَّا فَضُولُ السَّكُونِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

قَرَارَتِهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهْمًا تَدْرِيبَهَا بِالْقَسَى الْفَوَاسِ

(١) هُوَ صَاحِبُ الْمَعْلَقَةِ الْمَشْهُورَةِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ ، الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ

الْجَوَادُ الْفَارِسُ الْفَتَاكُ الْمَعْمَرُ .

(٢) هُوَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ الْمُسْرِفُ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ .

فللخمر مازرت عليه جيوبهم وقال السرى الموصلى :

كان الكؤوس وقد كُلتْ
جيوب من الوشى مَزْدُورَةٌ

فجئت به فى بيت وقلت :

وبيض تهاوى فى مَزَعْفَرَةٍ صَفَرٍ
فدارت بأقداح كأن فضولها

وقال السرى أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
تبدت وفضل الكاس يلتمع ساطعاً

وقال الناشئ : ملوك ساسان على كأسها

فخمرها من فوق أذقانها

يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل فى صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز

غدا بها صفراء كرخية كأنها فى كأسها تتقد

فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد

ومن أجود ما قيل فى صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها يمد عليها منه ثوب ممسك

ومجلسنا فى الجو بهوى ويرتقى وإبريقنا فى الكأس يبكى يضحك

ومن أحسن ما قيل فى ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالمعظام كأنه فيض النعاس وأخذ بالمفصل

عبقت أكهفهم بها فكأنما يتنازعون بها سحاب قرنفل

وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إغفاء
وقوله : ثم لما مزجوها وثبت وثب الجراد
ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١) :

أناخوا فجرًا شاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسر بلوا
« لم يتسر بلوا » تنعيم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
ندب ديبًا في العظام كأنه ديب نمل في نقا يتهيل
أحسن ما قيل في خروج الحمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريس باكرت حاتها فودجوا خصرها بميزال
فسال عرق على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال
وقال ابن المعتز : تخرج من دنتها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيت خمار بطيبتها صفراء مثل شعاع الشمس تنقد
فأرسلت من فم الأبريق قانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سمى إلى الدن بالميزال ببقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
وقلت : قد بزل الدن قعومي انظري زنجية تقتل خلخال
واسقنيها واشربي واطربي وجري في الهواء أذيالا
تنصني ما اسطعت واستعني إن وراء المرء أهوالا

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أباغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مانديمي على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرّجتُ أجرُ الذيل حتى كأنني^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشرها فتركنا ملوكا وأسداً ما ينهينها اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحوتُ فأنى ربُّ الشوبهةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تنسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفتُ عن الإدراك والحس
 لتسيما في قلبٍ شاربها روحُ الرجاء وراحةُ النفس
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :
 وشربك من ماء الكروم كأنه إذا ميج صرفاً في الاناء خضابُ
 صريع مدام والندامي يلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القتي لو كان يعرفُ ربّه ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحدادُ
 وبيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواد
 وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمّل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذيل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الذات قول أحمد بن أبي قتن :^(١)
 جَدَّدَ الذاتِ فالْيومَ جديد وَاَمْضُ فيما تشتهي كيفَ تريد
 انى ان أمكن يومَ صالح انَّ يومَ الشرب لا كان عتيد
 وقال ديك الجن^(٢) :

تمتع من الدنيا فانك فاني وإنك في أيدي الحوادثِ طاني
 ولا تنظرن اليوم في لهو غد ومن لغدٍ من حادث بأمان
 فاني رأيتُ الدهرَ يسرعُ بالفتى وينقله حالينِ يختلفان
 فأما الذي يمضي فأحلامُ نائم وأما الذي يبقى له فأمانى
 ونحوه قول عمران بن حطان^(٣)

يأسفُ المرءُ على ما فاتهُ من لباناتٍ إذا لم يقضها
 وتراهُ فرحاً مستبشراً بالتي أمضى كأن لم يمضها
 عجباً من فرح النفسِ بها بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندي ذاق أحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرورِ فانها مراعٌ وأيامُ الهمومِ بطاءُ
 وحلَّ عتابِ الحادثاتِ لوجها فانَّ عتابَ الحادثاتِ عناءُ
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ليالى ما يأتى وهنٌ وراءُ
 ونحو عجير السلولى^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :
 عللاني إنما الدنيا عللٌ وَاتركاني من عتابٍ وعذلُ
 وانشلا ما غبر من قدريكما واسقياني أبعد الله الجلل

(١) في الاصل (فدس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأصل إلى اسمعيل بن حميد باختلاف في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر على الدعوة والتجربى بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

طَافَ الرَّاحَ وَدَعَّ نَعْتَ الطَّلَلِ وَأَعَصَى مِنْ لَامِكٍ فِيهَا وَعَفَلَ
فَادَهَا وَاسْعَ لَهَا وَغَرَبَهَا وَإِذَا قِيلَ نَصَابًا قُلْ أَجَلُ
إِنَّمَا دُنْيَاكَ فَاعْلَمْ سَاعَةً أَنْتَ فِيهَا وَسَوَى ذَلِكَ أَمَلُ
وَلَا بِنِ بَسَامٍ^(١) :

وَأَصْلُ خَطْبِكَ إِنَّمَا الْإِدُّ نِيَا مُوَاصَلَةُ الْخَلِيلِ
وَأَنْعَمَ وَلَا تَتَعْجَلِ الْمَكْرُوهَ مِنْ قَبْلِ النَّزُولِ
بَادِرْ بِمَا تَهْوَى فَمَا تَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ
وَارْفُضْ مَقَالَةَ لَأْتُمَّ إِنَّ الْمَلَامَ مِنَ الْفُضُولِ

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف للسكر ، واسمه عبدالسلام بن رغبان الحمصي :
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَذَنْبِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إِنْسَانًا بَغْدِيرِ حَلِهِ
وَأَنْصَرَمَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصْلِهِ وَالسَّكْرُ مُفْتَاَحُ هَذَا كُلِّهِ
قَدْ أَوْطَأَ إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى . وقال أيضاً :

مَشْعُوعَةٌ^(٢) مِنْ كَفِّ ظِيٍّ كَأَنَّمَا تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ فَادَارَهَا
فَظَلَتْ بِأَيْدِينَا نَتَعَتَعُ رَوْحَهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :
إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا يَوْتَرٌ تَوَقَّدَتْ عَلَى ضَعْفِهَا^(٣) ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرَّجْلِ
وَبَيْتُ عَبْدِ السَّلَامِ أَجُودُ مِنْهُ .

أحسن ما قيل في وصف الساق إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يعدّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،
كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنّا مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطبة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضعفها) .

كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّهِ بِدَرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبٌ
 وقلت : وطاعنى الغلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكب كوكبان
 وما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفف تمت محاسنه *
 وقد مر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكأنه وكأنها وكأنهم قمرٌ يدورُ على النجوم بأشمس
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فالكفُّ عاجٌ والحبابُ لآلىءُ والراحُ تبرُّمٌ والزُّجاجُ زبرجد
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بين أقداحهم حديثٌ قصيرٌ هو سحرٌ ومساواة الكلام
 وكان السقاة بين الندامي ألفاتٌ بين السطور قيام
 فشبهه اصطفاة الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .

ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وإذا سكرتُ فأنى مستهلكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يسكلم
 وإذا صحوتُ فما أقصر عن ندى وكما علمتُ شمائلى وتكرمى
 أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

وما زلتُ خلاً للندامى إذا انتشوا وراحوا بدوراً يستحثون أنجما
 تكررمت من قبل الكؤوس عليهم فما استطعن أن يحدثن فيك تكرماً
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكؤوس أن تزيد تكرماً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامى قول بعضهم :

لقد علمَ الرِّيحانُ والراحُ أنى على الكأس والندمان غير جهول
 فان ساءت منهن مقامٌ غفرتهُ ولستُ إلى ماساءهم بمجهول
 قوله * لقد علم الرِّيحان والراح انى * في غاية الظرف . وشبيه البيت

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأسُ سُ فادري ادمانه بالحلوم
قول ما أسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم
إلا أن في هذين البيتين عيين أحدهما التضمن والآخر قوله (عند ذاك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولست له في فضلة الكأسِ قائلاً لا صرفه عنها تحس وقد أبى
ولكن أحبيبه وأكرم وجهه وأشرب ما أبقي وأسقيه ما اشتهى
وليس إذا ما نام عندي بموقف ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :

كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :
ورضيع أرضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطاها
لم يكن بيننا رضيعاً ولكن صيرت بيننا المدام رضاعاً
وهو من قول الناشيء : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكر الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقاً لا أراه لغير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه راح اللذات في الزمان القديم
وقلت : لما تبدى وجهه كالبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبه واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى النداء م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لمرضاتي ^(١)
 وتسعى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثله . وقلت :

ما أعافُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتهُ لفقدِ النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظٌ لكريم دون النديم الكريم
 فتخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضئيرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسبيئة مما تعقُبُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حمرةَ لونها وسرتْ بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 نخذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثموبَ النهار
 ويسلبها الخلدُ جريالها فتهديه للعين يومَ الحمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الحمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الحمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردى . ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وإن كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقُ كناظرِ الخمرِ وأقحوانٌ كشتفورِ الحور
 ونرجسٌ كأنهم الدَّيجور

فشبهت ما يعتري بياض العين والخالق من الحرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بللّاء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ما تقبل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وصفراء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكمت وجنة المشوق صرّفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكنست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل السهمها أدجن إدماجا
يحاذين من الأردا ف كشياناً وأموجا
وقضباناً من الفضّة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأُبشا ر في الدّيباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طعن بالجلّس أفراداً وأزواجاً
تجاذن فغنينسك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتا ر امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا
ومن جيد ما قيل في بحّة خلق المغنى قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بحّة خلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشو ق فضاهى به أنين العود
لأحب الأوتار تعلو كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنَّبات كحبي للمبادي موصولة بالمشيد
كهبوبِ الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شدة ورُكود
وقد أحسنَ ابنُ المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ بمناسها إذا ضربتُ بها وتنفثُ يسراها على العودِ غناها
وقلت : وهيجتُ لى من شوقٍ ومن فرح أيدٍ ثرنَ على الأوتارِ غناها
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيتكم إنَّ السرورَ إذ ماغبتمُ غناها
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلُّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذراء
لا يمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تنغني كأنها لا تنغني من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مدً في شأورِ صوتها نفسٌ كما في كأنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لائمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كالتي تندرُ في النذرة

وقول الآخر :

إذا وقَّع بالعود زمرنا بالكؤوس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتناثي من سماعه فقول ابن الرومي :

فطلتُ أشربُ بالارطال لا طرباً عليه بل طلباً للسكر والنوم

ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلس ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندس مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض محيطيه من سنان نؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشى بد بياض الغلالة من فرجه
ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخواف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدع وصديقاً له :

ألست ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياضِ تُراقُ
وقد رقَّ جلباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلايبُ الغيوم صفاق
وعندي من الرِّيحانِ نوع تحية وكأسٌ كرقراق الخلقِ دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دقاق
لنا أبدأً من نثره ونظامه بدائعٌ حلّى مالهنَّ حقاق
وأغيد متهزّز على صحن خده غلائلٌ من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره فمن له دون النطاق نطاق

هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأنَّ عليه من حدق نطاقا
وقد مر ، ويدت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :

وقد نظم المشور فهو قلادة علينا وعقدٌ مذهبٌ وخناق
وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوارٌ من الهند سقفاً خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإيطاء ، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافي عندهم :

أطاجم تلذُّ الخصام كأنها كواعبُ زنج راعهنَّ طلاق

(١) في ديوان السري « على الندى » . (٢) في الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان نجبت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرفية برد الشراب لديهم
 وقالت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقالت : هذا حبيب وصول
 وذاك شرخ شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيمتها غدر بنا وإباق
 مفارق إلف حان منه فراق^(١)
 حميم إذا فارقتهم وغساق
 وبعث فيه العقل والدنيا
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن يبكينا
 يعقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونديم
 فليس شيء يدموم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسجبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبه
 فما سي ؟ سماء ضاحكة منتحبه
 طالبت أقصى أملى منه فنلت الطلبة
 بسيدين ارتقيا منقبة فمنتقبه
 واتفقا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشرها عذراء قد قامت بحق الشربه
 أكرم ذخر ذخر من كرمه في عنبه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أطنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كالحظة مخلوسة وقبله مستلبه
 وقلت : عندنا طيبٌ وريحاً نٌ ونقلٌ وغناء
 ومن المشروبِ لونا نِ شمولٌ وطلاء
 ومن اللحمِ خليطاً ن طيخٌ وشواء
 ومن الحلواءِ ألوا نٌ أحادٌ وثناء
 ولنا غلمانٌ صدق أدباءٌ أرباء
 أرسلوا في الصحن ماءً فكان الصحن ماءً
 واشتوا للحسنِ عدواً فحواشيهِ رداء
 فارشف الهمُّ عناءً انما الهمُّ بلاء
 واغتم لذة يوم قد تخطاهُ العناء
 فهو بطوبك ويمضي ليسَ للدُّنيا بقاء

و من المشهور في صفة السكارى قول بعضهم :

مشوا إلى الرَّاحِ مشى الرَّخَّ وانصرفوا والرَّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مَضَتْ عن القسيِّ وراحوا كالعراجين
 وكانَ شربهمُ في صدرِ مجلسهم شربَ الملوك وناموا كالساكنين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرَّاحِ وقد بدَّلوا مشى الفرازينِ بمشى الرَّخاخ
 ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيدُ حسا الكأسُ السفهَ سفاهةً وتتركُ أخلاقَ الكريمِ كاهياً
 وإنَّ أقلَّ الناسِ عقلاً إذا انتشى أقلمهمُ عقلاً إذا كانَ صاحياً
 ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسمِ قائله ورأيتُه

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة^١ من الندى إلا أنها ليس تهطل
وعلى بماء الورد خيش كأنه على جلده ثوب العروس المصنديل
وقلت : ظبي يروق الناظرين بأبيض وبأسود وبأخضر وبأشـ كل
ومقوم مثل القضيب مهفف ومعوج كالصولجان محبل
ومفرج من خدة ومكفر ومخفق من شعره ومسائل
وبياض وجهه بالصباح مقنع وسواد فرع بالظلام مكمل
علقت أباريق المدام بكفه كالبدري يعلق بالسماك الاعزل
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً مثل الغمامة غير أن لم يحمل
فكأنما الكاسات في حافاته شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو^٢ الله من ابتدا في العين في اغنائها

أحلى وأشهى من متى نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصفوا نحوها الآذان حتى كأنهم وما ناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حدت^٣ لك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها^(١) ومضى كراها

سمعت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسي من عناها

ومسمعة تفوت السمع حسناً^(٢) ولم تصممه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشتت وشاقت ولو يستطيع حاسدها فداها^(٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأننى أعمى معنى بحب الغانيات ولا يراها
وكان ينبغي أن يقول (فداها حاسدا) وليس لقوله (فلا يسطيع حاسدا)
معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفقر ^(٢) بمنطقها فما
ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأكلا
ولم أرَ مثلى شاقه صوتُ مثاها ولا عريباً شاقه صوتُ أعجا
ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه
ونشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بمضهم :
فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمته بين ترائبٍ ولبان
طوراً تدغدغ بطنه فإذا هنا عركت له أذنًا من الآذان
ومثله قول الناجم :

إذا احتضنت عابثٌ عودها وناغته أحسن أن يعربا
تدغدغ في مهيل بطنه فتسمعنا مضحكا معجبا
وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مر كب على الطبائع الأربع فقال :
شدت فجلت أسماءنا بمخفف يحدتها عن سرها وتحديثه
مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدثه
فللنار منه الزير والأرض وللريح متناه وللماء مثله
وكل أمرى يرتاح منه أنعمه على حسب الطبع الذى منه يبعثه
شكاضرب يمناها فظلت يسارها تطوقه طوراً وطوراً ترعته
فما برحت حتى أرتنا مخارقا يجاذبه فى أحسن النقر عثعته

فاستدر كناه من ديوان أبى تمام . (١) الهلالي من فحول المخضرمين والمعمرين .

(٢) أى لم تفترح .

وحتى حسبت البابليين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفته
 وأجود ما قيل فى اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن على المنجم :
 غصن على دعص نفا منهاى سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدَّلالِ هيف الخصورِ رجج الا كفال
 يأخذنَ من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبوة كلَّ سال يصرع كلَّ فائكٍ بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى فى مُحلةٍ تَجَرَّرُ من فضل أذياها
 وتحملُ عوداً فصيحَ الجواب يضاهى اللحونَ بأشكالها
 لهُ عنقٌ مثل ساقِ الفتاة ودستانهُ مثل خلخالها
 فظلتُ تطارحُ أوتارَهُ باهراجها وبأرمالها
 وتعملُ جسماً كجسِّ العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يغنى لكل إنسان بما يشتهيهِ . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
 عن المدائنى قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أنى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطا من عمل زرلى فأهدى اليه عوداً وكتب
 اليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل فى حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشئ *
 * وكان يمتاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستهُ حكت متطبياً يجيلُ يديه فى مجسِّ عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
 لأنَّ الطبيبَ يحسُّ بيدَ واحدةٍ وكذلك الضاربُ فليسَ لذكرِ اليدينِ وجهٌ .
 ومن جيدِ ما قيلَ في صحةِ عبارةِ العودِ عن الغناء قولُ ابنِ أبي عونٍ :
 تناجيكِ بالصوتِ أو تارهُ فتوفيكِ السنهُ أحرفُ
 وأبين منه قولُ الناجمِ :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلتُ: رُبَّ ليلٍ كساكَ ثوبَ نعيم بينَ حاقٍ وسامرٍ ونديم
 وكؤوسِ جرَّتْ وريدَ كؤوسِ وأعلنتُ على طريقِ الهمومِ
 ولنا مزهرٌ كمثلِ فطيم في يدي مطربِ كأمِّ الفطيمِ
 وسموا صدره بعاج وذبل فزهتهُ محاسنُ التوسيمِ
 مثلَ أرضٍ تحبَّتْ بأفاح أو سماءٍ تكلمتْ بنجومِ
 ذو ملاوٍ سودِ الفروعِ وُحمر مثلَ أطرافِ فرحةٍ ونعيمِ
 ووساينِ لانبجولُ عليه كخلائيلِ ماردٍ وظلومِ
 أحمرِ الزيرِ أسودِ المِ نحوى هلْ رأيتمْ جداولَ التقويمِ
 ومن جيدِ ما قيلَ في سرعةِ الضربِ والجلسِ قولُ كشاجمِ :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركهُ أناملُها كانَ الهواءُ يفيدُهُ نطقاً
 جسهُ طامةٌ بحالته جسَّ الطبيبِ لمدنفِ عرقاً
 فحسبتُ يمناها تحركهُ رعداً وختلَ يمنها برقاً

وقال بعضهم في رقصِ :

عجبتُ من رجليه تتبعانه يعلوها طوراً ويعملوانه
 كأنَّ أفعيين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الخمار بماودة الشرب قولُ الأعشى :

وكأنس شربت على لذّة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء : فحشا الكلام بما لا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون : ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقعاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلي بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيموه ليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثأر إلا وهو مذبح
طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محموم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فمتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برنسن بالطين
مكافآت لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائل هي العرىُ مقرورٌ بها كلُّ لابس
 مشعشة مرهاء ما خلتُ أنى أرى مثلها عذراء في زى عانس
 المعنى جيد وفي الالفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^(١) وانتصابه خرطومُ فيل سقطتُ أنيابه
 وفيه : سماء لا ذطرهـ ارحيق رَحَب الذُّرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيقُ حتى اذا ألهمـا التصفيق
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُ أرى السكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرَّجَلِ القصير
 بالكافين غنى وأمسحُ عارضَ القمرِ المنير
 أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له بأقاله عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت بضعف سكرى لما سقيتني إلا بمسقط
 بحسبك أن خماراً يجنبى أمرُ يبابه فأكادُ أسقط^(٢)
 ولابن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كل ضرر كان يجنى عليك في رغفانك
 قد ردَدناه فأتخذه لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 وأتخذه على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخل من إخوانك
 أضرستنا حوضه فيه تحكي رعدة^(٤) تعتريك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقني بالكبير إلى كبير إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذى يروِّق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالي في النهاية لابن لنكك باختلاف في بعض الالفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقل
رحلتُ عنّا من كروم بابل فبتُّ من عقلِي على مراحل
وقال غيره في نبذ الدبس :

علني أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو تراني وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب
وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بناف خمار مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرور
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاه وهو منتصبٌ كأنه صولجانٌ بللور
وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود
وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدهُ نصفُ سائرهِ
أنطقتهُ يدا فتى فأنّ اللحظِ ساهرهِ
فحكى عن ضميره ماجرى في خواطرهِ

وقال آخر في المعرفة :

معلنة الأوتارِ صخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوةٌ أحشاؤها حلةً بيضاء من جلد غزالٍ ريب
كأنما نسمة أوتاره نصبنَ أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
التهافت وبرأها من التفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرنين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لأبصار
الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
منازله وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)
وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :
نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصايحُ رهبان تشبُّ لَقَمَّال^(١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سربنا بلبيل والنجوم كأنها قلادة درّسل عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدرّ طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها

وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :

كأنّ سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح

رياض بنفسج خضل نداه تفتح بينها نور الأقاحي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجوم غائر غلالة ليل بالصباح مطرر

كأن بياض النجوم في خضرة الدجى تفتح ورد بين رند^(١) وعبقر

وقلت : كم سرور زرعت بين الندامى وهموم طردت بين الكؤوس

وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كماج يلوح في ابنوس

وقلت : بلبيل كما ترفو الغزالة أسود على أنه من نور وجهك أبيض

كواكب زهر^٣ وصفر^٤ كأنها قبائع منها مذهب ومفضض

وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحمر فشبه الأبيض بقبعة

مفضضة والأصفر والأحمر بالمذهبة والذهب بوصف بالحمرة والصفرة ، ومثل هذا

التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وبياض النجوم » لتم المقابلة ويخلص

من تسكلف « وتلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلم الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
وقد أحسن الناسي، القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
وردت عليها والنجوم كأنها كتابٌ جيشٌ سوّمتُ لكتائب
وقلت : وأنجم كزرب في شهب كالشهب تجري في خلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
إذا ما للثريا في السماء تعرضت تعرضَ أناء الوشاح المفصل
وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أي جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :
وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء مخلق
وقالوا أحسنه قول ابن الطيرة :

إذا ما للثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكه فتبدداً
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هي بمتبددة ولكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبهاهما من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد
تبدو الثريا كفاغرٍ شره يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقود
والأول أجود لذكروا وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لسا ربها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) اذا ذُقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب
فخيرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب
فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)
وقلت : شربنا والنجوم مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف
وقد أصدفت إلى الغرب الثريا بوالد لو سلمها الضعيف
وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هو دَجٌّ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج
وقد لمعتُ بينَ النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج
وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلد الموصلي :
وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصابة
وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة
وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :
فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى
قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس
كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه) . (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِفَتُونٍ مِنْ غَنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونٍ
وَالثَّرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْغَائِلُ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا حِلَّةَ النُّورِ مَنْخُلٌ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقَنِيهَا وَالظَّلَامُ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحَرَ الْمَغَارِبِ تَرَكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نُورٌ أَوْ لُجَامٌ مَفْضُضٌ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَمٌّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوَضَ النَّجْمِ وَالْأَفَقُ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْرِقُ تَحْتَ خَضْرَاءِ شَارِبٍ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مُقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرٍ مَفْلَجٍ
تَسِيرُ وَرَاءَهُ وَالْهَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفٌّ إِلَى نِصْفِ دَمَلَجٍ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ الْأَفَقُ يَتْبَعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مُنْتَقِبٍ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْتَمِعُ كَأَنَّهَا عَقَرَبٌ مَقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ
وَأَحْسَنَ مَا قَبِلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلَكٌ أَقْبَلَ فِي التَّاجِ مُبْدِيٌ وَيُحْيَا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْخُمُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْفُفُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمٍ كَرَّ بَرْبٍ فِي يَدٍ يَلُوحُ فِي التَّصَوِّبِ وَالتَّصْعِيدِ
كَشَرَفَاتٍ فَدَنَ مَشِيدِ

وَقُلْتُ : قَمٌّ بِنَظَرٍ دُ الْمَعْمُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمَفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجْرَةُ فِيهِ كَسَيْبٍ يَمْدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوى الأصفهاني في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لآلَى دُمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لآلَى الثُّرَيَّا
وَرَدَاءُ الدُّجَى لَبِيسٌ دَرِيسٌ بِيَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيًّا
وشبه أبو فراس الثريا بالغخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثُّرَيَّا وَالْبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَجِيَا بَنَرَجْسٍ مَلَكٌ
أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلِ ابْنِ الْغَنَوِيِّ (١) :
وَقَدْ مَاتَ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَانَتْهَا فِسَاطِيطُ رُكْبٍ بِالْفَلَاحِ نَزُولُ
وَلَوْ شَبَّهَهَا بِفِسْطَاطٍ وَاحِدٍ كَانَ أَشْبَهَ . وَمِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ فِيهَا وَفِي الثُّرَيَّا :
وَقَدْ هَوَى النُّجُومُ وَالْجُوزَاءُ تَدْبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مَعَ أَنَّ الْمَصْرَاعَ الْأَخِيرَ غَيْرُ مُخْتَارٍ الرَّصْفِ ، وَالنُّجُومُ اسْمٌ مُخْصِصَةٌ بِهِ الثُّرَيَّا .
وَقَالَ فِيهَا وَفِي الشَّعْرِ الْعَبُورُ :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرِى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمُحٍ جَرَّةٍ رَامِحٍ
وَقُلْتُ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ يَحْكِي شُرُوقَهَا طَفَوْ غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْمَحِلٍ
وَهَذَا وَصَفَهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا . وَقُلْتُ فِيهَا حِينَ تَوْسُطُ السَّمَاءَ :

شَرِبَتْهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفَزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبِهِ
كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ طَبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ
وَقُلْتُ فِيهَا عِنْدَ غُرُوبِهَا :

إِسْقَنِهَا وَاللَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسٍ زَيْنُوهُ بِدُرَّةٍ وَجْهَانِهِ
وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٍ عَنْ سَرَاةٍ (٢) حِصَانِهِ
وَقَالَ آخَرُ : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتَرُ قَوْمٌ أَخَذُوا وَتَرَاهُمْ يَقْطَعُ بِسَدِيهِ

(١) من بني غنى، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية. (٢) سراة كل شيء: أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما ناءت بها الجرباءُ كادت تنثني
ونطاقها متراصف في نظمه فكأنما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي الفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلاب داج كفرع الخود أوعين الغزال
كأن كواكب الجوزاء فيه زميلة^(١) مفعرة الهزال
تمس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلل
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمله التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوق الدكرى واعتضت وسط السماء الشعرى
كانها يا قوته في مدرى ما طول الليل بسر مرى
وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحيه عن الرشح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للساير سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جبران العود :

أراقب المحاً^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)
وقلت : وبسهيل رعدة المزود^(٤) وهو من الأنجم في محيد
حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جبران العود « أراقب لوحاً » .

(٣) في ديوانه « يطرف » . (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كَأَنَّ سَهِيلًا وَالنَّجُومُ أَمَامَهُ يَعَارِضُهَا رَاعٍ أَمَامَ قَطِيعٍ

أَجُودَ مَا قِيلَ فِي الذِّسْرِ الْوَاقِعِ قَوْلُ الْحَمَانِي :

وَرَكِبَ ثَلَاثَ كَالَانِي تَعَارَوْا دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى أَوْ مَضَتْ سُنَّةُ الْبَدْرِ

إِذَا اجْتَمَعُوا سَمِيَّتُهُمْ بِاسْمٍ وَاحِدٍ وَإِنْ فَرَّقُوا لَمْ يَعْرِفُوا آخَرَ الدَّهْرِ

وَهُوَ مِنَ اللَّغْزِ الْمَلِيحِ . وَمِنْ جَيْدِ مَا قِيلَ فِي الْفَرْقَدَيْنِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَرَنَا إِلَى الْفَرْقَدَانِ كَمَا رَأَيْتُ زُرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أُسُودٍ

وَفِي الْحَجَرَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

كَأَنَّ الْحَجَرَةَ جَدُولُ مَاءٍ نَوْرُ الْإِقَاحِ فِي جَانِبَيْهِ

وقال ابن طباطبا :

مَجَرَّةٌ كَلَمَاءٍ إِذْ تَرَقَّرَا شَقَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ بَرْدًا أَزْرَقَا

لِبَاسِ تَكْلِيٍّ وَشَيْهَاءِ الْمَشَقَّةِ

وَنَقَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :

كَأَنَّ التِّي حَوْلَ الْحَجَرَةِ أَوْرَدَتْ لِتَكْرَعٍ فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَبِيبٍ

فَوَجَدْتَهُ مَتَكَلِّفًا جَدًّا فَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

لَيْلٌ كَمَا نَفَضَ الْغَرَابُ جَنَاحَهُ مَتَبَقِعُ الْأُتْعَى بِهِمِ الْأُسْفَلِ

تَبْدُو الْكَوَاكِبُ مِنْ فَنُونِ ظِلَامِهِ لَمَعَ الْأُسْنَةُ مِنْ فَتُونِ الْقَسْطَلِ

وَتَرَى الْكَوَاكِبَ فِي الْحَجَرَةِ شَرَّعًا مِثْلَ الظُّبَاءِ كَوَارِعًا فِي جَدُولِ

وَقُلْتُ : تَبْدُو الْحَجَرَةُ مِنْجَرُ ذَوَائِبِهَا كَلَمَاءٌ يَنْسَاحُ أَوْ كَلَايِمُ يَنْسَابُ

وَزَهْرَةٌ بِلَازَاءِ الْبَدْرِ وَاقِفَةٌ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ يَنْحُوهُ نَشَابُ

أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْهَلَالِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ الْأَعْرَاجِي :

كَأَنَّ ابْنَ مَزْنَتِهِ جَانِحًا قَسِيطٌ لَدَى الْإِفْقِ مِنْ خَنْصَرٍ

أَيُّ كَأَنَّ ابْنَ مَزْنَتِهِ وَهُوَ الْهَلَالُ لَدَى الْإِفْقِ قَسِيطٌ مِنْ خَنْصَرٍ وَالْقَسِيطُ الْقَلَامَةُ

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذهُ ابن المعتز فحسّنه في قوله :
ولاحَ ضوء هلال كادَ يفضحه مثل القلّامة قد قدّت من الظفر
وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظُ منه ناظر ذات أشفار
كأنّ الذي أبقي لنا منه أفقه قصيصُ سوارٍ أو قرّاضةُ دينار
ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه أفقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :
إذا الهلالُ فارقه ليّله بدا لمن يبصره وينفته

كهامة الاسود شابت هامة

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :
وقد بدا فوق الهلال كرته كهامة الاسود شابت لحيته
ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر
وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أثقلته حولةٌ من عنبر
وقال : في ليلة أكل الحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج
وقلت : لست من عاشق أضلّ السبيلا فسقى دمه الهطول طلولا
برد الليل حين هبت شمالا فجعلت الصلاة فيها الشمولا
في هلال كأنه حيّة الرّمسِ أصابت على البقاع مقبلا
بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدّجى إكليلا
وقلت : وكؤوس اذادجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين
وكأنّ الهلالَ مرآة تبر تنجلي كلّ ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان
جلبَ المجاعة ضامرٌ بخل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلٌ ولكن أمره عجبٌ قد عاد بعد كهولةٍ طفلاً

قد كان حمل ليلتين فلم تر مثله طفلاً ولا حملاً

ومن العجائب أن يعود فتى في سبع عشرة ليلة كهلاً

وقال السري :

قم يا غلام فهايتها في كأسها كاللمنارة في جنى نسرين

أومارأيت هلال شريك قد بدا في الأفق مثل شعيرة السكين

جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا

التشبيه . وقال بعضهم :

والجو صاف والهلال مشنف بالزهرة الزهراء نحو المغرب

كصحيفة زرقاء فيها نقطة من فضة من تحت نون مذهب

جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله فرمقن منه حاجباً مقرونا

يبدو ويبدو النجم فوق جبينه وكأن جناح الليل ينقط نونا

وقد استحسنت للعلوى الأصغرى قوله :

لاح الهلال فويق مغربه والزهرة الزهراء لم تغب

تهوى دوين مغيبها فهوت تبكي بدمع غير منسكب

فكانها أسماء باكية عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلة والهوى متضرم والبدر في أفق السماء مغرب

فكانها فيه رداء أزرق وكأنه فيها طراز مذهب

حق الدجى ان تؤنث لأنها جمع دجية . وقلت :

كان الهلال الشهر قطعة دملج تلوح على أعضاء معتكر غاس

ترى الزهرة الزهراء تهوى وراءه كما مر سهم قاصد نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدني أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضة ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولت اللذاذ من كذب والدَّهر مسكونُ الحوادث والنوب
في ليلة قراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذاقت طعم النوى لو تدرى كأنه - أ - جنبي على حجر
في قمر مشرق نصفه كأنه - ب - مجرفة العطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفى عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سر أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعززه شررات البعوض في قمر مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه)

فمن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علفي وأبيض صارم^(٢) وأعيس مهري وأروع ماجد^(٣)
فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ما هو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا

جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علفي : منسوب إلى علف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي^(١).

وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواء صحيفاتُ العيونِ وعورها
كانَ لنا منهُ بيوتاً حصينةً مسوحاً أعاليها وساج كسورها^(٢)
وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألفت على الأرض
أكارعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نعارف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفهم
سدت على نظري الرايين منهجه حتى تعارفنا الأشخاص بالكلم
لا أسأله الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سأم
أحاول النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأبنق الرسم
ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه^(٣) قد اكتحلت منه البلاد بأئمد
أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وجنح الليل مكتحل بقار
وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأئمد لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى يوم يذكر جعفر
وقد طarf القائل في قوله :

لا تدعني لصباح إن الغبوق حبيبي
فالليل لون شبابي والصبح لون مشيبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
(مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كانما) .

وَدَوَّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفَتْهَا وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(١)
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ وَقَصْرُ :
عَلَى بَابِ قَنْسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طُخُ^ه جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادِ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَّةِ الْمُخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَا طُخُ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادِ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ : كَأَنَّ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ * فَقَالَ :
سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَوَقَعَ بَعِيداً عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :
تَسْقِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعِهَا شَبِيهَةً بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا
وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلَ رُؤُوسِهِمْ يَخْوَضُونَ ضَحَضًا حَالِيًّا وَبِهِمْ قُرُ^ه
عَلَانَهُمْ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ بَزَاءٌ تَجَلَّى فِي مَرَاقِبِهَا قَمَرُ^ه
إِلَى أَنْ تَعْرِىَ النُّجُومُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ^ه
وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حُومَ^(٢) النَّسْرِ^ه
وَقَالَ دِيكَ الْجَنِّ :

سِيرَ ضِيكَ أَنِّي مَسْخَطُ فَيْكَ كَاشِحًا وَمَرْتَقِبُ^ه هَوْلَانِ مَوْتٍ مَرْقَبُ^ه
وَجَانِبِ لَيْلٍ لَوْ تَعَلَّقَ قِطْعَةً بِقِطْعَةِ صَبْحٍ لَا تَنْتُ^ه وَهِيَ غَيْهَبُ^ه
وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ ثَوْبًا مَنَمَقًا وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرَ فَهُوَ مُحْرَقُ^ه
وَصَبَحْنَا صَبِيحًا كَأَنَّ ضِيَاءَهُ تَعْلَمُ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيُشْرِقُ^ه
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

نَخَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خَيْطَهُ رَدَاءً مَوْشَى بِالْكَوَاكِبِ مَعْلَمًا
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ نَصَحِيْفٌ صَحَحْنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (حَلَقُ) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :

وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتِ

لامعة فوقها أسنتها مثل الأزاهير وسطار ووضات

ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
فهو كالمن يشهد ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مَلْبِدٌ وَلَيْلٌ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ

وَنَحْنُ ضَجِيعَانُ فِي مَسْجِدٍ فَلَا مَاضٍ مِنَ الْمَسْجِدِ

أَيَّالِيَةِ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدُ

وَيَاغِدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِمًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لَيْلَتِي يَاغِدُ

وقال السري :

وَشَرَّ الصَّبْحِ عَنَا اللَّيْلُ فَانْضَحَتْ سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي رَايَاتِهِ السُّودِ

وقلت : ليل كفرع الخلود تخلفه ضحى زهراء مثل عوارض الزهراء

عبقت بأنفاس الرِّياض كأنما نفص الرقيق غلالة الدلتاء

وقلت : واللَّيْلُ يَمْشِي مَشْيَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودِ

والصبحُ في أخراه ثاني الجيد

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :

وليل كموج البحر^(١) أرخى سدوله على بأنواع الهوم ليتلى

(١) أي كموج البحر في شدة ظلمته .

فقات له لما تمطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييماً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لأنه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يسكابه من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :
 على أنَّ للمينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقفاً والتكافؤ في قوله * بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح * بين والكراهة في ظاهرة
 وقال ابن الدميني في معنى قول الطرماح :

أظللُّ نهارى فيكم متعللاً ويجمه معنى والهم بالليل جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ
 جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :
 كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء السكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) بآيب
 وصدر أراح الليل عازب همهم تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الأصل
 « جكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » وأراد بالأطفال الأحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذي يتقدمها .

فجعل الهم يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الراحة مع الليل إلى
أما كنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكريه البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحى والحى فى منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب
فأزدادُ فى جنح الظلامِ صباةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت : ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهى وكذلك السرورُ بالليلِ أعذب

ومما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرئ القيس قوله :

أسرّ القلب فى هواه وسارا وتجنّى على ظلماً وجارا
قهارى أراءه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنت فرقتَ بالفرقِ صبرى فأعرنى لما عراني اصطبارا

ويستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنّ فى الصبح راحةً لمحبٍّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهموم
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاح لي صبحٌ فمعى مقسم وفي الليلِ همى بالفرقِ أطول
ونمى بعض المتقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء

ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً . فإنَّ الصبحَ يأتى بالهموم
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريم
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر مافيه خللُ
كأنما الاصباحُ فيها باطلُ أزهره الله لحقّ فبطلُ

ساعاتها أطول من يوم النوى وليلة الهجر وساعات العذل
 موصدة على الوري أبوابها كالنار لا يخرج منها من دخل
 وهذا يستلح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 مالمس بمحسوس في التشبيه رديء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظل الرشح قصر طوله دم الزرق عنا واصطكك المزاهر
 وقال البحتري :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد وأخراً من بعد قطربه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :
 وحلت عليه ليللة أرحبية إذا ماصفا فيها الغدير تكدرا
 بعيدة ^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها ^(٢) حين بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدى بنا ورداء الليل منسدل والليل أطوله كاللمح بالبصر
 والآن ليلى من باتوا فديتهم ليل الضرير فصبحى غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتبدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعته ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :
 لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تعول
 ليلى كما شئت قصير إذا جادت وإن ضئت فليلى طويل
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أنظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تغور
 ليلى كما شاءت فإن لم ترز طال وإن زارت فليلى قصير
 إلا أن يئته الثانى أحسن تقسيماً من يد الخليل . وسمعت كافى الكفاة يقول
 لا بى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جـل شـمى وهـمى جـرجـان *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال المسكـرى وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبـدُ أناثـمُ عنـك غـدُ
 وقال ابن الرومى وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدر ما ألقى مس من الوجـدِ أوجـنـون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدهم حـروـن
 أجيلُ في صفحتيه عيناً ما تتلاق لها جـفـون
 وملح ابن الأحنف فى قوله :

حدثنى عن النهار حديثاً وصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبا بشار عن العلة التى يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى السكرى طيف ألم
 ولا أرى فى قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شعب الاكوار والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والاول أفصح .
 وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التى لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينم *
 وقال بشار :

لخدك من كفيك فى كل ليلة إلى أن ترى ضوء الصباح وساد
 وهذا مأخوذ من قول أبى ذؤيب * نام الخلى وبـت الليل مشـتـجـرا * والاشتجار
 وضع اليد على الخد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيت نراعى الليل نرجو نفاذه
وقال : خليلي ما بال الدجى لا تزحزح
وليس لليل العاشقين نفاذ
وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
كأن الدجى زادت وما زادت الدجى
ولكن أطل الليل هم مبرح
وقال ديك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا
وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
كأن نجوم الليل سارت نهارها
فخيمن حتى تسربح ركابها
وذا كرخالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطل ليله أم قصر لتحيره وتبلده فقال :
لست أدري أطل ليلي أم لا
كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي
ولرعى النجوم كنت مخلى
وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
وطولت ليلي لو دريت بطوله
ولكنه يمضى لما بى ولا أدري
وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر
لم يطل حتى دهانى بالهوى
فكأن الهجر شخص مائل
وقلت : صيرنى البين عرضة الحين
قد طال يومى وليلتى بهم
كان قليلاً لدى مكثهما
فطال بعد الحبيب لبثهما
ولقد أعرف ليلي بالقصر
ناعم الأطراف فتان النظر
كلا أبصره النوم نفر
لا أربح الله صفقة البين
لما يزالا بهم قصيرين
فكنت أدعوها الجديدين
فصرت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد
كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

بالييلة طالت على عاشقٍ منتظري في الصبح ميعادا
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول ابراهيم بن العباس :
ولييلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها يبدرى
لم تلك غير شفقٍ وفجر حتى توات وهي بكر الدهر
وقال غيره : ولييلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل مرور شابه عارض غم
صحوه وغيمه وضياءه وظلمه كأنه مستعر قد ابتسم
مازالت فيه عاكفاً على صنم مهفوف الكشح لذيد الملتزم
تفاحه وقف على اثم وشم وبانه وقف على هصر وضم
ياطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا وكذا العيش اذا طاب قصر
في ليال كآباهيم القطا لست تدري كيف تأني وتمر
وقلت : إذا البرق من شرق دجلة بنهرى على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرأً أغراً محجلاً فقمنا به في ظل فينان مورق
فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حنيناً إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض المخذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تتقى
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت
اعراباً قول جرير :

أبدل الليل لا تسرى كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليسل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب^(١)
 نعيم الحب أوردق فيه حتى تناولنا جناؤه من قريب
 بمجلس لذّة لم نقو فيه على الشكوى ولاعدّ الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمان هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنّت إذا علقت حبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محسنوهم واجتنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيئتهم فآتي مشيئتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجو سوية والعيش غض والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظللنا في جوار أبي الجنا ب يوم مثل سالفه الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتّابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كاهام القطاة محبب إلى هواه^(٢) غالب لي باطاه
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن^(٣) كمن نبه محرومة وحبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصيد العزيز ولم يكن) .

فقال وبله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التثنيج مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدك كثير الطحلب
فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير اللفظة فمن حق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو
ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تعد فيه شهور العيش أياما
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأنني صريع مدام لم ينهه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايه
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله ممسا تداني أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها أحداثه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ يبدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقالت : وصلت نعم ولكن صلة تشبه اللحظة في انتقالها
 لست أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعا مثلها أنشطت دهاء من عقالمها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُقَى وقد جاؤوا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديمهم وهناك شيخ طويل الصمت
 طالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس بأتونه من كل ناحية فيجلسون إليه وينشدون
 أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض بمحجته فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض إن كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رَعِيل ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بلباتها مربوعة^(٤) لم تُمَرِّخ^(٥)
 إِذَا مَسَرَّ بَنَخٌ عَطَتْ^(٦) بِجَالِ سِرَائِهِ تَمَطَّتْ لِحَاطٌ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرِبَخٍ
 فقرع الشيخ الأرض بمحجته وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٧) :

(١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)
 (٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر بيكر للمنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه
 قرع رأسه بمحجته فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الأصل (مدبوعة)
 (٥) تمرخ أي تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
 (٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبِيحِ فِي أَخْرِيَانِهَا مُسْلَأٌ يَنْقِي مِنْ طَيَالِسَةِ خُضْرٍ
تُخَالِ بَقَايَاهَا الَّتِي أُسَارَ^(١) الدُّجَى تَمْدُهُ وَشِبَعًا^(٢) فَوْقَ أُرْدِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْجَنُونَ مُصَنِّغًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَمَلَ بِضَرْبِ يَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْرِهُ فَأَرِيكَ فَقَدْهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أَسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قَالَ أَبُو هَالَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الشَّعْرِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ جَيِّدِهِ وَرَدِيئِهِ كَانَ غَرِيزًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَهُمْ أَصُولُهُ وَمَنْبَعُهُ وَمَعْدَنُهُ ، وَكَانَ فِعْلُ هَذَا الشَّيْخِ وَاسْتَفْزَازَ جَيِّدِ الشَّعْرِ لَهُ قَرِيبًا مِمَّا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ الْآمِينَ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَا أَطْرِبُ عَلَى حَسَنِ الشَّعْرِ كَمَا أَطْرِبُ عَلَى حَسَنِ الْغَنَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا قِيلَ فِي الصَّبِيحِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ الْعَرَبِ تَشْبِيهًا :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى^(٤) مُشَهَّرٌ
كُلُونِ الْخِصَانِ الْأُنْبَطِ الْبَطْنَ قَائِمًا تَمَازَلَتْ عَنْهُ الْجِلْدُ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وَهَذَا أَحْسَنُ تَشْبِيهِهِ وَأَكْلَهُ ، الْأُنْبَطُ : الْأَبْيَضُ الْبَطْنُ ، شَبَهُ بَيَاضَ الصَّبِيحِ تَحْتَ حِمْرَتِهِ بَيَاضَ بَطْنِ فَرَسٍ أَشْقَرٍ . أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتِزِّ فَقَالَ :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبِيحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرَخِي الْجَلَالِ
وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قَالَهُ مُحَدِّثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتِزِّ :

(١) السُّورَةُ : الْبَقِيَّةُ وَالْفَضْلَةُ ، يُقَالُ إِذَا شَرَبْتَ فَاسْتَرْ . (٢) الْوَشِيعَةُ : لَفِيفَةٌ مِنْ غَزَلٍ ، وَتَسْمَى الْقَصَبَةُ الَّتِي يُجْعَلُ النَّسَاجُ فِيهَا لَحْمَةُ الثَّوْبِ لِلنَّمِيجِ وَشِيعَةً . (٣) الْبَرْكَ الْإِبِلُ أَهْلُ الْحَوَاءِ بِالْفَعْلِ مَا بَلَغَتْ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ الْإِبِلُ الْبَرْكَ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ : الْفَرْكَ ،

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنه ظليمٌ على بيضٍ تكشفَ جانبه
وقد أبدعَ أبضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه كالخبشي قرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما يضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فقمْتُ والليلُ يجلوهُ الصبحُ كما جلا التيسمُ عن عُمرٍ التنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كعينِ الأشهلِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كوقدٍ باتَ ينفخُ الفعها
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمه واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزلاً بفجره في ليلة كفرسٍ بيضاء دهاء اللب

وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مَرْدٌ مثل المدامةِ في الزجاجِ تشعشع
وقلت : إلى أن طويْنَا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسك وقابلهُ للغربِ بردٌ ممشق
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ فلاح لنا من مغربِ الشمسِ مشرقٌ
ومدَّ علينا الليلُ نوباً منهقاً وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءه تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز إيالٍ مظلمةٍ مطرقاتٍ بالصباح معلومة
 أخطرُ في بردتها المسهمه والروضُ في حلتها المنمنمة
 قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
 وقدوشى رداءه ورقمه

وقال بعض الأعراب :

والليلُ يطردُه النهارُ ولا أرى كالليلِ يطردُه النهارُ طريدا
 وتراه مثل البيتِ مالَ رواقه هتك المقوص شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
 والصبحُ قد نسّم في أديمه يدهُ بطرُ في حيزومه

دعى الوصى في قفا بنيه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلُ أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى
 وقال العلوي الأصفهاني :

وليل نصرمت الغيَّ فيه على الرشد وأعديت فيه الهزلَ مني على الجدَّ
 وضيعتُ فيه من عناقٍ معانقٍ فظنَّ وشأتني أننى نائمٌ وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرط السيفُ اليماني من الغمد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلاً ذيله كالنيل يخطرُ في نوادي يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرّةٌ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
 ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاحَ ضوءُ الصبحِ فاستبيننا كما أرتنا المفرق الدهينا
وقال التنوخي: والثرىا كل واء
وبدا الفجرُ كسيفٍ
وقلت: أديرأعلى الكأس والليل راحل
ترفع عنه منكب الليل فأنجلي
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالخسام علاه علق فوقَ شفرتيه متاع
وقال: أسامره والليل أسود أورك إلى أن جلا الاصبحاح عن أشقرورد
تبسم محمراً خلال سواده تبسم ورد الخد في الصدغ الجمعد

ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمسُ الاصيل لهم حتى توقدَ في جنح الدُّجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جرَّ أسباب الكرى الأرق
وأبرع يدت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه عريانُ يمشى في الدُّجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتعداه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في

وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزَّاحـف يزجى خلف اطلاق

صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي

كانَّ العازفَ الحنى أو أصوات نواح

على أرجائه والبرق يهديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهموم
وقالت: وقد غدوت وصبغ الليل منتقص وغرّة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنبها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وأنجاب الحجابُ المستر .
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقي ثوبٌ معصر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرٌ أصفر
إلى أن علتُ وأبيضَّ عنها اصفرارها وجالتُ كما جالَ المليحُ المشهر
ترى الظلَّ يطوى حين تعلو وتارةً تراه إذا مالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا واتُ لمن يتبصر
وأفتت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموتُ وتحيا كلَّ يوم وتنشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم على
غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صَبَّ عليه قانصٌ لما غفلُ وللشمسُ كالمرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعي الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارا

فستغرّتها بالحجار وقال ابن المعتز وأغرب:

تظلّ الشمس ترمقنا بلحظ تحاول فتق غيم وهو يأبى
خفى مد نف من خلف ستر كمنين يريد نسكاح بكر
وقال ابن طباطبا:

وأقذيت عين شمس فحكت وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
من خلل الغيم طرف عشاء كما أشرقت فوق البرية زنب
يفضض منها الجو عند طلوعها ولكن وجه الأرض فيها مذهب
وتحسب عين الشمس أذهى رفعت على الأفق الغربي شبراً يذرب
وقلت في يوم صحو:

ملاً العيون غضارة ونضارة والشمس واضحة الجبين كأنها
صحو بطالنا بوجه موق وجه المليحة في الحار الأزرق
وكأنها عند انبساط شعاعها تبر يذوب على فروع المشرق
جرت إذا بكرت ذبول مزعفر فشربتها عذراء من يد مثاها
وقال ابن طباطبا:

وشمس تجلت في رداء معصر وقال ابن المعتز فيها عند غروبها:
حتى علا الطود ذيل من أصائله وقال أبو نواس:

قد اغتدى والشمس في حجابها مثل الكعاب الخود في نقابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور:

كَأَنَّ خَبْوَةَ^(١) الشَّمْسِ تَمُوتُ بِهَا وَقَدْ جُمِلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرُضُ
تَخَاوَصَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْنَقُ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثُمَّ تَغْمُضُ
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي أَحْمَرِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :
وَكَاثِنُهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ بِ جُفُونِ عَيْنِ الْأَرْمَدِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

إِذَا رَقَّتْ^(٣) الشَّمْسُ الْأَصْلُ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيُّ وَرَسًا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لِنَقْضِ نَجْمِهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا وَتَشَعَّشَعَا
وَلَا حِظَّ النَّوَارُ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدَّهَا عَلَى الْأَرْضِ ضَرْعًا
كَأَنَّهَا عَوَادَةٌ^(٥) عَيْنٌ مَدْنَفٌ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وَوَلَّتْ عَيُونَ الرُّؤُوسِ^(٦) تَخْضَلُ بِالْمَدَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لَتَدْمَعَا
وَبَيِّنَ إِغْضَاءُ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهُمَا خِلَا صَفَاءٍ تَوَدَّعَا
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالشَّمْسُ تُؤْذَنُ بِالْشُرُوقِ كَأَنَّهَا خَوْدٌ تَلَاخِظُ مِنْ وَرَائِهِ حِجَابٌ
وَقَالَ السَّرِيُّ :

وَمِنْ قُصُورِ عَلَيْهِ مُشْرِفَةٌ^(٧) نَضَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحِجَابِ
يَبُضُّ إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَسِبَتْ أَطْرَافُنَّ مِنْ ذَهَبٍ

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَبْوَة » .

(٢) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ : وَفِي الْأَصْلِ (يَرْفَقُ) .

(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِذَا أَرَفَقَتْ » .

(٤) الْوَرَسُ : نَبَاتٌ كَالسَّمْسَمِ ، وَمَذْعَدًا : مَتَفَرِّقًا .

(٥) فِي الْأَصْلِ « عَوَادَهَا » .

(٦) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرَّومِيِّ « عَيُونَ النُّورِ » .

(٧) كَذَا فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَلَى مُشْرِفَةٍ » .

ومن بديع ما قبل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيب ليظها واصفرارها

ومن جيد ما قبل في النهار قول أعرابي :

فإذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال

وقلت : ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال

وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مذهب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول أنقضى الشعر مع ملك بني أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الاوائل وقال غيره
٦٣	١٦	
١٥٩	١١	علبت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « آصت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

الصفحة	
٢	ترجمة المؤلف .
٦	صورة آخر النسخة الشنقيطية .
٧	مقدمة الديوان .
٨	أحسن ما قيل في وصف شعر .
١٠	النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .
١٠	أحلب بيت قائلته العرب .
١١	أنصف بيت قائلته العرب ، أقنع بيت للعرب .
١٤	أبواب ديوان المعاني .
١٥	الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .
٦٥	الفصل الأول : في المديح .
٧٦	الفصل الثاني : في الافتخار .
٩١	الفصل الثالث : في التهاني .
١٠٣	الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجري مع ذلك .
١٥٧	الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .
١٥٧	الفصل الأول : في المعاتبات .
١٧٠	الفصل الثاني : في الهجاء .
٢١٦	الفصل الثالث : في الاعتذار .
٢٢٢	الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك .
٢٨٦	الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك .
٢٨٦	الفصل الأول : في ذكر النار .
٢٩١	الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .
٣٠٥	الفصل الثالث : في وصف الشراب .

٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر وما يجري مع ذلك .

٣٣٢ الفصل الأول : في ذكر النجوم .

٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه .

٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، وما يجري مع ذلك .

﴿ استندراكات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

- ٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبح الخلقة وغير ذلك
٢١٥ ٤ لا تخدعنه بأثواب مصبغة
٢٣٧ ١٠ وغدا فتم عليه عند رقيه
٢٤١ ١١ كأن على أنيابها الخر شجها
٢٤٩ ١ وعانقت خلق من صدغه خلقا
٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجلكه اجلال بارها
لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي
٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة
٢٩٣ ٧ يقشر جلدأ منه كالنضار
٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجوما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
٣١٤ ٧ هذا الشعر للخبيل اليشكري لا للاخطل
٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى
٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فقلبه
٣٢٣ ٢٢ أكرم ذكر ذخرته كرمه في عنه
٣٢٤ ١١ فأت نف المهم عنا

(إختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الأول)
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كرتكو

الصفحة السطر	٣٢	١٢	بفضيتها	٧٢	١٢	أ كفاؤه
١١	١	٣٣	ليسقط عنه	٧٤	٢	الخرمى
١١	٥	٣٣	عند إتيان	٧٨	١٧	المتألى الشاعرون
١١	٨	٣٣	الماطرة	٧٩	١٠	أمون.. لحاءها
١١	١٥	٣٣	ومنا التاء	٨١	١٦	الجحاف
١١	١٨	٣٤	قسطل	٨٢	٧	أخرانا
١٢	١	٣٥	وأنت ملبح	٨٥	١٧	الحناني
١٢	٣	٣٥	ذمارها	٨٥	٢١	فقري غنى
١٢	١٦	٣٨	وفوا	٨٦	٣	ولا يحال
١٢	١٩	٤٠	دماذ	٨٦	٥	نبوه
١٨	١٠	٤٠	ضيف.. الحفرات	٨٧	١٨	جبيته
١٨	١٤	٤١	أبين عكرمة	٨٧	٢٠	بالأفول
٢٠	١٣	٤٤	بخفان	٨٧	٢٠	على الوقود
٢٠	١٧	٤٤	٢٠، ثامل	٨٨	١	واعتددت
٢٠	١٨	٤٧	وبصدره	٨٨	١١	إلى الكوم
٢١	٢	٤٧	الكوماء.. تنحري	٨٩	٦	أشوى
٢١	٥	٥٧	من الشجاعة	٨٩	١٠	أو القنان
٢١	٨	٥٨	غر الرداء	٩٠	١١	العاصمون
٢١	١٠	٦٠	وأحسن منهما	٩٠	١١	العارمون
٢١	١١	٦٠	تقريباً إلى أن	٩٠	١٨	ومنى
٢٢	١	٦١	مركز	٩١	١٤	الفصل الثالث
٢٣	٢	٦٣	يافيض	٩٢	٥	شياً بباء فعاداً
٢٣	٧	٦٥	ابن حرى	٩٢	١٠	تنشر أعياداً
٢٥	١٥	٦٥	هفان.. ثوابه	٩٢	١٣	راعيه
٢٦	٢	٦٦	أبو الغراف	٩٢	٢٠	كهذا
٢٧	٧	٦٦	أثلمته حوامله	٩٣	١٥	بلبل
٢٧	١٧	٦٦	فيوم تحوط	٩٤	١٢	أنى هفان
٢٧	١٨	٦٦	أثغب نوافله	٩٥	١٧	يهدى للجليل
٢٨	٧، ١٠، ٦٨، ٦٨	٦٨	دوارج	٩٦	١٦	عنان الفسكر
٣٠	٤	٦٨	كما دعيت	٩٦	١٧	بيديه نارها
٣١	١٠	٧١	أو أزهرهم	٩٦	٢٢	إلى من وليه

٩ ٤٩	شيمت	٤ ١٥٣	أن يحل به	١٥ ٩٧	أقفرُوا
٦ ٥٠	وما ظلم	٦ ١٥٣	وبادرت منه	١ ١٠٠	ولشاؤه
٧ ٥٣	ويمرع	١٦ ١٥٥	زفر	١٧ ١٠٠	تجلى لك
١٠ ٥٤	وتدولا. وعوداً	١٢ ١٥٨	راضى سنة	٦ ١٠٢	من مواليه
٧ ٥٥	مد العلاء	١٠ ١٥٩	بجنب الستار	٢٠ ١٠٢	ويلقيك ثواب
١٦ ٥٦	٢٠ ٥٦	١٧ ١٧٠	بطائشة الصدور	٥ ١٠٦	إنك
٧ ١٤٥	مذهبه	١١ ١٧٣	دوبل .. دوبل	٢٢ ١٠٦	بلبال
١٨ ١٤٩	عليم بن جناب	٢٢ ١٧٥	يزقق	١٠ ١٠٩	آلف
٢٠ ١٥٠	سعيد بن مسلم	٢ ١٧٦	جذمة	٣ ١١٠	يواكب
٧ ١٩٦	بذى شكر	٧ ١٧٦	تغلب	٩ ١١٠	تقذيتها
٨ ١٩٦	نحوى جمية	١٦ ١٨١	به الدعى	١ ١١١	مجدلا
١٩ ١٩٦	فى التطير	٣ ١٩٨	تكن لتكون	٢ ١١١	بما لم
١١ ١٩٩	وأدغمت أبا	١٠ ١٩٨	أمين	٣ ١١١	أغشى
١٥ ١٩٩	ثنتى عنك	٢ ٢٠٦	الدار يطوف	٧ ١١١	أخم
٦ ٢٠١	فيه منذ زمان	١٥ ٢١٣	غادر الرفض	٢٠ ١١١	مأذلك
٧ ٢٠١	ظاهرة سوء	١٨ ٢١٣	وقتما للحين	١٣ ١١٢	الصقعب النمدى
١٧ ٢٠١	كما تزيد	١٩ ٢١٣	زوراذوى السنة	٢١ ١١٢	قد جبت جلابه
١١ ٢٠٢	بسلب الصفات	١١ ٢٣٣	فيزيد فيها	٦ ١١٣	رفيقة
١٥ ٢٠٢	عن الأشنادانى	١٦ ٢٣٣	أملود	١٨ ١١٤	بلعاء
١٨ ٢٠٢	كالذبيح	١٧ ٢٣٣	سب. وطاق	١٠ ١١٥	يبحر
١٩ ٢٠٣	ابن مهرويه	١٩ ٢٣٤	يا اسلى	٦ ١١٨	عبد بن الأبرص
٢٠ ٢٠٦	وتنتنى حتى	٨ ٢٣٧	فيها بدرها	٥ ١٢٢	وأنتى غير
٢ ٢٠٨	كسير الجناح	١٤ ٢٥٣	التمرى	١٨ ١٢٢	دجاجة
٣ ٢٠٨	خامد المصباح	١٣ ٢٥٥	يذاب بعينى	٨ ١٢٣	ابن ميادة
٦ ٢١٠	وساد الحية	٤ ٢٥٦	فأسبلت	٥ ١٢٦	عنى الحساب
٣ ٢١٢	به من دمامته	٥ ١٧	غضبة	٢٢ ١٢٨	ألعمة الله
١ ٢١٣	أظهر فيه	١ ٤٢	تكدر عيشة	٩ ١٣١	المشقر
٨ ٢١٤	غادية	١٤ ٧٦	خَبث	١٣ ١٣١	راوية .. ابن
١٧ ٢١٥	ولا تأتبنى	٥ ٩٢	قمبان	٣ ١٣٢	تعتب
٧ ٢١٦	فى بيتى	١٥ ١٢٥	بخترى	٤ ١٣٢	تجنب
١٨ ٢٢٠	وللقارف ذنباً	٤ ٢٤٩	شارب	٦ ١٣٣	حلحلة
٢ ٢٢١	أرى الراغب إلى	٥ ٤٩	آراؤهم	٧ ١٣٣	بوانى
٤ ٢٢١	الهية الحية			٧ ١٣٦	قول عمارة
				١٥ ١٥١	التضافر
				٣ ١٥٣	ويهدم صالحى

٢٢٥ ١٥ دمع احدره	٢٦٣ ٨ الهوامى الهوامع	٢٩٦ ١٥ من المن
٢٢٦ ١٣ عند خود	٢٦٣ ٢٠ قوم موسى	٢٩٦ ٤ فى السقى
٢٢٨ ٨ ونبتها قالت	٢٦٤ ٨ كنت فى	٢٩٨ ١١ أتعرف من
٢٢٨ ٢٢ الحسن بسطة	٢٦٤ ١٤ الحسن عليه	٢٩٨ ١٦ المعتدة
٢٢٩ ٤ بيضاء كالفضة	٢٦٤ ١٧ مآ فلم	٣٠٠ ٣ الكيسة الحازمة
٢٣١ ٤ قاسنى بالبدر قد	٢٦٥ ٢ أظرفه	٣٠٠ ٧ صادفت منا
٢٣٢ ١٥ حسنه .. حفلت	٢٦٥ ٢٣ لشدما	٣٠٠ ١٩ وقد تردى
٢٣٧ ٦ عين تفل	٢٦٦ ٨ الوصل شافيا	٣٠١ ١٠ موشى تخال
٢٤٠ ١٣ يحبتها أحور	٢٦٦ ١٠ وأرحم	٣٠٢ ١٧ ثغر .. الواضح
٢٤١ ١ مشرب عذب	٢٦٦ ١٤ لم يك	٣٠٤ ١٠ فدون السمن
٢٤٢ ١٤ بدلها	٢٦٩ ١٨ فى الشمس	٣٠٤ ١١ طيف سلى
٢٤٤ ٤ وأثنى	٢٧١ ٥ فغافصاه	٣٠٤ ١٤ منسر الباز
٢٤٤ ١٤ زق أمات	٢٧١ ١١ يا جان	٣٠٨ ١١ سباهها التجر
٢٤٤ ١٦ فأفضيت	٢٧٢ ١٠ يعيش .. المنون	٣١٠ ١ أرى نجمين
٢٤٥ ١٩ قلقت وشحه	٢٧٢ ٢٠ اقياد .. صاحبه	٣١٠ ٥ ووجنة
٢٤٦ ٨ تفضين .. اتعلت	٢٧٣ ١ فى يستن	٣١٠ ١٣ ذهن لطيف
٢٤٧ ٧ طرة .. طرة	٢٧٦ ١٠ سفة	٣١٢ ١٨ وقد حجب
٢٤٧ ١٤ أوبالمنى	٢٧٧ ١٠ يشنى الجوى	٣١٥ ٣ اله ان
٢٤٨ ٢٢ قرنوا	٢٧٧ ١٣ زف .. خياني	٣١٥ ٦ لهو الى
٢٤٩ ١ أو كالجيم	٢٧٧ ١٨ معان جياذ	٣١٥ ١٧ لىأتى ما
٢٥٠ ١٦ وما سلى	٢٧٧ ٢٠ ولا طارقاً	٣١٨ ٢ فأزرى
٢٥٠ ١٨ وصف الساق	٢٧٨ ١٥ ونحن مفترقان	٣١٨ ١١ راضعت
٢٥١ ٣ نقطن أذقانا	٢٨١ ٥ ليلة القرر	٣١٩ ١٣ على الأجسام
٢٥١ ١٣ القوام والترنح	٢٨١ ١١ حجاماً	٣٢٠ ٢ ذكر مزاج
٢٥٢ ١٠ إلاء شاشة	٢٨٣ ١٢ من نروح	٣٢٥ ٥ بميل
٢٥٢ ٢١ يخرق	٢٨٤ ٢ فنبتهن	٣٢٦ ١٨ والأرض به
٢٥٤ ٢١ خلس	٢٨٥ ٨ تنفض	٣٢٧ ١٥ ابن سريج
٢٥٥ ٤ أطراف خرمة	٢٨٩ ١٩ وجواثم سفح	٣٢٧ ١٨ عمل زلزل
٢٥٦ ٦ كما سقى	٢٩٠ ٣ موقوفه بين	٣٢٧ ٢١ فى جس
٢٥٦ ٢١ السيف الصقيل	٢٩٠ ٢١ تصبغ بالدماء	٣٢٨ ٤ أحرفه
٢٥٧ ١٢ فاض من	٢٩٣ ٥ فى جو ذابة	٣٢٩ ٤ كما يتداوى
٢٥٨ ١٥ كوم المطايا	٢٩٦ ١١ أرج العطر	٣٢٩ ٢٩ دكن الظواهر
٢٥٩ ٦ من طيبها		٣٢٩ ٢٠ فى تباين
٢٥٩ ١١ ينعيم كل		

٣٣٠	١٠	أدافع عن بالكفين	٢٠	٣٣٩	كأنه غرض	١٦	٣٥٣	القصاص
٣٣١	٩	دورور	١٢	٣٤١	والعيد زين	٩	٣٥٦	الاشط .. سمل
٣٣١	١٤	ساحرة	٣	٣٤٢	اللزادة	٧	٣٥٧	المقوض ستره
٣٣٣	١٦	كما ترنو	١	٣٤٣	قول مضرس	١٠	٣٥٧	يدعه بطرفي
٣٣٤	١	وألقابا	١٦	٣٤٨	مذباناوا	١١	٣٥٧	دع الوصى
٣٣٥	٩	أدنو الدلو	١٧	٣٥١	نعنابه	٥	٣٥٩	قيل في الشمس
٣٣٥	١٩	ترنو من براقع	١٨	٣٥١	ليس يرده	٩	٣٦٠	هي رنقت
٣٣٩	١٧	من فتوق	١١	٣٥٢	بحو سويقة	٩	٣٦٠	تبرأ يذوب

ومذبح ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب سبقت اذا الشمس عادت كاهها
صلاة طيب ليطها واصفرارها هـ ومن جدد ما قيل في الزهراء قول الغرليكي فاذا انشق النهار رآها
زاملات في مثل ما نزلت قلت وتخطى الصباح اذا شدي كالكرم في الماء الزلال
قلت وعلى الصباح غلالة فضية فيها عرازير حبال المذهب
آخر الباب السادس والعشرون وحده

في مدح أمير المؤمنين عليه السلام

للمؤمن علي بن أبي طالب وأبوابه خاصه واحده في تلك السحاب المنقالات وأجزاء العرش واللال
وتعجب الباردة السلال ليغتنقه النعم والشجر ويربيلب والتمز رحمة للأنام ونظر الأنام
فله الحمد والآخر والصلوة على نبيه الذي أرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وأعيانا لله
بأذنه ومراجعا منبرا وعلى كل المختارين وعترته المنجحين وقدرائنا الكفاية كل زمانا ويحدثون
في قلوبهم وسبل سبلها وترج مشكلها واتصاع نوراها وأدباء أسابها الخف بمجملها وبهم
مستأوها فيوعف فيها كل واحد وتأخذ منها نصيب ويعتقون بها من ذنوب وكنت جعلت كتابي
الوسوم يدوان المعاني مشتملا على أبي شربابا ينصتها حصرية ورقدة قرأت بعض الناس يستكبر
عنه ويستغل سجدته فقلت كل آياتها كتابا ينفرد بنفسه ويتميز بحسبه ليقرأ من وسر بسجده
وتسبح الرغبة اليه ويكبر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق

هذا كتاب المبالغة

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياح والنبات والاشجار والرياحين
والنار والنسيم وما يجي مع ذلك وهو الباب السابع من كتاب
ديوان المعاني وفيه ثلاث فصول الفصل الأول في صفة السحاب
والمطر والبرق والرعد والثلج والضب اخبنا الواحد من أبي بكر بن دريد في أبي حاتم
عن الأصمعي قال قال أبو هريرة رضي الله عنه أي قول الشعر في المطر اسعروا قول امرئ القيس
دعته هظلا فيها وطفت طوق الأرض بحرى وتذكر قوله طوق الأرض غالية في وصف عجم
السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطوق على الأنا والآفاق إذا أخذها فاجاده الملائكة الرومي
حيث يقول سحاب فيست بالبلاد فالت غطاء على أغوارها وبحودها
حدثها النفا في منقالات مائة ١- تنادي فيؤيد تنويرها ككودها قوله سيرها ككودها

(وهذه صورة صفحة من نسخة المخطوطة الرباطية)